دكتور
عبد الرشيد عبد العزيز سالم
معهد التربية للمعلمين
الكويت

طرق تدريس التربية الإسلامية

نماذج لإعداد دروسها

الطبعة الثالثة

الناشر
وكالة المطبوعات
٢٧ شارع فهد السالم - الكويت

الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

دكتور
عبد الرشيد عبد العزيز سالم
معهد التربية للمعلمين
الكويت

طرق تدريس التربية الإسلامية

نماذج لإعداد دروسها

الطبعة الثالثة

الناشر
وكالة المطبوعات
٢٧ شارع فهد السالم - الكويت

الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

الى كل طفل على ربوع الأرض يرتع ويلعب ، ينشد الأمان والاستقرار والمحبة ، يتمنى من أعماقه أن يرى نور الايمان يغمر قلب والديه يستنير به على درب الحياة الطويل ، ينظر في ملكوت الله بعين بريئة وفؤاد طاهر يستشف ما وراء الغيب ، ويدرك كنه الحقيقة ، ينطلق بفطرته الى الايمان مجردا من الأهواء والرغبات والتظاهر — فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله — الى ولدي — حسام الدين — الذي لم يكمل الخامسة من عمره وان كان قد تجاوزها بالفكر والنظر والتأمل . ومن الله أرجو أن يهتدي بهديه ، وأن يشب على تعاليمه حتى يتحقق لي وله الفوز في الدنيا والآخرة .

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . والصلاة والسلام على رسوله محمد بن عبدالله الذي اختاره من بين عباده ليحمل رسالة العلم والتعليم والإيمان للبشرية في كل عصر وعلى كل أرض ، وأهله لذلك برعاية سماوية وتربية الهية ، فما نطق عن هوى ، ولا تردد الى معلم ، ولا انتحل من فكر ، وانما جاءته الآيات من لدن حكيم خبير ، فبلغها في أمانة لم تعرف الإنسانية لها نظيرا ، وسلك بها طريقا تنحني له جباه الفلاسفة والعلماء والمفكرين عصرا بعد عصر ، وتهتدي على دروبه قوافل الحياة عهدا بعد عهد ، ويقف التاريخ على مشارفها عاجزا عن أن ينال منها ، أو أن يلج فيها بالتغيير أو التبديل ، أو المحاصرة والتقييد . وظل انطلاقها على الرغم من تهاوي القائمين عليها حقبا طويلة من الزمان ، وعلى الرغم من بروز قوى من الشرعاتية حاولت ولا زالت القضاء عليها بكل أساليب المكر والدهاء . ودار الزمن دورته ليشعر الناس من جديد أن التهافت والتهاوي لم يكن في الإسلام وإنما كان في المسلمين ، ولتشعر تلك القوى التي تصارعت وتضاربت وأكل بعضها بعضا وانصهرت عظام البشرية بين أنيابها في حربين عالميتين وما تبعهما من مآسي للإنسان ، أن الخلاص من أوهامها وعذابها لن يكون إلا بالعودة إلى أحكام الإسلام ومبادئه التي لا مصلحة لصانعها في تغليب طبقة على طبقة ولا فرد على فرد ولا أمة على أمة ،

لأن هؤلاء وأولئك جميعا عباد الله ، وهم سواء من حيث منشئهم ومن حيث مآلهم الأخير . لقد كان فشل كل النظريات التربوية والاقتصادية والسياسية على كثرتها في بناء إنسان يتقارب مجتمعه تقاربا يقضي على نوازع الشر فيه . ويحوله إلى مصدر إسعاد له وللآخرين ، بدلا من التصارع والأنانية والشراهة والأحقاد . كان ذلك داعيا لظهور جماعات لا حصر لها في كل جوانب الأرض . رافضة لكل المبادئ والقوانين بل والعادات والتقاليد التي يسير عليها الآخرون .

وكثرت الانقلابات العسكرية وشبه العسكرية في كثير من الأمم . وتبعها محاولات دائبة لتغيير المناهج والأفكار والسلوك ، ولكنها فشلت واعتراها الضعف والهزال ثم تهاوت واضمحلت ليأتي من جديد غيرها ليسلك نفس الدرب وليخوض من أوهام جديدة نفس الطريق . وتتشابك القضايا وتهتز النفوس وتضطرب الجماعات ، وتشتعل الحروب ، ولا خلاص ، لأن الصانع إنسان ، وهو مهما أوتي لن يكون إلا واحدا من بين ملايين الآحاد ، لا يمكن أن ينطبق نظامه وفكره على الجميع لصالح الجميع .

أما الاسلام ونظمه الاقتصادية والسياسية والتربوية فهي من وحي السماء ، جاءت إلى الأرض جامعة وشاملة لكل جوانب الحياة فيها ، لا يخرج عن دائرتها إنسان أو حيوان أو جماد ، بل هي للجميع لصالح الجميع ، لا فرق بين حاكم ومحكوم ، غني أو فقير ، قوي أو ضعيف ، شريف أو وضيع ، كلهم أمام التشريع الالهي سواء .

« وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » (١) .

ولن تحصل البشرية على أمنها وسلامها ، بل ورقيها الاجتماعي والأخلاقي والنفسي إلا بالأخذ بجوانب هذا النظام الالهي تربويا واقتصاديا وسياسيا .

---

(١) الأنعام آية ٩٨

وترك هذه الأفانين التي ابتدعها الإنسان ، إما لغايته الشخصية ، أو من أجل جماعة ينسب إليها ، أو وطن يستظل به أو جهل بأسس التشريع الإسلامي ، أو فقر في الإيمان واختلال في العقيدة ، وليس فيما أنادي به خروج على العلم وأهله ، وإنما هو دعوة لهم على كل أرض ومن كل جنس ليتجهوا بما وهبهم الله من عقل وفكر إلى التحليل والموازنة والمقارنة بين النظم الإلهية الإسلامية ، وبين ما هم فيه من تضاد واضطراب واختلاف في الرأي الواحد والنظرية الواحدة . ولست أشك أنهم سيجدون في رحاب الإسلام حلولا لكل القضايا التي ضاقت بها النفس الإنسانية منذ طغت عليها مادية الحياة ، وابتعدت خطوات كثيرة عن روحانية الإيمان .

وأول ما أدعوهم إليه ، تعمق نظم التربية الإسلامية ، تلك التربية التي تعني بالإنسان (جسدا ، وعقلا ، وروحا) فلا تكبت رغبات الجسد فيه ، ولا تحد من قدرات العقل عنده ، ولا تحصره في دائرة المادة الفانية ، وإنما تجعل لروحه مددا متصلا بالقوة الخفية في هذا الكون تستلهم منه النور الذي لا تراه الحواس ولا يدركه العقل .

ومن ينابيع تلك التربية سوف يهتدون إلى أسس العدالة والحق الذي اهتدى إليها المسلمون الأول ، وأنشأوا بها مجتمعات الاخاء والتضحية والإيثار والوفاء والمحبة ، والتي أصبح العالم اليوم في حاجة إليها أكثر من حاجته إلى الغذاء والكساء والمأوى ، لأن هذه وتلك لا توفر للإنسان الأمان والاستقرار النفسي كما توفره تربية متصلة بالله تطلق الإنسان من عقاله وتدخله دائرة السلام مع نفسه وأهله وولده وجماعته .

وإني لأتساءل هل في كل مواثيق حقوق الإنسان وقوانينه ومبادئه وتشاريعه ما يعدل هذا القول الإسلامي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل :

« يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا . يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم . يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم . يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم بها . فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » (١)

وقول الله تعالى

« **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** » .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إنما أفسد من كان قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها » وثبت أن عمر بن الخطاب جلد أحد أبنائه حين شرب الخمر ، لم يمنعه عن ذلك أنه ابن أمير المؤمنين ولم يشفع له حسبه ونسبه . تلك هي مبادئ الإسلام وأحكامه التي ملكت قلوب الناس فجعلتهم ينشدون العدل والحق والسلام لكل الناس وعلى كل أرض . والتي تحرص تعاليمها التربوية على أن يكون الفرد جزءاً من الجماعة والجماعة شريحة من الأمة والأمة بعض من الأمم ، والكل في اتساق واحد من صنع الخالق . واليه يرجع .

---

(١) انظر رياض الصالحين للإمام النووي ص ٧٣ .

ولو استطعنا من الوجهة السيكلوجية أن نستوعب هذا النظام ، وأن نجعله قاعدة لتربية الإنسان لأمكننا – كما حدث في التاريخ مرة في زمن الرسول والخلفاء الراشدين وغيرهم – أن نعيد عمليات التطبيق المتكامل لأحكام الشريعة ، وأن نجعلها موضع إجلال واحترام من كل بني الإنسان لأنها في حقيقتها العدالة المطلقة . لا تظلم فردا من أجل فرد ، ولا تحابي إنسانا على حساب آخر ، الحاكم فيها كالمحكوم ، والغني فيها كالفقير والعظيم فيها كالحقير لا يفترقان إلا بالتقوى والعمل الصالح من أجل الإنسان وفي سبيل الله .

وقد حاولت جهدي أن أعرض في ثنايا هذا العمل المتواضع بعضا من جوانب التربية الإسلامية ، وأن أبين كيفية ايصالها إلى الأجيال المتعاقبة بأيسر طريق ، وخاصة لتلاميذ المرحلة الابتدائية ، وكنت حريصا على أن أعرض بعض الأمثلة التربوية من عصر صدر الإسلام في الطبعة الأولى ، ولكن ظروفا خارجة عن ارادتي لم تسعفني لتحقيق هذه الغاية ، وقد تمكنت بعون الله من تحقيق ذلك في الطبعة الثانية وإني لأرجو من الله أن يكون عملي خالصا لوجهه ، وأن يقبله عنده ، إنه وحده الموفق والمعين ...

دكتور
عبد الرشيد عبد العزيز سالم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

منذ فجر الاسلام والناس يتداولون أفكاره وآراءه ، بين منصف وجاحد ، مؤمن وكافر ، معتدل ومتشدد . مجرد عن الأهواء ومتصنع لأجلها . وسيظل هذا الأمر قائما ما بقيت الحياة والأحياء .

(ولكن الشيء الذي لم يختلف فيه الناس — أو على الأقل لم تصل حدة الخلاف فيه كغيره من تعاليم الاسلام — هو تربية الاسلام للانسان تربية تفوق في قيمها وأهدافها كل النظريات والتعاليم التربوية التي عرفها الانسان قبل الاسلام وبعده). وكما أن لكل حقيقة دليل عليها ، فان الدليل على هذه الحقيقة ، هؤلاء النفر من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين رباهم الاسلام وعلمهم الرسول فكانوا أعظم قادة ، وأعلا مثلا ، وأرقى خلقا ، وأنضج عقولا ، وأبلغ لسانا ، واسلم حجة من كل من وضع في مثل موضعهم من قادة وزعماء الأمم . وان دل ذلك على شيء فانما يدل على أن جوهر العقيدة الاسلامية هو منبع هذا البناء الرجولي والأخلاقي والعلمي ، الذي بدونها ما كانت الجزيرة

العربية الا قفرا يشرب دماء الرجال ، ويرعد بأصوات الحقد والعصبية ، ويمتلىء بالرذيلة والدمار .

والاسلام يتميز في تربيته ، أنه يأخذ الكائن البشري على طبيعته ، ثم يعمد الى تهذيب هذه الطبيعة والارتقاء بها الى أقصى درجات السمو الانساني ، دون أن يكبت شيئا من النوازع الفطرية ، أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع ، وبين المثل العليا التي يرسمها له .

وهو في تعاليمه ومبادئه يقترب من الانسان في حذر . فلا يراه ملاكا مجردا من الشهوات والرغبات . ولا شيطانا ليس فيه الا الشهوات والرغبات ، وانما هو بين بين . وفي مقدوره ان أراد أن يسمو بروحه الى مستوى الملائكة من الطهر والنقاء ، كما في مقدوره أيضا أن يصل الى مستوى الشيطان من الفجور والشر ولكنه في حالته الطبيعية بين هذا وذاك — انسان — مشتمل على الخير كما هو مشتمل على الشر . وذلك شيء من طبيعته وليس مفروضا عليـــه من خارج نفسه ، لذلك تعمل التعاليم الاسلامية على ابراز جوانب الخير فيه ، وجعلها في درجة أقوى من جوانب الشر لينتصر بذلك على ترابية الأرض ، التي منها تنطلق كل الوان الصراع البشري ، وتأتي الأطماع والأحقاد والفتن ، وتشب الحروب وتضرم النيران ، وتموت الحقيقة ، وتختفي بسمة الحياة تحت سياط الظالمين والجبابرة العتاة .

وبين الخير والشر ، والاقتراب منهما في التربية الاسلامية ، نجد حرصا كاملا على ايجاد التوازن في نفس الانسان ، ليمتد ذلك منه الى التوازن في المجتمع ، وفي ربوع الدنيا بعد ذلك بقدر الطاقة ، حتى لا يطغى أحدهما على الآخر ، أو ينفصلا ، فلا يكون في الدنيا الا ملاك أو شيطان .

والتربية الاسلامية لا تنشد ذلك أبدا . ولو كان التحول كله جهة (الملاك) . وانما تسعى الى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة وضرورات المجتمع ونوازع الفرد ، من غير أن يطغى هدف على هدف ، ولا مصلحة على مصلحة ، وانما يسير الكل في توافق واتساق ، يحقق – حين يتم – أقصى ما يمكن من السعادة لبني الانسان ، ويجعل الطريق بين الخالق والمخلوق ممهدا بالفكر والتصور والعمـــل .

وقد حرصت أن أعرض في هذا الكتاب ألوانا من السلوك والأفعال التي تحقق هذا التوازن عند الانسان . وبدأت بالطفولة لأنها مصدر الأمم ، ومنبع الأجيال وحاولت أن أقترب – فيما عرضت من المبادىء والتعاليم الاسلامية – من آثارها في الطفولة وفي تلاميذ المدارس الابتدائية بالذات . ليكون ذلك هاديا لمعلمي التربية الاسلامية في هذه المدارس .

وكان تناولي لطرق تدريس القرآن الكريم والعبادات يقوم على أساس من الدراسة النفسية والاجتماعية والأخلاقية والعلمية لهذه الفرائض ومصدرها الأول كتاب الله المحكم . وبينت أن تدريس هذه الأشياء يستند أول ما يستند الى المعلم المؤمن بأهداف الدين ثم الى المدرسة كمؤسسة اجتماعية تأخذ من المجتمع وتصب فيه ، وضربت أمثلة على طريقة التدريس المرجوة في كل .

وعلى الرغم من أن منهج معاهد التربية لم يتطرق الى العقيدة والحديث ، الا أنني اكتمالا للفائدة القيت نظرة على العقائد ، وخاصة العقيدة الاسلامية ، وربطت بينها وبين العبادة ، مبينا أثرها في فهم العبادات من الوجهة النظرية والتطبيقية وذكرت أهداف تدريس الحديث الشريف ، وسقت أمثلة على كيفية تدريسه بالمرحلة الابتدائية وتناولت طرق تدريس التهذيب وما تهدف اليه ، وأسلم الطرق لتحقيق سلوك أفضل عند الأبناء .

وكما تحرص التربية الحديثة على استخدام الوسائل المعينة في التدريس ، ذكرت أهم هذه الوسائل في تدريس الدين ، وأثرها في الفهم والتطبيق ، جاعلا للاسماع ووسائله درجة أكبر من الاهتمام والعناية . وفي النهاية أشرت الى القيم والاتجاهات وأهمية تركيز المعلم عليهما .

ولا أتصور أنني قد بلغت ما أريد في كل ما قلت ، ولكنني أشعر بالرضا حيث أن هذا الكتاب يكاد يكون الأول من نوعه في المكتبة العربية والاسلامية لأن كل من تعرضوا لبعض هذه الموضوعات ، تعرضوا لها من زوايا أخرى ، أو في ثنايا حديث لا يعرّف بها ولا يدل عليها . ومن الله وحده أرجو الجزاء والأجر . وأن ينفع بهذا الجهد المتواضع كل طالب علم انه سميع مجيب .

المؤلف
دكتور
عبد الرشيد عبد العزيز سالم

الفصل الأول

مراحل الطفولة - وتعاليم إسلامية



تطوّر الشعور الدّيني عند الطّفل

يمر الوليد بمرحلتين من مراحل حياته لهما أكبر الاثر في تكوينه الانفعالي والعقائدي والسلوكي ، وعليهما تقوم شخصية هذا الوليد ، وتتحدد اتجاهاته وقيمه الاخلاقية والاجتماعية . هما مرحلة الطفولة ، والمراهقة .

ومرحلة الطفولة تنقسم إلى قسمين كما ذكر علم نفس الطفل . الطفولة المبكرة وتبدأ من المهد حتّى السادسة من العمر . والطفولة المتأخرة وتبدأ من السادسة حتّى فترة المراهقة (او حتّى الثانية عشر من عمره) .

والذي يعنينا هنا هو مرحلة الطفولة بقسميها حيث أنها المرحلة الّتي يقضي فيها الطفل جزءا كبيرا بالمدرسة الابتدائية الّتي هي مجال بحثنا .

فاذا ما نظرنا إلى الطفولة المبكرة ، وجدنا الطفل فيها يتكون من مجموعة من الميول والرغبات والعواطف ، ومزودا بقدر محدود من السلوك الفطري المتصل بالافعال الحيوية الاساسية ، كما هو مزود أيضا بقدر كبير من قابلية التعليم والقدرة على التعلم . ولكنه يكاد يكون مجردا عن التفكير المنطقي والتعليل والموازنة . لهذا فهو متروك للبيئة بأشكالها المختلفة تستغل فيه هذه الجوانب

وتمكنه من اكتساب ما يعينه لا على مجرد الحياة فقط وانما على تحسين طرائق الحياة ووسائلها والتقدم بها إلى ما هو أفضل .

وفي سنوات حياته الاولى على الرغم من قابليته للتعلم ، الا انه ينظر إلى الاشياء بمنظاره الشخصي ويقيسها بما يتفق وعواطفه ، لا بما تدل عليه من مقدمات ونتائج . وكثيرا ما يعلل المواقف والافعال بما يتفق وارادته ، ويختار من المحيطات المتعددة والمتنوعة التي ولد فيها ما يرضي عواطفه وينطلق برغباته إلى الغاية التي تصل بين الدافع والفعل ، فتمنحه الهدوء والسكينة والرضا .

ولا شك ان ما يحيط بالطفل في تنوعه العقائدي ، والاخلاقي والطبيعي والاجتماعي والاقتصادي والصحي وغير ذلك له تأثير كبير في عواطفه وانفعالاته ورغباته التي أشرت اليها . ومن خلالها ينتقل تصوره للاشياء الأبعد مدى في الرؤية والفهم . فاذا ما تقدم به العمر خطوات محسوبة داخل اطار اجتماعي معين أخذ يتغير ويتشكل تبعا للمحيط الذي يدور فيه . ولكن عواطفه تظل صاحبة السيادة على ميوله ورغباته وان كانت ترتقي بعض الشيء . فبدلا من نسبه الامور لارادته ورغبته ، ينسبها إلى الاجمل والاكمل ، او إلى والديه وهما في نظره الأجمل والاكمل . فاذا ما سئل عن الضوء او البحر او الشجر قال ان وجودها هكذا أجمل ، وليس لقوله هذا مقدمات رتبه عليها ، وانما هو تعبير غير مباشر يتفق مع رغباته التي تريد أن يكون كل شيء في حقيقته هو الاجمل والافضل . وغالبا ما يكون الاب بالنسبة للطفل في هذه الفترة من العمر هو البطل والعالم والقدوة الذي لا يتطرق اليه شك ولا يخفى عليه أمر من الامور . فاذا ما تعددت خبرة الطفل وتلونت بألوان مختلفة تتفق وما يدور في محيطه الاسري ، وتعدى هو السنة الرابعة من عمره

بدأت تعتريه الشكوك فيما كان يراه من أشياء . وفي قدرة الابوين على معرفة كل شيء ، وهنا يبدأ بحثه عن نفسه محاولا الاعتماد عليها ، وتتكون لديه نوازع المعرفة والتحليل للاشياء ومناقشتها .

وفي هذه الفترة غالبا ما تكون الاسرة حريصة على أن تعلم الطفل لغتها وان تنقل اليه طرائقها في مواجهة الحياة ووسائلها في الحفاظ على البقاء ، وعلى مفاهيمها عن المجتمع والدين والمثل العليا وغير ذلك من ميادين الحياة وبذلك تضع الطفل في قوالب حيوية وفكرية واجتماعية لا يستطيع الطفل مهما حاول أن يخرج عنها ، لانها تصبح بالنسبة له جزءا من تكوينه يشابه بناءه العضوي والعضلي ، وقد يعمل البعض على تغيير هذه القوالب أو تطويرها ، ولكنه يمكث زمنا طويلا في مقاومة ما استقر في وجدانه حتى يستطيع تعديله او تطويره . وحين ينطلق الطفل خارجا عن دائرة الاسرة ليدخل في دوائر اخرى أوسع وأشمل كالشارع والمدرسة والنادي وغير ذلك من المنظمات الاجتماعية ، يجد نفسه وسط مفاهيم ومثل وعادات وتقاليد اخرى يتأثر بها وينطبع بطابعها . فاذا ما اتسعت الدائرة أكثر وانتقل إلى مدينة اخرى أو إلى وطن غير وطنه ووجه بعادات وتقاليد جديدة تأثر بها أيضا ، وهكذا يظل في حركته وانطلاقه يأخذ من الحياة ومن الاحياء ، حتى اننا في عصرنا الحالي عصر (التلفاز) والصور المرئية من وراء الارض (القمر) وغيره من الكواكب التي يقوم علماء الفضاء باكتشافها ودراستها . نكاد نقول ان الطفل يتأثر بما يجري في الحياة كلها من عادات ومفاهيم ومثل ، لانه يشاهد ذلك او يسمعه من خلال الاجهزة العلمية الحديثة التي أصبحت الآن منتشرة في كل مكان . والتي ما أن يستطيع التمييز بين الاشياء والمقارنة بينها حتى يجدها أمامه بكل ما فيها من حسنات أو سيئات . لذلك فان المجتمع الاسلامي والبيت المسلم في

حاجة إلى قواعد ونظم ومناهج في حياتهم الخاصة والعامة ، تساعد أطفالهم على تمثل السلوك الاسلامي . وتوضح لهم من خلال التطبيق مبادئه الانسانية العليا ، ومثله في الحق والعدل والمساواة . ومبادئه في الاقتصاد والسياسة ، ومفاهيمه في العقيدة والعلم والعمل . وتقدميته الدائمة التي تنشد المحبة والسعادة والتعاون والاخاء والتقارب بين كل بني البشر. يحتاج الطفل، في هذه المرحلة مرحلة ما قبل المدرسة، إلى تلك الصورة الانسانية المسلمة ، حتى اذا ما انتقل إلى المدرسة ودخل في دائرة الرؤية الجديدة من العلم والعمل ، كانت للمعارف ومدلولاتها جذور في أعماق نفسه تساعده على التقبل في يسر ، وكان القول الاسلامي الذي سيساق اليه من القرآن والحديث والسيرة والتهذيب ، ليس قولا من العدم يتراقص كلمات على صفحات الكتب . بل فعلا وتطبيقا وواقعا عاشه الطفل وشاهده بنفسه في دائرة اسرته ومجتمعه ووطنه ، ومن خلال مشاهداته وما يقرع سمعه كل يوم .

وحكمة الاسلام واضحة في انه لم يكلف الطفل في هذه المرحلة أي أمر من أمور الدين . وذلك لأنه في دور البناء والتكوين وعلى عاتق الاسرة والمجتمع يقع العبء الاكبر في غرس الفضائل والمبادىء والاحكام الاسلامية في نفس هذه الطفولة البريئة وان يجعلوا من هذه الفطرة مصدرا حيا لاستقبال تعاليم الله الى الارض . ويتمثلوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل طفل يولد على الفطرة وأبواه هما اللذان يهودانه او ينصرانه) أي على فطرة الاسلام . (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لكلمات الله) ، وقد حدد الفقهاء وعي الطفل ومقدرته على التفريق بين الدابة والحصان أي بين الجنس والنوع في الامور التي يشاهدها في بيئته . واهتمام علم النفس بهذه المرحلة ، وكذلك اهتمام الاسلام بها لانها شديدة التأثير فيما بعدها . بل وتعتمد عليها اعتمادا جوهريا . حيث من اليقين ان ثقافة الطفل ، وعاداته وتقاليده ، ومادته

اللغوية والفكرية ، وتصوراته عن العقاب والثواب ، والرحمة وغيرها . كلها تتكون في نفس الطفل نتيجة لخبراته وعواطفه الناشئة عن معاملة أبويه له ، وكذلك بيئته الاسرية والخارجية التي سمحت له الظروف ان يتعامل معها في هذه الفترة من العمر . وكل كائن حي هو مثل الطفل في تفاعل دائم مع البيئة . وبوساطة هذا التفاعل يمكننا تغيير أطفالنا تغييرا كليا أو جزئيا اذا وضح الهدف لدينا واستطعنا نحن المعلمين أن نكون المجال الحيوي الاسلامي لهذا الطفل ليكتسب منه سلوك وعادات الفرد المسلم الذي ننشده ونعمل على تعريفه به في مناهج التربية الاسلامية . أما اذا كان مجال الطفل الذي يعيش فيه في البيت والمدرسة غير ما نعلمه اياه فان تعديل سلوكه واتجاهاته نحو المثل الاسلامية سوف يصطدم بحواجز من الصعب أن يتخطاها معلم مهما بلغ من الذكاء والعبقرية لأن كل معلم إنما يبدأ عمله التربوي مع الطفل من الثقافة الاسرية التي حصل عليها . من محبته لوالديه ، إلى التفكير في من خلقهما ورزقهما . من فكرة العقوبة على فعل ارتكبه فأغضب والديه ، إلى تصور العقوبة الالهية لمن يخالف أوامره . ومن تمثل رحمة الابوين ، لادراك رحمة الله يحمل الطفل هذه المعاني بين مدركاته في الطفولة وان كان لا يستطيع التعبير عنها . فاذا ما تلقاه المعلم بما يغذي هذه الجوانب فيه ، وجد أساسا يدفعه للاستجابة . لان عقيدته في الاشياء عاطفية ، وقد سيطرت عليه في مرحلة ما قبل التعلم عواطف الاعجاب والمحبة والخوف من الكبار ، وتحويل هذه العواطف نحو الله يلقى الاستجابة والتأثر لان فكرة الخالق عند الطفل تفوق في جانبها العاطفي كل ما عرفه من أنواع العظمة والتقدير والمحبة والخوف . لذلك فان غرس التعاليم الاسلامية في نفوس الاطفال ودعوتهم إلى العمل بها عملية يشترك فيها البيت والمدرسة بقدر متساو من الهمة والاخلاص .

وحين يصل الطفل إلى المرحلة الثانية من طفولته (السادسة من عمره)

وهي مرحلة قبوله بالتعليم الابتدائي ، نرى ان هذا الطفل في حاجة إلى من يعينه على ان يحيا حياة انسانية كريمة بمعناها المادي والروحي . الفردي والاجتماعي القوم والانساني . لانه خرج من دائرة البيت إلى عالم آخر يختلف في تكوينه ومدركاته عما ألفه من فترة طفولته الاولى ، ومعاونته على التكيف معه ، اذا بدأت من منطلق اسلامي استطعنا أن نعمل على تكييف الانسانية ، وتطورها من خلال هذا الفرد الانساني ، لان الاسلام دين الانسانية ، ومبادؤه وأحكامه انسانية ، والتكيف معها يخلق مجتمعات مهما تباعدت انسانية المنهج والسلوك . والطفل في هذه المرحلة يقوم ادراكه على الملموسات ويعتريه الشك فيما لا يراه لذلك يجب على المعلم أن يكون متفهما لمكونات نفس الطفل ، وان يتدرج معه في الامور الدينية من الملموس إلى الغيبي ، وأن يحاول الوصول إلى اقناعه بما يعرضه عليه متخذا لذلك الوسائل التي تربط بين عواطفه السابقة والافكار الجديدة التي تعرض عليه . لان النفس الانسانية كل لا تتجزأ والتربية عملية شاملة تتناول الانسان جسده ونفسه؛ عقله وعاطفته، سلوكه وشخصيته ، مواقفه ومفاهيمه ، مثله وطريقة حياته وطرائق تفكيره . والدين يشمل كل هذه الجوانب فاذا ربطناها بالطفل وربطناه بها استطعنا ان نجعل مفهوم الدين لديه ليس عملا تقليديا عن الاباء والاجداد ، وليس عملا غيبيا يتوهمه الانسان ولا يجد أثره او يعيش فيه . وهذه أول واجبات معلم التربية الاسلامية منذ اللحظة الاولى التي يلتقي فيها مع تلاميذه لاول مرة . وبهذه الطريقة سنجد ان عقيدة الطفل الدينية تزداد قوة وتطورا نحو المعقولية كما هي طبيعة هذه المرحلة من حياته . ويجب على المعلم أيضا أن يعرف ان الطريقة التي يتعلم بها الطفل قيمه تترسب في ذاته ، وتؤثر تأثيرا عميقا في تقبله لهذه القيم او رفضها . فطريقة المعلم وأسلوبه ورفقه بالاطفال وقربه منهم في دروس الدين خاصة ، قد يدفع بنمو الذات لديهم إلى مستويات

أعلى في الاداء الديني فهما وسلوكا ، وقد يؤدي بالعكس إلى الجحود والتمرد على هذه القيم فهما وسلوكا أيضا ، لذلك اهتمت معاهد التربية بدراسات علم النفس وأصول التربية لطلابها حتى يتمكنوا من فهم مراحل نمو الطفل وعواطفه وانفعالاته ، ليتجنبوا مثل هذا الموقف الذي يعطي مردودا معاكسا لما تهدف اليه التربية . والشعور الديني عند الطفل يتطور بتطور خبرته ومفاهيمه عن الحياة والاحياء فاذا كان الطفل قبل السابعة لا يجد التعليل المنطقي لعملية « الموت » فإنه في هذه السن يدرك ان الموت شيء يقع على الرغم من الانسان وعلى الرغم من كل ما حوله من أهل واطباء ومال وصحبة، ومن هذا الادراك يلتقط الدليل الذي ينقض الاساس الذي كان يبني عليه تصوراته للامور بالعاطفة والرغبة . ويبدأ في معرفة انه ليس مطلق الذات والرغبات ، وان هناك قوى خفية تفوق سلطانه وقدرة من يعرف من البشر . وعلى المربي ان يتدرج مع الطفل في بيان فكرة الموت وما يسبقه من مقدمات المرض والضعف وكبر السن ، وأن يسوق له الامثلة التي توضح ذلك من تكوين الثمار ثم نضجها وفي النهاية قطفها أو سقوطها . ويبين حكمة الله من ذلك في تداول الحياة والاحياء ، كما يجب عليه أن يساعده في فهم الظواهر الكونية ودور القدرة الالهية فيها خلقا وتنظيما وتصريفا ، كالسحاب المسخر بين السماء والارض وسقوط المطر منه ، وسير الرياح ، وتناوب فصول السنة وحركة النجوم والافلاك وأثرها في الارض . ونحن نعلم ان الطفل يتلقى بعض المعلومات عن هذه الظواهر ويتدرج فيها بتدرج عمره وسنوات دراسته . فاذا بين له معلم الدين ان هذه الظواهر ترجع إلى ارادة حكيمة مديرة تصرفها كيف تشاء ، ساعده بذلك على تفهم جوانب من القدرة الإلهية . وأعانه على الربط بين التقارير العلمية والاحكام الدينية . لان الطفل اذا تعلم ان الشمس هي التي تبخر الماء ، والرياح هي التي تسوق البخار ، ونزول درجة الحرارة

هو الذي يكثف ذرات الماء فتهطل مطرا تصور سيطرة الطبيعة على نفسها ، فاذا ما استطاع المعلم أن يبين له ان الشمس وحدها لا تعمل وان الماء أصلا له خالق ، وان حركة الرياح لها سلطان يصرفها ومن هذا كله يأتي المطر بأمر وحكمة ، قضى على الازدواجية بين العلم والدين وأرجع كل شيء إلى أصله ومصدره . ومن هنا كانت مهمة معلم الدين مهمة صعبة . وقدرته العلمية والدينية يجب أن تكون فوق مستوى ما نراه ونعرفه من معلمي هذا العصر الذي نحن فيه . واذا كنا نريد نجاح التربية الاسلامية فعلا في مدارسنا ومجتمعاتنا ، فعلينا أن نشمل معلمها برعاية خاصة وعناية فائقة في اعداده اعدادا اكاديميا يقوم على البحث والتقصي في كل جوانب الدين فكرا وعقيدة وفلسفة ومنهجا وتطبيقا واذا أراد هو أن يؤدي رسالته بصورة ترضي الله والناس فعليه أن يكون قادرا على اقناع تلاميذه في مثل هذه المواقف وان يتبع معهم وسائل القرآن في الاقناع . فيبدأ بالملمو س ويتدرج منه إلى المتصور ليصل في النهاية إلى المعقول . ولا يترك تلاميذه عند نقطة عقائدية الا بعد أن يقنعهم بهذه الطريقة حتى لا تكون مسائل العقيدة في نظرهم مجرد طلاسم لا فكر فيها ولا حل لها ...

الطفل وعملية الميلاد والخلق

كل طفل ما ان يصل إلى مرحلة الادراك حتى يبدأ في التساؤل . من أين ولدت ؟ وفي أي مكان كنت ؟ وكيف سرت وتكلمت وغير ذلك من الاسئلة التي يبدأها طفل في الثالثة من عمره وتظل معه حتى السابعة أو الثامنة تقريبا ، وكل ما يسمعه من اجابات عنها لا تقنعه وان كان يظهر رضاه عنها في وقتها لانه لا يملك تعليلا غير ذلك . وبعض الاطفال في سن الخامسة

يعتقد ان الله أوجده في بطن أمه من مجموع الغذاء الذي تتناوله ، وبعضهم يتصور انه وجد هكذا كما هو بشكله وحجمه . وان امه ولدت أباه كما ولدته فاذا ما وصل إلى السابعة من عمره راح يفكر إلى ما هو أبعد من ذاته وذات أبيه ، فيسأل عن الانسان الاول كيف ولد وكيف وهو فرد واحد امتلأت الدنيا هكذا ؟ وهنا يبدأ تلمس الطريق نحو معرفة الخالق والبحث عنه . لذلك كانت المرحلة الابتدائية هامة في تكوين العقيدة على أسس صحيحة . وفي الاجابة على كل التساؤلات التي أرقت هذا الطفل منذ أدرك حتى جاء إلى المدرسة فاذا كان معلم التربية الاسلامية على درجة من العلم والكفاءة استطاع أن يجيب على كل هذه التساؤلات ، وان يربطها بالجوانب الفكرية والمنطقية في العقيدة الاسلامية . التي توضح ان الكون كله خلق من فيض الله . وان ذات الله تعالى هي التي أوجدت هذا الكون كما يشهد على ذلك كل شيء في الوجود . بدءا من الحشرة الصغيرة إلى الجبل الكبير . إلى السماء والافلاك والهواء والفضاء . كل شيء بمقدار . وكل حركة بحساب ولا يكون ذلك الا من صنع خالق حكيم قادر . وكل هذه الدلائل تقودنا إلى التسليم لهذا الخالق ، تسليما فرضته علينا قوى الطبيعة القاهرة وقبله العقل والمنطق ، لانه يتفق مع الحقائق التي نشاهدها وتمر بنا أحداثها في كل يوم .

واذا كانت العملية التعليمية تعنى أول ما تعنى بخلق الملكات ، والعمل على اتساعها وتنميتها ، فان الطفل معرض بناء على ذلك ، إلى تصعيد أفكاره وتساؤلاته . لنراه في وقت من الاوقات يطلب لكل معلول علة ، ويحاول تطبيق ذلك بالنسبة للذات الالهية ، والاجابة عن هذه الاشياء بالنسبة للاطفال يعد أمرا حيويا يتصل بالتوافق بين الدين والحياة ، وبين الاوامر الالهية والفكر الانساني الذي يطرق على التلميذ بابه في كل لحظة . ولكي تكون الاجابة

سليمة ومقنعة يجب أن تنال الطفل من ناحيتيه النفسية والعقلية ، وفي الناحية النفسية سنجد الامر سهلا ، اذ بيان عجز الطفل عن خلق حشرة أو زرع عضو او اعادة الحياة لميت ، وربط ذلك بأمثلة تبين عجز من هم أعظم منه وأكبر ، كوالديه ورؤساء الدول وقادة الجيوش والعلماء والحكماء . عجزهم عن رد الموت عنهم ، أو مقاومة المرض ، ومنع العواصف والزلازل وغير ذلك مما هو مدار عجز الانسان ، كل هذا سوف يريح الطفل نفسيا . وهنا ننقله إلى الجانب العقلي الذي به يتضح له الكمال الالهي في قدرته وعظمته وحكمته . تلك القدرة والعظمة والحكمة التي تقتضي الا يكون هناك رب سواه . والتي تدعونا إلى التفكر في مخلوقاته الهائلة حتى لا نناقض أنفسنا ونتساءل عمن أوجد الله . اذ لو احتاج الله إلى من يوجده لكان ضعيفا مثلنا ، ولكان هذا الكون فاسدا على غير نظام ، يعتريه المرض ويحطمه الضعف ، وتتداخل أشكاله وألوانه ، فلا يكون على ما هو عليه من تناسق بديع ومعجز . وبسكون النفس واطمئنان العقل يتبيين الطفل أن مثل هذا التساؤل مناف للايمان بالله عز وجل وبكماله وقدرته التي نلمسها في كل شيء . ومعلم التربية الاسلامية يستطيع أن يلمس هذا الجانب في كل درس من دروس الدين . وان يجيب عن هذه الاسئلة قبل أن تصبح مركز ثقل على نفسية التلميذ ومدركاته . وكلما كان المعلم دقيقا وواضحا ، كان تقبـــل التلاميذ لهذه النتائج سهلا وميسورا . ولا أكون مغاليا اذا قلت ان رسوخ العقيدة او اضطرابها انما يتكون في هذه الفترة من المرحلة الابتدائية . وان دور المعلم فيها أكبر من دور الاسرة والمجتمع وانه بسلوكه ومنطقه واعتداله يظل يلاحق تلاميذه حتى بعد فترة المراهقة . وليس معنى هذا ، الغاء دور الاسرة والمجتمع ، وانما هو بيان لمراكز التأثير في ترتيبها وأولويتها .

فالمدرسة ومعلم التربية الاسلامية أولا .

ثم يأتي دور الاسرة مساعدا وموضحا .

وتكتمل الحلقة بالمجتمع وما فيه من مؤثرات وعبر .

الطّفولة والخير والشّرّ

يظل الطفل – في مرحلة الطفولة الاولى – يتصور ان الخير هو ما حقق له رغباته وان الشر هو ما يقاومها او يقف في طريقها . حتّى اذا ما انتقل إلى مرحلة الطفولة المتأخرة – أي دخل في السابعة من عمره – بدأ يسأل عن الحسن والقبيح ويتعرف من خلال تجاربه على لون كل منهما . فهذا حسن لانه يرضي والديه واخوته وأصدقائه ، وهذا قبيح لانه يغضبهم . ويظل هذا الانطباع لديه ، حتّى يتعرف على مسائل الدين والخلق ، فينتقل بفكره إلى ادراك ان الخير هو ما يتفق وأوامر الله ، وان الشر ما يخالف ذلك . حتّى اذا ما وصل إلى التاسعة من عمره ، وتقدم به التعليم بعض الشيء ، واتسعت خبرته بالواقع ، وتعقدت صلاته الاجتماعية ، ارتقى حسه ونمى ادراكه وفكره فأصبح يرى الخير في أمور كثيرة لا يفعلها الناس ، والشر في أمور أكثر يرتكبها الناس . وبذلك يحس بدافعية تسوقه إلى الله ، وإلى حبه والاهتمام بتعاليمه . لانه سبحانه هو وحده الذي يمكن أن يحقق له العدل والانصاف . ويقاوم الظلم ، ويدفع الشر عنه . وفي هذه الفترة تبدو أهمية معلم التربية الاسلامية ، اذ يستطيع أن يستغل هذا التطور الطبيعي في الطفل ، فيعمل على تقوية عقيدته بالله ، تلك العقيدة التي سيرى فيها الطفل خير عون له على تقبل ما يتعرض له من آلام الواقع وصراعات الحياة . والتي سوف تمسح عنه الكثير من صنوف الحرمان والوهم والخوف ، وتعمل على تقوية شخصيته واستعدادها للتضحية والفداء ومعاونة الاخرين .

وهكذا يصبح فعل الخير له مدلول عند الطفل ، وامتناعه عن الشر يصبح أشبه بالقربان يقربه إلى الله لينال عفوه ورضاه ومحبته . وصلاة الطفل في هذا العمر لها أثر عميق في نفسه ، لانها منه تخرج خاشعة لا يدخل فيها رياء او نفاق أو غفلة ، ويكون ارتباطه فيها بربه أقوى مما كان عليه في أي وقت مضى . لانه أدرك معنى التوسل إلى الله ، واتضح له صوت الحق في عظمته وسلطانه ، ودعاه خوفه منه إلى التوسل اليه ان يعينـــه على نوازع الشر في نفسه ، وأن يهديه إلى طريق الخير والحق والايمان . ولهذا كان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ان نأمر أولادنا بالصلاة لسبع وأن نضربهم عليها لعشر (أي اذا لم يصلوا حتى العاشرة) . ومتابعة الاطفال في الصلاة وخاصة بالمدرسة أمر يجعل من التربية الاسلامية حقيقة واقعة . لان الطفل حساس اذا وجد القول يخالف الفعل اهتزت لديه كثير من القيم . فاذا علمناه الصلاة وفضائلها ، وتركنا نحن الصلاة ، أو تركناه بلا دافع يدفعه اليها ، فكأننا بذلك ، نقول له تعلم النفاق والكذب . وكل تعاليم الاسلام كذلك . تحتاج منا إلى متابعة وتهيئة الجو الذي يشعر فيه التلاميذ بحقيقة هذه التعاليم وفضلها على غيرها .

الطفولة المتأخرة والروحانية

يتحول الطفل في العاشرة من عمره إلى طاقة روحانية مستعدة لتقبل الاوامر الالهية والامتثال لها أكثر من أي فترة اخرى في حياته الماضية والمستقبلة . ويتجه بفكره إلى الله مدركا جوانب التنزيه والوحدانية والقدرة لديه . ومتقبلا لهذه الصفات تقبلا نفسيا يشعر معه بالراحة والرضا والاطمئنان . ويرجع ذلك إلى رقي فكره ، وتنوع خبرته ، واتساع مدركاته ، واحتكاكه مع مظاهر

الطبيعة الدالة على خالقها ومبدعها . وقدرته في هذه المرحلة على التأمل والتخيل ، مما يساعده على تصور عظمة الذات الالهية وعدم القدرة على رؤيتها او تشبيهها بشيء ، وهو في تمثله لهذه الاشياء يتفق مع فطرته ، ومع طبيعة المخلوقات التي هي مساقة دائما إلى الامتثال والخضوع للقوة العليا المسيطرة على هذا الكون . والطفل في هذا العمر أرقى المخلوقات وأنقاها روحيا وجسديا ، حيث هو بعيد عن الادناس لم تدخله بعد عوامل الحقد والحسد والطمع . ولم تسيطر عليه الشهوات والاهواء . لذلك نراه اذا ما وجه الوجهة السليمة نحو الايمان والخير اندفع اليهما في تعلق وشوق . ودور التربية الدينية في هذه الفترة يقوم على تعليل الاشياء له تعليلا مقبولا ، وربط الامور الغيبية بالواقع المشاهد في حياته التعليمية والعملية .

وكلما كان معلم التربية الاسلامية واعيا لاهدافها ، متمثلا لمواقف الحق والجمال فيها . كانت قدرتـــه على تثبيت تلك الاهداف وتمثله لتلك المواقف في نفوس التلاميذ أدق وأنفع . فالمعلم الذي يبين ان الله شديد العقاب ، ولا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء ، وينسى ان الله غفور رحيم ، ويقبل التوبة من عباده ، ويحب التائبين ويتقرب اليهم ، هو معلم آلي . ما ان تخرج المعلومات منه حتى تصطدم بجدران الصف الذي يقف فيه . لا تتعداه إلى فكر التلاميذ وسلوكهم واتجاهاتهم . لذلك أدعو إلى أن يكون معلم الدين متخصصا ومختارا بطريقة دقيقة وواعية . وأن يجري تدريبه دائما على تحسين مواقفه والارتقاء بها في دروس الدين ، والعمل على ايجاد المجالات له ليتصل بتلاميذه وبيئاتهم ومجتمعاتهم الاسرية .

وقد عرف المربون المسلمون قديما ان لدى الطفل ميلا طبيعيا لحب الثناء والظهور ، فمدحوه على ما يبدو منه من قول حسن او فعل جميل ، وشجعوه

بكل الوسائل على الاستمرار في المحافظة على مكانته لديهم ، وعلى الاجتهاد الدائم في اصلاح نفسه . ولم يكثروا من لومه وتوبيخه حين يظهر حبه لنفسه او رغبته في شيء . لان الاكثار من التأنيب يميت قلب الطفل ، وكلمة صغيرة من المدح والثناء تصلحه وتهذبه ، وتقوم خلقه . لانه يميل لذلك بفطرته ويكره اللوم والتجريح واساءة الظن به . ومعلم التربية الاسلامية يجب أن يلاحظ ذلك . وأن يتخذ من دروس الدين وسيلة لتحقيق ما يريده من العادات الحسنة لدى الاطفال ، وتهذيب أخلاقهم ، وتعويدهم فعل الخير واجتناب الشر . وان يعمل جاهدا على أن يكون المثل والقدوة .

الدّينُ وإشبَاعُ الحَاجَاتِ

للطفل في مراحل نموه المختلفة حاجات نفسية متعددة ، ومن أهم وظائف التربية العمل على تلبية هذه الحاجات ، بالطرق والوسائل التي تحقق له الأمن والاستقرار ، وتساعده على تقبل مجتمعه الذي يعيش فيه ، وتيسر له ما يراه من مظاهر الطبيعة التي تحيط به .

وطفل السادسة القادم إلى المدرسة الابتدائية ، طاقاته واستعداداته منطلقة لتقبل كل جديد ، انه في عمر توسعي مستعد لعمل أي شيء ، شهيته للخبرات الجديدة عظيمة . ولكنها تقوده إلى الرغبة في كل شيء ، وتجعل من الصعب عليه أن يختار بين بديلين ، لانه يريد الاثنين معا . كما انه لا يتقبل النقد أو اللوم او العقاب . انه يريد أن يكون على صواب دائما . وهو بحاجة إلى المديح والربح والغلبة . وهو من الصلابة وعدم القدرة على التكيف في علاقاته مع الاخرين بنفس المقدار الذي كان عليه حين كان عمره سنتين ونصف . ويرى ان الاشياء يجب أن تؤدى على طريقته ، وعلى الاخرين ان يخضعوا له . اذا ما ربح فكل شيء طيب . أما اذا ربح الاخرون فانه يبكي ويتهم الاخرين بالغش . يصبح عطوفا وحماسيا اذا سارت الامور على ما يتمنى . وينفجر ويبكي ويثور اذا سارت على غير ذلك [١] . ان الطفل في هذا السن

---

(١) انظر سلوك الطفل ص ٦٩ وما بعدها (لفرانسيس لـ . ابلغ . ولويزب ، ايمز) ترجمة فاخر عاقل .

يمر بوقت عصيب في داخل نفسه وفي علاقاته مع الاخرين . لذلك علينا أن نلجأ في تعديل هذا السلوك إلى الدين . وان نشبع حاجة الطفل عن طريق القيم الروحية التي لها في نفسيته أكبر الأثر ، وان نعتمد في ذلك على الوسائل والطرق التي توضح للطفل ان الاسلام ما جاء الا تلبية لحاجات الانسان وتنظيم حياته النفسية والاجتماعية . وان هناك قوة عليا تساعده في كل ما يقول ويعمل . وان هذه القوة هي التي تحقق له الأمن والاستقرار . ولا يرضيها تصرف قبيح او فعل شائن . ونبين له ان علاقة المحبة بين الناس ، تنقل الانسان إلى علاقة من المحبة بينه وبين الله .

اذا استطعنا أن نبين للطفل هذه الاشياء بطريقة محببة اليه ، وبأسلوب سهل مشوق أمكننا من خلال ذلك أن نعدل سلوكه ، وأن نشبع حاجاته .

والانسان بطبيعته ككائن حي . يعمل جاهدا ليحقق الامن لنفسه ، بالمسكن والغذاء والكساء . ولكنه على الرغم من توصله لتحقيق ذلك في حالات كثيرة ، يظل يشعر بالخوف والرهبة أمام حوادث الطبيعة ومشكلاتها الكبرى ، من عواصف وزلازل وبراكين ومخلوقات غريبة يعمل العلم جاهدا على مقاومتها ، كحشرات الامراض وميكروباتها . وآفات الزراعة وأنواعها المتعددة . والطفل أمام هذه الاشياء تنفذ إلى ذهنه أسئلة ملحة تبين حاجته إلى معرفة هذه الاشياء والتعرف على مصادرها ليشعر بالاستقرار والامن . فهذه الغيوم من أين تأتي وإلى أين تسير ، ومن صنعها ، وهل تحرق من يخترقها أو يمر فيها . والجبال كيف بنيت ومن أوجدها ولماذا ؟ والعواصف والامطار والانهار والبحار والنجوم وغير ذلك . كلها موضع تساؤل لدى الطفل . والاسلام يجيب عن كل هذه الاسئلة اجابة عامة تريح الطفل وتنقله من عالم التساؤل إلى عالم التدبر . (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) .

(فلينظر الانسان إلى طعامه . انا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولانعامكم) . (ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) . وبعد هذه الاجابات العامة يترك الاسلام التفاصيل لمواقف محددة وسن معين ، ينطلق فيه الانسان ليحقق ويجرب ويقارن . وبهذا يطمئن الطفل على نفسه ازاء هذه الظواهر والكائنات . ويجد لديه الشجاعة ليخوض الحياة بلا خوف ولا عقد .

وفي الوقت نفسه يدرك ان خالق هذه الكائنات هو خالقنا . وانه خلقها ليستخدم الانسان معظمها ، ويتلقى شر بعضها امتحانا وابتلاء ، ليكون ذلك حافزا له على التفكر والحذر والجد . واستخدام العلم بكل ابعاده ومكوناته ليدفع عن نفسه خطرها . وليكون سيدها كما أراد الله له ذلك (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) .

وكما ان الطفل في حاجة إلى الامن والاستقرار . فهو في حاجة إلى المحبة والرضا .

كل طفل في جميع مراحل نموه يشعر بالحاجة إلى الحب والارتواء منه ، ونراه في مراحل طفولته الاولى (قبل التعلم) شديد التعلق بأبيه وأمه . كما نجد أن ثدي أمه يمثل في نظره قمة الحب والتعاطف ، فيلجأ اليه كلما غضب او اعتراه ضيق أو خوف . وعندما يدخل مرحلة الطفولة المتأخرة (مرحلة التعلم) ، ويبتعد عن الثدي وربما عن أحضان أمه تشتد حاجته إلى الحب ، ويصبح في حاجة إلى أن يحب ويحب . والدين برحمته وتعاطفه وفطرته

وتعاليمه . هو أكبر الاشياء لارواء هذه الرغبة عند الطفل لان التربية الدينية تشعره بأنه أخ وصديق لكل هؤلاء الذين يشاركونه في العقيدة . وان الله تعالى يرفعه ويجزل له العطاء ويحبه ويقربه كلما أوغل في هذه الاخوة وتعمق فيها . ويدعوه الدين إلى أن يعاشر الناس والزملاء والاصدقاء معاشرة قوامها الاخلاص والتعاون والمحبة . فهو في ظل الدين يجد الطمأنينة كلما قرأ كلام الله أو قام بالعبادات ، كما يشعر بالحب الالهي الذي لا يعدله حب او رضا . وتشتد الرابطة الاخوية بين المؤمنين كلما اتجهوا إلى الله فيزداد الحب الخالص بينهم ويذهب عن النفوس حقدها وحسدها فتحب وتحب من الله ولله .

الطفل والمكافأة والتقدير .

يحاول كل طفل أن يسترعي انتباه الاخرين ، وأن يجذب الانظار والقلوب نحوه ؛ وغايته من ذلك الحصول على تقديرهم ومكافأتهم . فإذا لم يجد استجابة تمرد ، وربما أدى ذلك إلى الشذوذ وارتكاب بعض الاشياء التي تضره أو تضر الاخرين .

والتربية الدينية خير وسيلة لارواء هذه الحاجة ، ودفعها إلى الاتجاه الصحيح الذي يحقق الخير للطفل ولمجتمعه الذي يعيش فيه . والاسلام يهتم بالطفل اهتماما كبيرا . ويحث الاباء والمعلمين على معاملته معاملة راقية تتصل بابعاده النفسية والجسدية والخلقية والاجتماعية . وان يقوم ارشاده على عوامل من المحبة والصداقة والتعاون . وفي تعليم الاطفال للصلاة وحثهم عليها بين السابعة والعاشرة ، نداء لهم ليتعرفوا على الله تعالى ويتقربوا اليه بصالح الاعمال كالكبار تماما . وهم في الصلاة يقفون مع الكبار ويفعلون فعلهم ، وفي ذلك تعظيم لهم وتقدير لقيمتهم . ويروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة ، كلف طفلا يؤم المسلمين من أهل المدينة في الصلاة ، وذلك لانه كان

اقرأهم لكتاب الله . فاشترى له المسلمون ثوبا يصلي فيه . قال : (فما فرحت بشيء ، فرحي بذلك الثوب) . فان كان ذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاننا نحن المعلمين يجب أن ندرك أبعاد هذا الموقف، وان نتعلم كيف نُشعر الطفل بمكانته ومنزلته عند الله تعالى ، حين يطيعه ويؤدي الفرائض ، ويتقرب اليه بالسلوك الحسن ، والقول الطيب . وبهذا نصعد حاجته إلى التقدير ، ونجعلها تروى باستمرار من معين لا ينضب . والطفل لا يحتاج في ذلك الا الى التذكير في جو من الايمان والخشوع وأن يلمس في روح معلمه الحماس والثقة بالنفس والاخلاص والمحبة وبهذا نتمكن من اشباع حاجة التقدير اليه ، ونجعله يزداد ايمانا واقبالا على الله سبحانه .

واحب أن أوضح هنا ان الاسلام بآرائه وتعاليمه لا يعمل على اقناع الفكر واثارة الانفعالات الوجدانية فحسب ، وانما يعمد إلى التطبيق الذي يبرز العقيدة ، ويبين الترابط بين جانبي الايمان النظري والعملي . لذلك فان دور معلم التربية الاسلامية يعد دقيقا من هذه الناحية ، ومن ناحية شخصيته وأقواله وأفعاله . حتى لا يجد الأطفال أنفسهم أمام تضاد، يجعلهم يؤمنون بعقيدة نظرية ليس فيها المكانة الاجتماعية والواقعية . وبذلك تضعف هممهم وتهن عزائمهم ويشعرون بالخيبة . بل ويتعلمون النفاق والكذب لانهم يعتنقون عقيدة ذات جانب عملي كبير ، ويتعلمون أصولها وأبعادها في النفس والروح والخلق . ولكنهم يرون من يعلمونهم اياها لا يطبقون من تعاليمها شيئا . وهم ان غفروا للبيت والشارع تقصيره في أمور الدين ، فانهم لم ولن يغفروا للمعلم او للمدرسة هذا التقصير . وبناء عليه فان منهج التربية الاسلامية في المدارس الابتدائية بالذات ، يجب أن يكون تطبيقيا أكثر منه نظريا . وأن يقوم بتدريسه جماعة يمتازون بالعلم والعمل وحسن الخلق .

الطفل بين البيت والمدرسة

أ ـ في البيت :

تعد الاسرة عبر عصور التاريخ القديمة والحديثة مؤسسة تربوية ، تتعهد الطفل جسدا ونفسا ، علما وعملا ، فهي ترعاه وتسهر عليه جسديا ، وتحميه وتصونه نفسيا وتعلمه طرائقها في الحياة ، وتنقل اليه خبرتها ومعارفها ومهارتها .

وقديما كان الطفل يرث مهنة الاب ، وتكفي الاسرة ذاتها بذاتها ، ويعرف كل فرد فيها مهمة منوطة به في نظام اجتماعي دقيق ، ينحدر من شيخ القبيلة حتى يصل إلى الاب والبيت الذي يسيطر سيطرة تامة على الطفل ، ولا ينازعه منازع في ذلك الا العشيرة او القبيلة فيما بعد . وتتولى هذه الجماعة الاسرية أيضا الناحية الروحية الدينية . ومن هنا كانت أهمية الاسرة من الوجهة التربوية بالغة حيث لا ينازعها منازع ولا يتحكم في أمور الطفل سواها الا بعض التقاليد القبلية السائدة . وحين استقر الانسان وزرع الارض وبنى القرى والمدن ، وتطورت المجتمعات المدنية إلى ما هي عليه اليوم ، تغير الحال ، وتغيرت تبعا لذلك وظائف الاسرة التربوية ، فتخلت عن الكثير من وظائفها وأعمالها وواجباتها لمؤسسات اخرى كالمدرسة والمسجد والنادي والمسرح والسينما ومنظمات الشباب وغير ذلك من المؤسسات ، حتى لقد تساءل علماء التربية عما اذا كانت أهمية الاسرة قد تضاءلت من وجهة تربوية أم انه بقي لها من الاهمية الشيء الكثير ؟

ونحن نرى ان وظائف الاسرة التربوية ما زالت قائمة ، وان كانت قد تخلت عن الكثير من الوظائف بسبب انشغال الاب والام بأمور الحياة التي أصبحت تفرضها عليهما مسئوليات العصر الحديث . ولاعتمادها أيضا على

دور الحضانة ورياض الاطفال ، التي دعت ظروف عمل الاب والام ترك أولادهم فيها أكبر فترة من فترات الطفولة المبكرة . ولكننا مع هذا نلاحظ اهتمام الاسر بأطفالهم أكثر مما كانوا يفعلون في الماضي ، وان الطفل لم يعد كما كان مهملا لا يشعر الابوان به الا عندما يريدان توفير الطعام والشراب والكساء له . وانما أصبح عنصرا هاما من عناصر الاسرة ؛ وصارت الامهات والاباء يعنون عناية شديدة بتعليم الاولاد وتربيتهم . وفي البلاد المتقدمة أصبحت الابوة والامومة علما وفنا يتعلمهما الاباء والامهات في المدرسة وفي المؤسسات المختصة . وازداد التعاون نتيجة لذلك بين البيت والمدرسة ، وصارت المدرسة في الدول المتقدمة تدار من قبل اولياء أمور الطلاب . وبلغ التعاون بين الاهل والمعلمين مبلغا أصبح معه للأهل كلمة مسموعة في وضع المناهج واختيار البرامج وتنظيم خطط الدراسة وتنسيق الفاعليات المدرسية بين العلم والعمل . وهكذا أصبح دور-الاسرة في تربية الابناء أكثر اتساعا وأبعد عمقا مما كان سائدا في المجتمعات البدائية والمتأخرة .

ولذلك اهتم علم النفس بدراسة الطفل ومشاكله وحاجاته الاسرية ، وبين ان الطفل دائما في حاجة إلى أن يحب ويحب ، في حاجة إلى العطف والرعاية ، وان كثيرا من الاضطرابات العقلية والنفسية التي يصاب بها الطفل انما ترجع إلى افتقاده للمحبة والعطف . فليس يكفي أن تطعم العائلة وليدها وان تكسوه وأن توفر له حاجياته المادية ، وانما لا بد لها أولا وقبل كل شيء ان توفر له الحنان والعطف اللذين لا يستطيع أن يحيا بدونهما ، والطفل في حاجته للمحبة شديد الحساسية. شعوره بالعدل مرهف ، وشعوره بأقل المظالم يتصف بالمرارة ، لا فرق في هذا أن يكون حرمانه من العطف على حساب أخيه الاصغر أو الاكبر ، على حساب شقيقه او شقيقته بل وحتى

على حساب أحد والديه . ولقد دلنا علم النفس التحليلي على ان الطفل يغار من أمه وأبيه ، من اخته وأخيه ومن الطفل الضيف فهو يطالب بحقه من المحبة والعناية والرعاية ويحرص على أن ينالها كاملة غير منقوصة . ولقد ثبت ان الكثير من تصرفات الطفل المرضية التي تبدو وكأنها مردودة إلى أسباب جسدية ، انما أصلها في الواقع نفسي ويعود بالذات إلى غيرة الطفل . إلى شعوره بالاهمال ، إلى افتقاده للمحبة . وميل بعضهم إلى العناد ، والبكاء ، والغضب والتخريب يرجع إلى حاجتهم للمحبة وشعورهم بافتقادها . ولا شك ان الجو العائلي وما يكتنفه من نوعية العلاقات كاضطراب الجوابيّ . او اضطراب علاقات الاب بالام او العكس ، او اضطراب علاقات الاخوة ، او اضطراب علاقات الاسرة بغيرها من الاسر . له علاقة كبيرة بجنوح الاطفال وتمردهم ، كما ان افتقاد الطفل للمحبة يدفعه إلى الخروج على مجتمعه وميله إلى الانتقام منه . وليس هناك شيء يجعل الطفل مستقيم الطبع معتدلا في انفعالاته ورغباته ، كانتظام الاسرة ورعايته بالمحبة والعطف [1] .

وعلينا أن نعلم ان الطفل يعتمد في كل شيء على مجتمعه ، سواء كان مجتمع الاسرة أو المجال المحيط به ، وانه في حاجة إلى من يعينه على التمييز بين الخير والشر بين الصحيح والخطأ ، بين الاخلاقي وغير الاخلاقي ويبين له ما يسمح به الدين والعادات والتقاليد وما تنهى عنه . انه محتاج إلى تكوين شخصيته وتهذيب طباعه وبناء ذاته بناء يمكنه من أن يميز هو نفسه بين ما يجوز وما لا يجوز ، وان يقرر هو نفسه واجباته ويعرف حقوقه ويتصرف بوحي من ضميره . أي يستطيع التحرر من معونة الاخرين . وهذا ما يمكن أن نسميه بالتربية الاستقلالية . التي تجعل من الطفل في مستقبل أيامه انسانا قادرا

---

(١) انظر معالم التربية من ص ٥٣ إلى ص ٨٢ للدكتور فاخر عاقل .

على الاعتماد على نفسه ، وخوض الحياة بلا خوف ولا عقد ، والتي تجعل منه انسانا اجتماعيا قادرا على الاسهام في بناء مجتمعه والعمل على رقيه وتقدمه . ومهما يصنع الاباء لاولادهم من ثروة او جاه او سلطان ، لا ينفعهم ذلك كما ينفعهم اعتمادهم على أنفسهم ، وقدرتهم على تدبر أمور الحياة وتخطي عقباتها .

والتربية الاسلامية تهتم بالطفل منذ ميلاده ، لانها ترى فيه الفطرة الانسانية التي تنزع إلى الدين والايمان ، وان أبواه هما اللذان يؤثران فيه عملا وقولا . وفي الحديث (كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه او يمجسانه) وقال تعالى (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) (انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون) . وقد خلق الله الانسان متدينا لسليقته وفطرته ، ولكن الاسرة هي التي تملي عليه ارادتها وفكرها فينطلق بهما إلى الحياة مؤمنا أو كافرا أو جاحدا او زنديقا والدين عند الاطفال له جوانب خاصة بهم ، حيث تجاربهم محدودة ، ومعرفتهم قاصرة ، وليس في استطاعتهم ادراك الاحكام العقلية ، ولكن في استطاعتهم ادراك الامور المحسوسة . فاذا كان جو الاسرة جوا دينيا تعلموا منه أمور الدين ومواقفه الانسانية والاجتماعية ، وان كان غير ذلك نزعوا إلى أمور اخرى أبعدتهم عن فطرتهم . ومع ذلك يظل الطفل يفكر في الله سبحانه وتعالى بالطريقة التي تتفق مع فكره ومدركاته ، ومن هنا كان دور المدرسة هاما ومؤثرا في تعليم الدين والتمسك به ، لانها تعوض النقص الذي قد يوجد في بعض البيوت ، ويسبب للطفل صراعا بين فطرته وما يشاهده في بيئته التي يعيش فيها . ذلك الصراع الذي يصفه هوبكنز [1] فيقول:

---

(١) انظر النفس المنبثقة في المدرسة والبيت ص ٥١٤ .

(عندئذ ينشب في الطفل صراع بين نوازعه الداخلية والمطالب الخارجية التي هي مقاصد وتوقعات الكبار ، الذين هم بدورهم يعانون من حالة عدم طمأنينة وحالة قلق في سلوكهم مما ينتج عنه القلق والبلبلة والحيرة التي تسبب له تحويل طاقاته من مجراها الطبيعي الهادف لتحقيق وصيانة وتعلية الذات إلى مجرى شاذ غير طبيعي قوامه الخنوع والخضوع او العدوان او العزلة ، والنأي بجانبه والترفع على الاخرين والاستعلاء . وفي تلك البدايات الصغيرة وبوساطة تلك الضغوط والكظوم الملحة تنشأ النفس النيروزية بما تحويه من شعور بالنقص ، او نبذ الذات والنفور منها . او الطموح الخيالي ، او شعور الانتقام والتربص بالاخرين مع جموح وجنوح بأن تكون كلمته دائما هي العليا ، وكلمة غيره هي السفلى . ولكن ما هو أخطر من ذلك ... هو تسلط نازع او باعث أو دافع جزافي لا يملك حياله دفعا لاشباع حاجاته ... وكثير من الاباء والمربين يسوغون سلوكهم على أساس انه في صالح الطفل ، بينما هو في الحقيقة يمثل اتجاههم الطبيعي في السلوك في مجالات ادراكهم التي تتحكم فيها قيم ، قد لقنوها وتقبلوها جزئيا) . ومن هذه الافكار نستطيع أن نتصور دور البيت في تربية الطفل واعداده اعدادا يتفق وحاجاته الدينية والاجتماعية والنفسية .

(ب) في المدرسة :

ترى التربية الحديثة ان المدرسة ما وجدت الا لتكون بيئة يمارس فيها المتعلم نشاطه ، ويرتقي عن طريقها بميوله ورغباته . وتتحدد قدراته وامكاناته . وبهذا تعد المدرسة بيئة اخرى ذات أهمية إلى جانب البيت تنظم فيها الفاعليات وترتب فيها الاعمال حتى تستثير الطفل للنشاط ، وتحفزه إلى العمل ، وتدفعه

إلى اختيار ما يتفق ومواهبه . والمعلم في هذا كله يقوم بدور المهيىء للمحيط ، المنظم للخبرة ، المساعد للطفل على تحديد أهدافه وغاياته ، واستغلال مواهبه وقدراته ، والافادة من امكانيات المدرسة في تعليم نفسه وتثقيف ذاته وتدريب يده وعقله . وهو غير مطالب — في نظر التربية الحديثة — بالتدخل في نشاط الطفل الا حين لا يجد مفراً من ذلك واذا تدخل فانما ليدل ويرشد ويوجه لا ليلقن ويعلم . وهكذا يكون عمل المعلم قد اتخذ شكل الاعانة على التعلم لا شكل التعليم والتلقين وتكون المدرسة مكانا يتعلم فيه الطفل ولا يعلم . والذي يهدي المعلم في المدرسة الحديثة هو الحياة ، حياة الطفل الحاضرة وطفولته أولا ، وخصائص هذه الطفولة وحياته الخاصة ثانيا . وصفات هذه الحياة الخاصة وقدراته وميوله ثالثا . وما تتميز به هذه القدرات والميول من فردية رابعا . وأخيرا الحياة المقبلة للطفل وحاجاته فيها ومكانه الخاص منها ، على أن تكون هذه الحياة المستقبلية تبعا للحياة الحاضرة ونتاجا من نتائجها [1] وهكذا نجد أن المعلم يعد القدوة الذي تتمثل في سلوكه الصورة الحية للتعاليم التي يدعو إلى إتباعها . ومعلم الدين بالذات لا يمكنه أن يمثل هذه القدوة الا اذا جعل الاطفال يحسون ويدركونانه أول مطبق لتعاليم الدين . ولا يخفى علينا ان الطفل يرى في معلمه المثل الاعلى ويقوم بتقليده في العادات والحركات والاساليب ، فاذا وجد تناقضا بين أعمال استاذه وأقواله ضعفت قناعته بهذه الاقوال ، واهتزت في نظره قيمة هذه التعاليم ، والمربي الناجح يدرك ابعاد مكونات الطفل ، فيحرص على أن يبدو أمامه بالصورة اللائقة علما وثقافة وخلقا ، ويدرك ان الطفل لا يكتفي منه بالعلم والثقافة ، وانما يستكشف جوانبه العملية ، ويعرف ان كان يعمل بتعاليم الدين ويشعر بمسئولية أمام الله

---

(١) انظر معالم التربية ص ٨٨ ، ٨٩ للدكتور فاخر عاقل .

من كونه يلقى الاوامر والتعاليم من غير تمثل لها . وعندئذ يسقط المعلم وتسقط تعاليمه بعيدا عن وجدان التلاميذ ، ولا تكون المدرسة الا وسيلة لادراك بعض المعارف النظرية التي لا وجود لها في التطبيق ، ولا يخرج منها مجتمع متماثل قوامه العقيدة والاخلاق والمثل . وهذا ما نشاهده الان في مدارسنا وفي مجتمعاتنا العربية والاسلامية .

واذا كنا نشدد على القدوة الصالحة في شخصية المعلم ، فاننا أكثر تشددا في الحرص على الثقافة الاسلامية ، ومداومة الاطلاع على تفاسير القرآن وكتب الحديث والسيرة النبوية ، والتعرف على أصول العبادات والاحكام الاسلامية . حتى يستطيع المعلم أن ينقل الصورة السليمة عن هذه المعارف إلى تلاميذه ، وأن يتضح الفرق بينه وبين أطفاله في فهم أبعاد المواقف والقضايا الاسلامية . وقد لا أكون مغاليا اذا قلت ان كثيرا من معلمي التربية الاسلامية لا يقرأ القرآن قراءة صحيحة . وذلك لانهم غالبا ما يكتفون بما تعلموه في معاهد التربية للمعلمين والمعلمات ، ولا يتجهون بعد التخرج إلى المعرفة ينهلون منها وهي فيض لا ينتهي وخاصة في علوم القرآن وقراءاته وأساليبه .

الجو المدرسي وأثره في التربية الدينية :

ان المدرسة التي لا تهيىء لابنائها جوا دينيا ينصهر فيه المعلمون والمتعلمون معا ، لا يمكن أن تحقق شيئا من تعاليم الاسلام ، عن طريق التلقين والموعظة والامتحانات والتقويم وغير ذلك مما يقوم به البعض عادة بحكم الوظيفة والمهنة . والدين كما يجب أن يعرف سلوك وتطبيق . لا أقوال ورموز ، لذلك يجب أن يكون في كل مدرسة ابتدائية مصلى وان يذهب الاطفال والمعلمون إلى هذا المصلى في أوقات الصلاة ، وان تقام الندوات والمناظرات

الدينية بصورة دائمة بحيث تتفق وعقول التلاميذ وتتلاءم مع حاجاتهم وأفكارهم وتصوراتهم عن الله والرسل والكون والعالم الاخر وغير ذلك مما تعبر عنه أسئلتهم في الدروس وخارجها . ويجب أيضا أن يوجه التلاميذ إلى نشاط ديني يمارسونه بصورة جادة وهادفة ، كما يمارسون الالعاب والتربية البدنية . وذلك كأن يسند اليهم تنظيم المسجد ومكتبته والمساهمة في رعايته وتنظيفه والاشراف عليه ، وأن نحفزهم على اعداد كلمات في المناسبة الدينية ونوليهم الاهتمام بقراءتها وتقديرهم عليها ، ومساعدتهم على ابراز هذه الكلمات في مجلات للحائط وان تكون المكتبة الاسلامية المبسطة رفيقة لهم في كل صف ومع كل مرحلة . وإن كانت الكتب الدينية التي تليق بمستوى تلاميذ المرحلة الابتدائية قليلة ، فان الامل كبير أن يتجه بعض الكتاب الاسلاميين إلى وضع مثل هذه الكتب . وان يعتمدوا في منهجهم على أحداث السيرة النبوية ومواقف الصحابة ، وقصص القرآن ، وسير عظماء الاسلام والقادة والدعاة . واهتمام المدرسة باعداد تمثيليات دينية يقوم فيها التلاميذ بتمثيل أدوار البطولة في الاسلام ، له أثر كبير في خلق روح العظمة عند الاطفال ، وتوجيههم إلى حب الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته عن طريق التقليد والمحاكاة . لان هذا طبع الاطفال ، يحبون البطولة ويميلون إلى تقليدها وبدلا من أن نتركهم يقلدون ما يرونه على شاشة السينما والتلفزيون ويتصورون ان هذه الاشياء هي غاية ما يمكن ان يتمثلوا به في حياتهم . نبين لهم ان هذه بطولات مصطنعة . اما البطولة الحقيقية فقد كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وعند القادة والزعماء والدعاة الاسلاميين في مختلف العصور .

والطرق التربوية الحديثة تتفق واهداف التربية الاسلامية . فاذا اردنا تطبيق احد هذه الطرق في التربية الاسلامية وجدنا لها مجالاً خصباً في تعاليم الاسلام .

فمثلا ـ ١) طريقة حل المشكلات :

يعرض فيها المعلم مشكلات يطلب من التلاميذ التوصل إلى حلها ، ويساعدهم في التوصل إلى الحل الصحيح ، ولا يخفى علينا ان تعاليم الاسلام وتشريعاته كلها جاءت حلاً لمشكلات الحياة حاضرها ومستقبلها ، وكان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجابة على مشكلة تعترض المسلمين ، او موقف في الحياة يحتاج إلى تفسير وتحليل . وعلى المعلم ان يصل إلى ما يريده من التعاليم والاحكام من خلال هذه المشكلات . وان يربط المشكلة بالحكم الاسلامي الذي يريد بيانه للتلاميذ .

٢) طريقة المشروع .

أ ـ وهي طريقة تقوم على انتقاء مشروع ما اوعدة مشاريع واعدادها من قبل المعلم ، ثم يعرضها على التلاميذ ليختاروا منها ما يتلاءم معهم .

ب ـ تنظيم خطة المشروع ، وتوزيع الادوار والعمل .

جـ ـ تنفيذ الخطة .

د ـ تقويم المشروع والنظر في النتائج التي تنجم عنه ، وفيما توصل التلاميذ اليه من اهداف ونتائج .

ويجب أن تسير هذه الخطوات في جو من التعاون والتآلف بين التلاميذ والمعلم ويمكن تطبيق ذلك بنجاح في دروس السيرة النبوية . فنأخذ مثلا هجرة رسول الله ، او غزوة بدر ، او فتح مكة ، او صلح الحديبية او غير ذلك من احداث السيرة . ونضع مسرحيات يحفظها التلاميذ ويتمرن جميع التلاميذ على القائها ثم نختار احسنهم للتمثيل . ويهتم الاخرون بالاعمال المتصلة بالمسرحية . كاعداد المسرح . وتجهيز الملابس ، والاشراف على الانوار والمقاعد وغير ذلك

مما يشيع روح التعاون والمحبة بين الجميع .

٣) طريقة الوحدات :

وهذه الطريقة تهتم بالربط بين معلومات المنهج في مواد مختلفة وتجميعها حول هدف نظري واحد وقد تطبق خطوات المشروع في طريقة الوحدات . وقد تعين في المنهاج فلا يبقى الا رسم الخطة وتنفيذها . فمثلا : يمكن ان يكون التعرف على المسجد ووظيفته وما يقام فيه من عبادات وما يلقى فيه من خطب وتعاليم وحدة معينة في المنهج ، او اعدت على طريقة المشروع . ودراسة هذه الوحدة سوف تجعلنا نتطرق إلى دروس الحديث والسيرة والتهذيب والصلاة بانواعها واثر العقيدة في هذه العبادات . وما يتصل بهذه الاشياء من القرآن الكريم والادلة عليها . وكذلك دراسة تاريخ المساجد والصحابة وفيها يقوم التلاميذ بزيارة المساجد ومقابلة الخطباء وبعض المصلين والتعرف بانفسهم على كل ما يتصل بها .

الدِّين وعمليّة الضّبط الاجتماعي

يفرض الدين على كل فرد طائفة من الواجبات يؤديها لمجتمعه فيوفر له اسباب الحياة السعيدة ويسهم في بنائه على اسس قوية سليمة . ومن هذه الواجبات الا يخرج عن الجماعة ، والا يشق عصا الطاعة وان يتعاون مع ابناء جنسه . وان يكون عنصراً إيجابياً في وحدتهم وقوتهم والا يضن بفضل ماله على المحتاج منهم ، وان يرعى حق الجوار ، وان يكف يده ولسانه عن اذى الناس ، وان يطيع ولاة الامر فيما ليس فيه معصية للخالق .

والدين يدعو إلى تهذيب النفوس وحسن المعاشرة ومعاملة الناس معاملة

تتفق ومبادىء الدين وسماحته . يحترم والديه واقاربه ويبرهم ، يواسي اخوانه ويساعدهم ، يقوم بحقوق اهله وزوجه وعشيرته . يحسن تربية ابنائه ورعايتهم ، يثقف عقولهم ويهذب نفوسهم ، لا يؤذي جاره في نفسه او عرضه او ماله ، لا يغتاب احداً ولا يكون نماما واشيا ، لا يكذب اذا حدث ، ولا يخلف اذا وعد ، لا يخون اذا اؤتمن ، صادقاً وفيا امينا ، لا يغش اذا باع او اشترى . لا يطفف كيلا ولا ميزانا لا يماطل احدا في دينه ولا يبخسه حقه . اذا عهد اليه في عمل اتقنه واداه على اكمل وجه في غير تسويف ولا تأخير . اذا تولى امر الناس احسن رعايتهم ولم يغفل عن النظر في مصالحهم والعدل فيما بينهم ، ولم يكن لغير الحق سلطان على نفسه ، فلا يحابي العظماء والاقوياء ولا يضيع حقوق الضعفاء والفقراء .

فالدين يضع الضوابط الاجتماعية التي تكفل الامن والسلام للناس . ويعمل بروحانيته على التأثير في نفوس البشر ، فيهذبهم ويوجههم وجهة الخير ويسمو بوجدانهم . ويرتقي بميولهم ، ويعلي غرائزهم ، ويعدل طباعهم فيجعلها متفقة ومنهج الخير العام الذي يحقق مصلحة الناس وسعادتهم . والدين وحده هو الذي يؤلف بين القلوب ، ويدعم الوحدة بين النفوس ويخلق من المجتمع قوة متماسكة ، يخشى بأسها ويرهب جانبها . لان هذه الرابطة الدينية انما تستمد قوتها من امتزاج الارواح والاخلاص لله وتطهير القلوب ، وهي التي تجعل التعاون في سبيل غاية سامية ، يهيم بها الوجدان ، وتهفو اليها الافئدة . لا تشوبها الاكدار المادية ، والاطماع الدنيوية ، ولا تزلزلها الاحداث والمحن .

واذا نظرنا إلى اسرة مترابطة متآلفة على اسس من الدين ، وجدنا بناءها يقوم على المحبة في الله ، والاخلاص من اجله . والتعاون في سبيله فلا تستطيع احداث الدهر ان تحطمها او تفرق بينها . اما الذين يعيشون على المنفعة والغايات

الدنيوية ، فانك تراهم عند اول هزة اجتماعية ، تمزقوا وصاروا اعداء . الولد مع ابيه والزوج مع زوجته والاخ مع اخيه . فاذا اردنا ان نقيم بناء اسرياً سليماً واجتماعياً ثابتاً ، فلا بد ان تكون الرابطة هي رابطة الدين ، وان يكون الحب فيها لله وحده ، حتى يظل اثر ذلك ممتداً عبر الاجيال ، وحتى لا تنهار الوحدة الاسرية والاجتماعية .

الدّين من أبرز عناصر الثّقافة

الناظر في تعاليم الاسلام يجد انها تحوي بين عناصرها كل الاسس الفكرية والنفسية والاخلاقية . وليس هذا رأينا فحسب ، وانما هو رأي معظم فلاسفة البشر المعتدلين منذ جاءت الرسالة المحمدية إلى الارض حتى الآن .

والعناصر الثقافية للمواد الانسانية مجتمعة انما هي تلك العناصر التي تعمل على تكوين الانسان تكويناً فكرياً وروحياً واخلاقياً واجتماعياً كما انها تساعده على مواجهة الحياة مواجهة قائمة على التطبيق والتجربة . والاسلام بمضمونه العام جاء شاملاً لكل هذه الاشياء ، فهو يعطينا اصدق المثل على فهم الارض والسماء معاً . يصور لنا الحقائق ويعطي عليها التطبيق يضرب المثل ويسوق الرموز الدالة عليه ، قوانينه شملت كل جوانب الحياة ، حتى ان اي قانون بشري جاء بعد الاسلام كان عالة عليه ومقتبساً منه ، ونحن نشاهد ذلك كثيراً في القوانين المعمول بها في معظم بلاد العالم .

والثقافة الاسلامية تقوم اساساً على ثلاثة امور :

١) القرآن الكريم كعنصر اساسي ودائم لا ينتهي .

٢) الحديث الشريف كتحليل عملي وتطبيقي لحياة المسلم الحق .

٣) الادب العربي في عصوره المختلفة .

لذلك فلو نظرنا إلى الثقافة الاسلامية نظرة موضوعية لوجدنا ان الدين ابرز عناصر هذه الثقافة ووجدنا تعاليم الاسلام تتصل بحياتنا اليومية ، حتى ان المرء المسلم لو اراد ان يقوم بعملية احصائية لاعماله واقواله لوجدها على الرغم منه تقوم على عناصر الثقافة الاسلامية السابقة الذكر ، وهذا شأن العقائد منذ عرف الانسان الاول كلمة العقيدة .

الدّين وَالشّخصيّة المتوَازنة

يحتاج الامر منا اولا قبل ان ندخل إلى صلة الدين بالشخصية المتوازنة ان نفسر ما معنى التوازن .

التوازن بالنسبة للانسان هو ان يستطيع ان يأخذ من مادية الحياة ما يقوم بأمره ، كما يأخذ من الروحانية ما يربطه بربه ، فالوجود كما نعلم خاضع لقوة الهية عليا ، تلك القوة خلقت الكون متوازناً ، فجعلت الليل والنهار ، الدفء والبرودة ، المطر والجفاف ، النجوم والافلاك . كل هذه المخلوقات مع عظمتها وجبروتها متوازنة لو اختل شيء منها فسدت الحياة وربما ضاع هذا الكون كله .

والانسان وحده دون هذه المخلوقات كلها، هو صاحب الارادة الحرة ، وله الكثير من الاختيار ،لذلك نراه في مواضع متعددة غير متوازن. فهذا عبد للمادة ، وذاك اسير لشهواته ، وغيرهما متعزل عن الحياة ، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على ان كلا من هؤلاء لم يعرف حقيقة الدين .

فالدين — اي دين — في جوهره يدعو إلى ان يكون المرء متوازناً ، يتصل بالحياة كما يتصل بالله ، يعمل لدنياه كما يعد لأخراه والدين الاسلامي بالذات

من اكثر الاديان تحديداً لمعنى التوازن . فهو في تعاليمه يبين ان الحياة جهاد وعمل يقول تعالى « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة » « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تدعو الانسان إلى العمل الدائب في الحياة ، على ان يكون العمل خالصاً لوجه الله والحق .

ولو نظرنا إلى قول الله تبارك وتعالى (قد افلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) لو نظرنا إلى هذه الآيات لوجدنا انها ترسم صورة كاملة للانسان المتوازن في الاسلام ، الذي لا يغيب عن ربه ، يصون مجتمعه ، ويحفظ عرضه ، وينأى بنفسه عن الظلم ويترفع عن الرذائل ، وبالجملة فهو انسان متوازن نفسياً واجتماعياً واخلاقياً .

الدين والقيم

حدد الدين الاسلامي قيماً اساسية ، وترك للمرء الاجتهاد في قيم اخرى فرعية ، ومن قيمه الاساسية انه أحل البيع وحرم الربا وطلب من المتداينين ان يكتبوا الدين بينهم حتى لا يقعوا في غبن او خداع ، احل الطيبات وحرم الخبائث ، دعا إلى العدل ونهى عن الظلم والجور طلب القصاص وحدد الانصاف ، جعل الناس سواسية لا يتفاضل احدهما عن الآخر الا بالتقوى ، اعطى الانسان القدرة وحاسبه في اي شيء بذلها ، منحه المال وسأله في أي وجه انفقه ، طلب منه الانفاق في وجوه الخير ، ومنعه من التبذير في اوجه الشر ، وانزل الفرائض

لتكون مقياساً على تمسك الانسان بما امره الله به ولكي تكون حكماً بين نفسه وهواه .

ومن الحقائق المعروفة ان الرغبة الدائمة والملحة على الانسان هي رغبة الوجود ، وكل مغامرات الانسان الطويلة ليست – في اقصى غاياتها – الا طريقاً لتحقيق وجوده ، ومن ثم لادراك معنى الوجود . وقد اخذت هذه المغامرات اشكالاً مختلفة ، فهي تتمثل مرة في البحث عما نسميه الحقيقة ، واخرى في البحث عن الله وثالثة في محاولة تفهم ما النفس ، واذا نحن ترجمنا هذه المحاولات في اطار أعم أمكننا ان نتمثلها في علاقة الانسان بالكون ، وعلاقته بالله ، وعلاقته بالانسان نفسه .

وقد حدد الاسلام هذه العلاقات في اطار عام من القيم الاجتماعية والروحية والاخلاقية ، وكانت انواع العبادات مظهراً مجسماً لهذه القيم ومحدداً لها في سلوك دائم لا ينقطع عنه الانسان ، ولا ينفك منه الا اذا خرج على عقيدته وتحلل من قدسية الدين . ومن خلال هذه العلاقات الدائمة بين العبد وربه تبدو المواقف الثانوية من النظر في الحياة والموت في الحب والكره ، في الخلود والفناء ، في الشجاعة والخوف ، في النجاح والاخفاق ، في العدل والظلم ، في الفرح والحزن وكل هذه المعاني مستقرة في الضمير الانساني ، وقد استقرت فيه منذ وقت مبكر ، منذ ان تبلورت التجربة الانسانية في العقيدة الدينية ، وجاء الاسلام منظماً لكل هذه العلاقات مرتقياً بها إلى أقصى غايات السمو النفسي والعقلي والروحي ، وعلى الرغم من انها استقرت في ذاكرة ذاك الانسان التي تكونت عبر التاريخ وانطبعت آثارها في عاداته المجتمعية ، الا ان الاسلام وضع لها سبل الكمال ، وجعلها محببة إلى نفوس المؤمنين ، كما يسرها عليهم . ففي الكلمة الطيبة صدقة ، وفي إماطة الاذى عن الطريق صدقة ، وفي النية الخالصة اجر ،

وفي قول الصدق ثواب ، وفي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كمال ، ولا شك ان كل هذه القيم جاءت مرتبطة بالدين وبالعقيدة ، محددة لشخصية المسلم وفارقة بينه وبين غيره من ذوي العقائد الاخرى .

الإسلام والإنسان

الدين الاسلامي يسمو بالانسان ويرفعه فوق كل الكائنات فالطبيعة مسخرة له ولمنفعته ، يستخدم في معرفة قوانينها عقله ويعمل فيها فكره وبذلك فك القيود عن روح الانسان وعقله جميعاً ، واطلق طاقاته تبدع في الحياة ما امكنتها القوة والقدرة ، وقد دلت الآيات الكريمة في مواضع كثيرة من القرآن على سمو الانسان ، وأنه يفضل سائر المخلوقات فقد خلق في (أحسن تقويم) ومنحه الله من القدرات الذهنية والجسدية ما جعل كل عنصر في الطبيعة في خدمته يقول تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

وفي مواضع كثيرة يبين القرآن ان الانسان وحده من دون المخلوقات هو خليفة الله في الارض (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة) (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) فالانسان خليفة الله على الارض ، احسن خلقه ، وابدع صنعه ، وجعل كل ما في الوجود مسخراً له ، وحمله من الامانات ما لم تستطع حمله السموات والارض والجبال (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان) .

فالاسلام يعتد بحرية الانسان وكرامته وحقوقه ، وقد جاء والاسترقاق منتشر ومتأصل في جميع الامم ، فدعا إلى تحرير العبيد وتخليصهم من ذل

الرق ، وحرض المؤمنين القادرين على اعتاق الرقاب وفك أسارها ، وجعل الكفارة في أكثر من موضع (عتق رقبة) وبالجملةفقد قضى على تلك العادة المذمومة التي كانت منتشرة بين الناس ، ووسع في حقوق الانسان واحترمها حتى في الدين نفسه قال تعالى (لا اكراه في الدين) فللانسان كامل الحرية فيما يختار من الاديان والعقائد ، وهو وحده المسئول عن عقيدته وعمله ، وان كان المسلمون قد قاتلوا فانما دفاعا عن دين الله لا للعدوان او اكراه الغير للدخول في الاسلام قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ويقول عز وجل (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) . وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين في حروبهم الا يقتلوا شيخا ولا طفلا ولا امرأة ، وأن يصونوا لاهل الذمة كنائسهم ومعابدهم ، وأن تترك لهم الحرية في ممارسة عباداتهم ، وجاء الخلفاء الراشدون من بعده فحافظوا على عهده ومبادئه ، وليس هناك من ينكر موقف عمر بن الخطاب من أهل بيت المقدس ، فقد (أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم . لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم)[1] وقد تكرر مثل ذلك العهد مع كثير من أهل الكتاب الذين كانوا يعيشون داخل بلاد الاسلام او الذين فتحت بلادهم بعد أن أغاروا على المسلمين أو هددوا حدودهم ودينهم .

وبنظرة شاملة إلى تلك القيمة الانسانية في الاسلام يتبين لنا ان الاسلام دين السلام والعدل والمحبة ، وان القوة فيه لا تستخدم الا في موضعها ،

---

(١) انظر سيرة ابن هشام . وتاريخ الطبري وفتوحات الشام للواقدي .

وأنه الدين الوحيد الذي قام وسيظل قائما على المبدأ (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) . « كل نفس بما كسبت رهينة » « وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه » « قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون » « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

ويرى المنصفون من أهل العلم ان الحياة المتفقة مع التعاليم الاسلامية حياة أخلاقية لا غبار عليها . ذلك لانها تتطلب الرحمة نحو جميع مخلوقات الله والوفاء بالعهود وكف غرائز الانسانية .

وكما يحرص الاسلام على الاخرة لا يهمل الدنيا « واتبع فيما أتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين » . والانسان مأمور في الاسلام بالطاعة والاعمال الصالحة ولكن بلا تشدد ولا قسوة ، فالاستقامة في الدين كما يقول القابسي (مداومة المقام فيه لا ينكب عنه يمينا ولا شمالا ولا يلتزم منه ما لا يطيقه) وفي حديث الرسول « اكلفوا من الاعمال ما تطيقون » فالاسلام يرفض المغالاة وينادي بالتوسط) ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه) واذا عاش الانسان معيشة صالحة في هذه الدنيا فانه يبلغ درجة رفيعة في الاخرة ، ولهذا اشتمل القرآن الكريم على كثير من المسائل الدنيوية المنوعة .

الإسلام والمجتمع

جاء الاسلام في زمن تفشت فيه العصبية واتسم بالجبروت والطغيان ، وتكالب الناس فيه على الباطل تسوقهم اليه عقائد فاسدة وعادات دنيئة . فقضى على العصبية وحل محلها مبدأ التسامح والمحبة « انما المؤمنون اخوة » وأزال روح القبلية من بنيه لتوجد فكرة الأمة (ان هذه امتكم امة واحدة

وانا ربكم فاعبدون) . امة اخوة الايمان فيها فوق اخوة النسب ، فترابط الناس وأصبحوا أسرة واحدة تمتد أعماقها في كل جنبات ، المجتمع الاسلامي ، يتألم المسلم لألم أخيه ، كما يفرح لفرحه يتعاونون على الخير آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ، يسودهم البر والتعاطف (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) يتكافأ الناس فيه في الحقوق والواجبات فلا ميزة لحسب أو نسب ، ولا لجاه او سلطان الكل سواء في العبادات والمعاملات لا يتمايز أحدهم عن الاخر الا بالتقوى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وهكذا أوجد الاسلام امة لا يعيش أفرادها لأنفسهم وانما يعيشون لامتهم يفدونها بالروح والمال ، والزكاة في الاسلام أكبر مظهر من مظاهر التضامن الاجتماعي ، الذي يعمل على توحد القلوب وازالة الاحقاد ، وقد أوجب الدين فيه على كل شخص ان يقدم من ماله سنويا قرضا مكتوبا عليه للفقراء ولبناء المرافق العامة في الدولة ، هذا فضلا عن الصدقات التي حث عليها القرآن واثاب فاعليها ثوابا مضاعفا في الدنيا والاخرة (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) (يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد) وهكذا جعل الاسلام للفقراء حقا معلوما في أموال الاغنياء ، ورغب القادرين في التعامل مع الله بالعناية بالضعفاء ومنحهم من أموالهم ما يعينهم على الحياة ويدفع عنهم الحاجة والعوز وقد تسابق المؤمنون في هذا الميدان حتى رأينا منهم (من يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصـــة) وشاعت في المجتمع الاسلامي روح المحبة ، الكل يتسابق لاغاثة الملهوف ، وتفريج كربة المكروب ، وتأمين الخائف ، واشباع الجائع ، والمساهمة

الدائمة في اقامة المصالح العامة وقد حرص الاسلام على تنظيم العلاقات بين الناس حفاظا على الكيان الاجتماعي وصيانة له من التمزق والاضطراب ، كالميراث والتجارة والزراعة والصناعة ، وثبت على مدى التاريخ الاسلامي سلامة الاسس والمبادىء التي جاء عليها نظام الميراث في الاسلام ، وكانت الاوامر الالهية واضحة في العمليات التجارية ، فلا غش ولا خداع ولا استغلال (وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم) (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ... واحل الله البيع وحرم الربا) وقد أوجب للعامل اجرا يتقاضاه جزاء عمله ، كما حثه على الاخلاص في العمل والتفاني في اجادته (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسله والمؤمنون) وهكذا تناولت التعاليم الاسلامية كل جوانب المجتمع بما يكفل له الامن والاستقرار ولكي تكتمل الصورة الاجتماعية في اطارها الصحيح نظم الاسلام علاقة الرجل بالمرأة ، وقد كانت المرأة في الجاهلية مهضومة الحقوق محبوسة الارادة ، ففك الاسلام اسارها ، وجعل لها ما للرجل من الحقوق وعليها ما عليه من الواجبات (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) .
وجعل كرامة المرأة وصيانتها شيء أساسي لبناء المجتمع ، فحرم البغاء وشدد في عقاب الزنا إلى حد القتل . ورغّب في الزواج وجعله فريضة محببة إلى الله ، ونظم تلك العلاقة الزوجية بما يجعلها وحدة متماسكة روحا وجسدا (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وفي حجة الوداع وجه الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النداء إلى الناس جميعا (أيها الناس ان لنسائكم عليكم حقا ، ولكم عليهن حق ، لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم وان لا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ، ولا يأتين بفاحشة مبينة ، فان

فعلن فان الله قد أذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله . فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا) ووضح الاسلام نظام العلاقة اذا ما انفصلت الحياة الزوجية فللمرأة حقوق لا تنتقص من نفقة وأجرة إرضاع وصداق (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا اتأخذون بهتانا وإثما مبينا ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا) . وهكذا نجد ان الاسلام قد نظم المجتمع تنظيما دقيقا يكفل له السعادة والامن ، مما يجعله مجتمعا متآلفا ومتعاونا في طريق الخير والسلام والمحبة .

الدين ومشكلات الفكر والاعتقاد والحياة

مشكلات الفكر متعددة الجوانب . فهناك الفكر المادي ، والفكر الروحي . والفكر الذي يجمع بين الامرين معا . وقد عاشت الامم قبل الرسالات السماوية في اطار الفكر المادي وحده ، تتنازعها الاهواء والرغبات المتعلقة بحياتها المعيشية . وحتى عصرنا هذا توجد امم تحيا على هذا الفكر ، ولانه فكر يتعلق بجانب واحد من جوانب الوجود ، أرسل الله الرسل بتعاليم ومبادىء تنتشل الانسان من هذه الهوة المادية التي تجعله عبدا لترابية الارض لا سيدا لها ، فعرف الفكر الروحي ، وسلك الناس فيه مسالك تنوعت واختلفت باختلاف العصور والافراد . فوجد المغالون والمعتدلون . حتى جاء الاسلام منظما للفكر الانساني تنظيما يجعله متوازنا بين الروحية والمادية .

والدين في حقيقته نزعة فطرية في الانسان من يوم خلق الله الدنيا وهو أنجح الوسائل لتهذيب الفكر ، وجعله فكرا ينشد الغايات الانسانية العليا بعيدا عن الاضطراب والفوضى ، فهو الذي يستغل الميل الفطري في الانسان في غرس الخلق الكريم في نفسه ، وتوجيه سلوكه وجهة الخير ، وقد أخذت الامم الناضجة منذ أقدم الازمنة أديانا لها تعتمد على تعاليمها في حياتها الخلقية والاجتماعية . لان الدين يدعو إلى صيانة الامم . وجاء الاسلام خاتما للاديان كلها ، فكان أعلاها في كل شيء . فلا عصبية في الاسلام ، ولكن رابطة اخوية تجمع بين بني الانسان ، وتوجههم إلى وجهة واحدة ، هـ الايمان بخالق

السموات والارض والامتثال لاوامره واجتناب نواهيه ، وهذا ولا شك يؤدي إلى تماثل في المجتمع ، وتوحد في عقيدته ، واستقامة في حياته ؛ وقد كانت الامم الاولى التي شقت طريقها نحو العقائد الدينية الصحيحة من أنضج الامم وأحسنها مسلكا في حياتها ، وأنظمها في العلاقات الاجتماعية بين أبنائها ، كما أكسبها الدين قوة مادية ومعنوية جعلتها مرهوبة الجانب مخشية البأس ، على العكس من الامم الوثنية ، فقد كانت تعمها الفوضى ، وتعتريها الفتن ، وتتغير عقائدها بتغير الافراد والقائمين بأمرها . وفي الدين الاسلامي ما يشيع الخشوع في النفوس لله ، والرغبة في ثوابه ، والخوف من عقابه فتسلك طريق الهدى والرشاد راضية مختارة ، وتنأى عن الغواية والضلال عن يقين وحجة . والدين الاسلامي فوق انه عقيدة عامة لبني الانسان هو دين معرفة وسلوك ونظام اجتماعي . ومن هنا كانت (التربية الاسلامية) ليست مادة كباقي المواد الدراسية ، المقصود منها هو كسب المعلومات وتنميتها ، وانما المقصود هو اثراء الروح والتأثر بتعاليم الاسلام والسير على هداها . ونحن لا نعتبر مدرس الدين ناجحا بمقدار ما يحصله تلاميذه من آيات وأحاديث وأفكار اسلامية ، وانما يقاس نجاحه بمدى ما انطبع في نفوس تلاميذه من العقائد الصحيحة والاهداف الاسلامية ، والمثل والغايات التي جاء بها ، وان يتعلق التلاميذ بهذه الاشياء حتى تصبح منهجهم في الحياة والعمل والسلوك . والمعارف الدينية تفقد قيمتها اذا لم تنعكس آثارها على حياة الطفل وتصرفاته ، واذا لم تصبح له سلوكا عمليا ودائما ، يتجلى في يقظة ضميره وسمو وجدانه وتشبثه بالفضائل وتساميه عن الرذائل .

والعقيدة في الاسلام قائمة على الايمان بإله منزه عن الشرك ، منزه عن النقائص لا صاحبة له ولا ولد ، منزه عن التشبيه الذي تسرب من بقايا الوثنية إلى الاديان الكتابية (من يهودية ومسيحية) . ودعمت تلك العقيدة

بالأدلة العقلية التي تجعلها فوق الشبهات . وقد فتح القرآن الكريم المجال لتلك الادلة بقوله (افي الله شك فاطر السموات والارض) (قل انظروا ماذا في السموات والارض) (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (قل اغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء) (قل هو الله احد) . فالله الذي يؤمن به المسلمون اله واحد ، خلق الكون وأبدع صنعه لا شريك له ولا شبيه (سبحانه وتعالى عما يشركون) وهو رب العالمين خلق الناس جميعا ليتعارفوا ويتفاضلوا بالتقوى ، فلا فضل بينهم لعربي على أعجمي ولا لقرشي على حبشي الا بالتقوى (يا أيها الناس ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وهو حكم عدل لا يأخذ انسانا بذنب انسان ولا يحاسب امة خلفت بجريرة امة سلفت (كل امرىء بما كسب رهين) (ولا تزر وازرة وزر اخرى) (تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فالاسلام دين الرحمة والعدل وتعاليمه توجه بني البشر إلى حياة فاضلة خالية من الاوهام والمخاوف ، بعيدة عن الشك وزيفه ، وبقدر ما يصنع المرء يسأل ويحاسب (وما ربك بظلام للعبيد) (وسع ربنا كل شيء علما) (وهو بكل خلق عليم) . فالاسلام جاء يصحح العقائد البشرية كلها ويتمم ما سبقه من ديانات الامم الاخرى وحضاراتها ومذاهب فلاسفتها ، وقد رسم للحياة الانسانية طرق النجاة ، وجعل لمن يريد السير بتعاليمه صادقا بابا مفتوحا دائما يمحو ما قبله من الخطايا ويزيل ما على الاقدام من غبار .

الدين والتربية الأخلاقية

حرص الفكر الانساني منذ أقدم العصور على البحث عن العوامل التي ترفع من قيمة الانسان ، وتجعله سويا أمام نفسه ومجتمعه الذي يعيش فيه ومن خلال هذا الفكر ظهر علم النفس وعلم الاجتماع ، ولكل منهما وجهة يحاول أن يحقق من خلالها تلك الغاية التي أشرت اليها ، فعلماء النفس يرون ان الشعور الفردي ذو أثر هام في حياة الانسان ، وان المرء محدود بمزاجه وطبيعته ، فلا يستطيع أن يفعل ما يفعل الا وفق ما يقدر له استعداده وغرائزه ، ونادوا بمراعاة الفروق الفردية والعناية في تربية الشواذ بدراسة غرائزهم وعواطفهم الجامحة ورغباتهم المكبوتة . حتى لا يهددوا أنفسهم ومجتمعهم ، والعمل في تربية الممتازين على استخراج مواهبهم وتغذيتها عن طريق التسابق والدفع والاغراء والمكافأة والتقدير .

وقال علماء الاجتماع ان المجتمع هو كل شيء ، والفرد لا تظهر قيمته ولا تتحدد أخلاقه الا مع الجماعة ، لان الانسان لا يتصف بأنه ذو أخلاق او بأنه مجرد منها الا اذا انغمس مع جماعة من الجماعات . وان المواهب الفردية ، طبيعية او مكتسبة ، لا تظهر آثارها الا في الجماعة .

ومن خلال هذه الدراسات النفسية والاجتماعية ظهر (علم النفس الاجتماعي) محاولا أن يوفق بين النظريتين : الفردية والاجتماعية . فهو

يهم بالخصائص الفردية من الذكاء والمواهب إلى جانب الخصائص الاجتماعية التي تستمر في عمل دائب محاولة جذب الافراد الذين يتمتعون بالقيم الفردية من التفوق والنبوغ ليعملوا مع الجماعة ولخيرها . سواء أكان تفوق الفرد من الوراثة الفردية أو الاجتماعية . ويرى علماء النفس الاجتماعي ان الفرد الممتاز انما هو نتاج الجماعة . ومحصلة قيمها الاخلاقية والفكرية والاجتماعية .

وليست هذه النظريات التي أشرت اليها في ايجاز شديد وليدة ابداع فكر الغرب كما يدعون ، وانما ترجع في أصولها إلى القرآن الكريم ومبادئه الاخلاقية التي جاء يخاطب بها « الانسان » في مواضع كثيرة (يا أيها الانسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه) (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) كما يخاطب بها الناس (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) . وبعد ان يحرك الشعور الفردي والجماعي بمخاطبة الفرد والجماعة يخص المؤمنين بالنداء تلو النداء الذي يدل على أهمية هؤلاء وامتيازهم وسط المجتمع الانساني كله (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهـداء بالقسط) (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) ، والقرآن حين يخاطب (الانسان) لا يريد انسانا من جماعة معينة ، وانما يريد كل انسان على الارض يحمل صفات الانسانية وسماتها ، فدعوته حتى وهي في مظهرها فردية ، في حقيقتها جماعية ؛ لانها انما تخاطب الانسان أيا كان شكله او لونه او منهجه ، فهو يدمج الفرد في الجماعة ويدمج الجماعة في الفرد بحيث يشعر الفرد انه جزء من كل ، ويشعر الكل انه مؤلف من أجزاء متماسكة (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) فالاسلام يربي المؤمنين على التماسك ، ويدعوهم إلى الرحمة والمودة ويوجد

بينهم الرباط النفسي والمادي الذي يجعلهم كمجموعة من الاعصاب تتأثر ببعضها وتختل باختلال احداها . ومع رعايته للجماعة وتقريره الدائم لاثرها الفعال . لا يهمل الفروق الفردية ، التي يعتمد عليها (علم النفس الاجتماعي) فمن مبادئه (خير الناس أنفعهم للناس)(لان يهدى الله بك قوما أحب اليك من حمر النعم) ومن مبادئه ان المواهب القوية عليها امانات تؤديها للناس عملا صالحا تبقى آثاره ويدوم نفعه ، فالمؤمن الحق من كان خيره للناس علما وعملا.

ونحن نستطيع أن نقول بغير تردد ولا خوف ان النظريات الاخلاقية التي تطورت في عصرنا الحديث هي أثر من آثار ما جاء في القرآن الكريم من المبادىء والاخلاق ، وان العلوم الانسانية الحديثة أخذت الكثير من القرآن ولم تضف اليه شيئا . وحين يربي القرآن الفرد أخلاقيا ، نراه يضع الانسان أمام نفسه ، مبينا ما فيها من خير وشر ، محللا للدوافع التي تكمن بينهما وتحث عليهما : ففي الانسان من دوافع الخير ما يدعوه إلى الطاعة وعمل الصالحات . وفيه من دوافع الشر ، ما يسوقه إلى العصيان والتمرد وارتكاب السيئات ، وله من الارادة والحرية والعقل ما يحميه من الوقوع في مهاو تنقله من عالم الانسان إلى عالم الحيوان، وبه من الشهوات والنزوات ما ينحدر به إلى هذا العالم وقد منحه الله ميزة العقل وكرمه على كل مخلوقاته ، ليكون هذا العقل هو الحكم بين دوافع الخير ونزعات الشر ووساوس الشياطين ويتضح ذلك في قول الله تعالى (ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (كل امرىء بما كسب رهين) . فحرية الفرد في الاسلام واضحة كل الوضوح ، حيث ان الغرائز فيه ، يقابلها العقل وهو بينهما قادر على تمييز الصالح من الفاسد وله ان يختار ، وعلى هذا الاختيار يحاسب وتكون مكانته الانسانية والاجتماعية ومن المعلوم انه لا تكليف من غير اختيار (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) .

والطفل في نظر التربية الاسلامية عنده من الاستعدادات الطبيعية ما يهيؤه لتقبل الصفات الاخلاقية والانماط الاجتماعية، وان على الاباء والمعلمين الزامه بهذه الاشياء في سن السابعة ، فاذا قام بها فانه يكون قــد سلك طريقــه في الحياة على مبادىء صحيحة ، والا ضرب على تركها ضربا غير مبرح وهو في العاشرة . وقد أمر الرسول الكريم بذلك فهو يقول (مروهم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر) وعلى المربي أن يستعين بما في الطفل من ميول وعواطف يثيرها لتحرك هذه الاخلاق الالزامية إلى غايتها الصحيحة . وتعاليم الاسلام ليست منافية لتكوين الطفل ، فالاسلام دين الفطرة (فطرة الله التي فطر الناس عليها) لذلك كان تقبله لتلك التعاليم سهلا ميسرا والامر في ذلك متروك إلى الاسرة أولا ثم المعلم ثانيا ثم المجتمع ثالثا فكل طفل يولد وهو صفحة بيضاء خالية من كل رجس . وآباؤهم هم الذين يحولونهم إلى هذه الصورة التي نرى عليها المجتمع من اختلاف في الطبائع والسلوك والفكر . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (ما من مولود الا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء (أي كاملة) ، هل تحسون فيها من جدعاء) (أي مقطوع بعض أجزائها) .

وهكذا اعتبر الاسلام الطفل بريئا طاهرا بالفطرة ، غير شرير ولا وارث للخطيئة بل هو خير بطبيعته مستهدف لكل فضيلة ، واعتبر المساوىء التي تأتي من الانسان في مراحله المختلفة انما مرجعها إلى أصل التربية ، سواء أكانت تربية منزلية أو مدرسية أو غير ذلك .

ويرى علماء التربية ان سن العاشرة سن فيها تمييز بين النافع والضار والحسن والقبيح . فاهمال الطفل في هذه السن اهمال لارادته المميزة ، لذلك حثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على ضربهم في العاشرة اذا لم يصلوا ، وبالتالي إذا لم يمتثلوا للمبادىء الاخلاقية والمثل الاجتماعية .

الدِّينُ وَالإِيمَان

الدين كلمة عامة تشمل كل الاديان التي أمر الله بها عباده على مدى الازمان منذ هبط آدم إلى الارض حتى جاء محمد بن عبد الله بالدين الخاتم الذي شمل كل هذه الاديان ، بعد ان نضجت البشرية ، وأصبحت صالحة لتلقي آخر رسالات الله الى الارض . وقد جاء الاسلام ناسخا لبعض الاحكام في الاديان الاخرى التي كانت تصلح لزمن دون زمن ولجماعة دون جماعة ، لتكون أحكامه صالحة لكل زمان ، ولكل بني البشر وارتضاه الله دينا عاما لعباده ، لموافقته الاصول الاعتقادية في الاعتراف بوجود الله خالق الاكوان ، وتوحيده ووصفه بصفات الكمال ، وتنزيهه عن صفات النقص ، ولما اشتمل عليه من الدعوة إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (ان الدين عند الله الاسلام) . ووصفه الله بانه الدين الحق (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) . وانه ناسخ لما جاء قبله من شرائع قديمة ، وأديان سماوية ، طرأ عليها التحريف وأدخل عليها ما ليس منها ، ومذاهب وضعية اصطنعها الانسان لتلائم هواه ورغباته (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) . ووعد انه سيحفظ هذا الدين ويحفظ كتابه (القرآن الكريم) من التحريف والتغيير والزوال مهما تألبت عليه قوى الشر ، وعانده المعاندون (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) . وفي الدين الاسلامي ما يحتاج اليه البشر . كل البشر . لانه يشمل

كل الاديان السابقة ، وحكى اخبار الرسل مع الامم السالفة ، ودعا إلى الاعتراف بوجود الله ، وتوحيده ووصفه بصفة الكمال ، من القدرة والارادة والعلم ، وغيرها من الصفات التي تليق بجلال الله ، كما دعا إلى الاعتقاد بالبعث والحياة الاخرة ، وما يلقى الناس فيها من حساب وجزاء ، نظير ما قدمت أيديهم في الدنيا . والزم المؤمنين الاعتراف بالانبياء السابقين والرسل وما أنزل عليهم من الكتب . كنوح وابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وهود وصالح ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم صلوات الله عليهم . وبين أن لله ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وان هناك مخلوقات اخرى غيبية لا تدرك بالحواس (كالجن) وان الانسان كرم بين كل هذه المخلوقات (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات) . ورفع الله قدر العقل الانساني في الدين الاسلامي ، فمنحه الحرية والاختيار فيما يعتقد ، وبين ان الايمان الصحيح ما كان نتيجة للتأمل والنظر ، والبحث والاقتناع ، ولم يجعل للايمان التقليدي بما كان عليه الاباء والاسلاف أي أثر . ونتيجة لهذا كانت أوامر التكليف ، وكان الثواب والعقاب .

ومن نظرة الاسلام إلى الامور الغيبية ، كاليوم الاخر والبعث والحساب والجنة والنار ، والوحي والملائكة والجن ، نجده يربط ذلك بصحة العقيدة ، فاذا صحت العقيدة ، رأى صاحبها ان هذه الاشياء ليست مستحيلة ، بل هي ضرورية ، لضبط السلوك الانساني وتوجيهه إلى الخير ، والاطمئنان إلى عدل الله ، وهي ليست أغرب من القوى الخفية الموجودة على الارض والتي يكتشفها العلماء كل حين ، كالجاذبية ، والكهرباء ، والذرة ، والنتروجين

وغير ذلك مما هو من أسرار هذا الكون ، وما زال العقل البشري يجد من أجل معرفته وكشفه .

والدين الاسلامي في بساطة ووضوح ، هو الدين الذي جاء مطابقا للرسالات الالهية السابقة عليه . وان خالفها في بعض الاحكام نتيجة عبث الامم السابقة بتعاليم السماء ، وخلطها بعناصر ليست منها ، ونتيجة للظروف التي اقتضتها احوال الامم والبيئات في تطورها خلال القرون المتطاولة . وهو يتلخص في كلمتين هما قول لا اله الا الله محمد رسول الله . يقولهما العبد معترفا بوحدانية الله ، مصدقا بما جاء به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، عاملا بمضمونهما فكرا وقولا وفعلا .

والايمان في جوهره ليس عمل اللسان والبدن والذهن ، وإنما هو عمل نفسي يبلغ اغوار النفس ، ويحيط بجوانبها كلها من ادراك وارادة ووجدان ، يبلغ هذا الادراك حد الجزم واليقين الذي لا يزلزله شك ولا تعتريه شبهة : (انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) . ومع تمام الادراك لا بد وان يصحبه اذعان قلبي ، وانقياد ارادي ، يتمثل في الخضوع والطاعة لاحكام الله الذي آمن به مع الرضاء والتسليم (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) . والادراك ، ثم الاذعان لا يكتملان الا اذا كانا مستقران في وجدان الانسان ليتصرف على هدى العقيدة ويلتزم بمبادئها الخلقيـــة والسلوكية ، ويلتزم باحكامها عن يقين قلبي ، وشوق روحي ، لانه يرى الله بقلبه وينطلق اليه من ضميره (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا) . فليس

الايمان عملية تصور كآراء الفلاسفة والعلماء والباحثين ، وانما هو عملية يقين تزيل كل الاوهام والشكوك وتحول الانسان إلى طاقة فاعلة للخير ، قادرة عليه ، لان الخير كله في الحق ، ولا حق من غير ايمان صادق (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) . ولست أتصور كلمة الايمان في غير هذا المعنى ، فما يذكره بعض الناس من قولهم ايمان ، بالرأسمالية او الشيوعية او الوجودية أو غير ذلك من المذاهب والمبادىء التي يضعها الناس ، ويصورون ان فيها صلاحهم ، وهي في الحقيقة ما خرجت عن فكر انساني بشري له من الاهواء والاغراض والدوافع ما نزعه إلى هذا الفكر أو ذاك . ان هذا لا يسمى ايمانا وانما هو رأي معرض للصواب والخطأ ، والنظر فيه يجب أن يكون بحذر ودقة . أما الايمان بالله ، فهو ذلك الايمان الذي لا يرد عليه شك ولا ارتياب ، ويجب أن يكون قائما على تصديق القلب بالله وبرسوله ، تصديق المطمئن المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب ، والذي ينبثق منه العمل الصالح والجهاد الدائب في سبيل الله . والقلب متى تذوّق حلاوة الايمان واطمأن اليه ، اندفع لتحقيقه في دنيا الناس ، محركا صاحبه إلى التضحية بالمال والنفس من أجل هذا الايمان الذي لا يطيق الصبر على مفارقته في نفسه وفي نفوس الاخرين . لذلك رأينا المؤمنين في كل عصر يصنعون في مجتمعاتهم صنعة الكهرباء تنطلق من مركزها فتصنع الضوء والحرارة والعمل .

وليس الايمان الحق الناتج عن عقيدة صحيحة كالرأي الذي يراه الانسان في لحظة من لحظات فكره ، يمكن أن يتحول عنه او أن يبدل فيه أو يغير تبعا لظروف الحياة ومقتضيات الاحوال ، انما هو جزء من كيان الانسان ، بل هو الانسان كله ، يموت في سبيله وهو راض ، ويتحمل من أجله أقصى

ألوان التضحية وهو سعيد . يقول الدكتور أحمد أمين [1] (فرق كبير بين أن ترى الرأي وان تعتقده . اذا رأيت الرأي فقد أدخلته في دائرة معلوماتك ، واذا اعتقدته جرى في دمك وسرى في مخ عظامك ، وتغلغل في أعماق قلبك .

ذو الرأي فيلسوف يقول : اني أرى صوابا ما قد يكون في الواقع باطلا ، وهذا ما قامت الادلة عليه اليوم ، وقد تقوم الادلة على عكسه غدا ، وقد أكون مخطئا فيه وقد أكون مصيبا . أما ذو العقيدة فجازم بات لا شك عنده ولا ظن ، عقيدته هي الحق لا محالة ، هي الحق اليوم ، وهي الحق غدا ، خرجت عن أن تكون مجالا للدليل وسمت عن معترك الشكوك والظنون .

ذو الرأي سهل أن يتحول ويتحور . أما ذو العقيدة فخير مظهر له ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ، على ان ادع هذا الذي جئت به ما تركته » .

الرأي يخلق المصاعب ، ويضع العقبات ويصف الاماني ، ويثير الشبهات ، ويبعث على التردد . والعقيدة تقتحم الاخطار ، وتزلزل الجبال ، وتلفت وجه الدهر ، وتغير سير التاريخ وتنسف الشك والتردد ، وتبعث الحزم واليقين ، ولا تسمح الا لمراد الروح) .

وهكذا كانت عقيدة الاسلام ، وكان الايمان بها لدى المؤمنين مما غير وجه الارض . وصنع في الفكر الانساني صنعة قضت على الوثنية ، وعبادة الاوثان ، والخضوع للفرد واستعباد البشر . والتسليم لغير الله ، وسيظل صنيعها قائما ما بقي المؤمنون بها . لان فيها من القوة ما يدفع إلى الجهاد الدائم بالنفس والمال ، واسترخاص العذاب والمحن في سبيل الله .

---

(١) انظر فيض الخاطر جـ ١ .

الدِّينُ وَالعِلمُ

تطور العلم عبر عصور الحياة في مختلف فروعه ، تطورا يتفق وحاجات الانسان الملحة الدائمة ، وبمقدار نضج البشرية كان تقدم العلم وتنوعه ، وما زال أمام العلم الكثير – الكثير جدا – يبحث فيه وينقب ليكتشف الجديد مما هو مخبوء في هذا الكون ، صنعته القدرة الالهية ليكون في خدمة الإنسان أكرم مخلوقات الله ، وليكون دليلا على ان هذه القدرة العالمة لا حدود لها ، وانها باقية دائمة ، لها السلطان والقوة ، واليها المستقر والمنتهى .

وليس العلم ضد الدين ، بل هو دليل يهدى اليه ، ولو استعرضنا تاريخ العلم والعلماء بدون تحيز أو احقاد ، لوجدنا ان العلم منذ أقدم العصور كان وما يزال في خدمة الدين ، وان العلماء الراسخين المنصفين من مختلف الاجناس والملل ، هداهم علمهم إلى الدين ، وإلى الأيمان بان وراء هذا الكون قوة عليا تديره وتنظمه ، وترعى كل شيء فيه بميزان وحساب . وما ذلك الا لان العالم أقدر من غيره على استبانة ما في هذا الكون من ترابط وتناسق واحكام ، يتضح في كل جزء من أجزائه ، وفي كل خلية من خلايا أحيائه ، وذرة من ذرات جماداته ، في نفس الانسان وعقله في تعدد المخلوقات وتنوعها . في نظام خلق السموات والارض . في اختلاف الليل والنهار . في الجبال والبحار والأنهار . فيما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها . فيما بث الله في الارض من الدواب والاحياء في تصريف الرياح والسحاب

المسخر بين السماء والارض . وغير ذلك مما هو مدار البحث والفكر لدى كل علماء الدنيا منذ عرفت كلمة العلم والتعلم .

فلا غرابة اذن ان يكون العلماء هم أساطين الدين وأعمدة الايمان في مختلف العصور ومن كان منهم على غير ذلك ، فهو اما واقع تحت تأثير مال او سلطان او قوة غاشمة تتسلط عليه ، او هو دعي وليس من أهل العلم حقيقة . لان علمه لم يسعفه في كشف جوهر وجوده ، فلا عجب أن يضل عن دنياه .

وقد رأينا في عصرنا هذا ، عصر الذرة والفضاء ، ان العلم لم يستطع أن يحل المشكلات التي يعاني منها الانسان في هذه الدنيا ، وانه لا بد من الدين يلقى الانسان في رحابه الامن والراحة والسلام ، لان هناك حوادث مفاجئة ومآسي تقع على الارض دون أن تكون لها أسباب مفهومة ، والمؤمنون يسندونها إلى القدر وإرادة الله ، فلو لم يكن الدين والايمان به ما استطعنا أن نتعزى عنها او نحتملها . وكم من مثال على ذلك . طبيعة غاضبة بعد صفاء ، كارثة طيران أو سفن بعد سعادة ، أعاصير وزلازل وبراكين . متاعب نفسية وعقلية وقلبية وجسدية عجز الانسان عن ايجاد وسيلة للبرء منها ، مئات المشوهين وآلاف المصابين وملايين العجزة . كل هذه الاشياء على كوكبنا ، والانسان بكل ما له من براعة وعلم يعجز عن التخلص منها . والمؤمنون وحدهم هم الذين يرون أن هناك في هذه الدنيا أشياء وتصرفات لا يمكن أن نعيها بما أوتينا من علوم ومقاييس ، ولا وسيلة لنا أمامها الا ان نسلم بوجودها ، ونسلم في الوقت نفسه بقصورنا عن ادراك كنهها ، ونتجه إلى الله القوي القادر أن ينقذنا مما عجزنا عنه وعجز علمنا المحدود عن ادراكه ومقاومته او معالجته .

وليس معنى هذا اننا ننكر العلم ومجالاته ، ولكن معناه اننا نؤمن بان العلم يبحث وينقب وقد يوفق أو لا يوفق ، فان وفق فنحن مؤمنون بما اكتشفه والا فالامر لله وحده خالق العلم والعلماء .

وقد جاء الاسلام ومعه منذ اللحظة الاولى الامر بالقراءة والكتابة والتعلم ، وكان أول أمر من السماء إلى الارض ، نزل به جبريل الامين على محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤

ولا يوجد في الدنيا كتاب دين كالقرآن ، يقدر العلم ، ويحترم أهله وينادي بانطلاق الفكر في كل جوانب الحياة ، ينظر ويتأمل ، في النفس والروح والحياة ، في السموات والارض . في تاريخ الامم وعبر الزمان وسير الرجال . في المعلوم والمجهول . في دقائق خلق الانسان والحيوان ، والنبات ، في خالق الكون وصفاته وأفعاله . في حكمة الخلق وعظمة الخالق . وغير ذلك مما يدعو المسلمين إلى البحث والدرس والتأمل في مختلف العلوم .

يقول سبحانه وتعالى في فضل العلماء ومكانتهم عنده في (سورة الزمر)

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

وفي سورة فاطر ،

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

وفي سورة المجادلة ،

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ

وفي سورة البقرة :

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾

وفي سورة سبأ :

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾

وفي سورة العنكبوت :

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

والله سبحانه هو وحده واهب العقل للانسان ، وهو الذي كرمه وجعله أسمى المخلوقات وحباه بصفة العلم ، بل وعلمه ما لم يكن يعلم . يقول تعالى في سورة العلق .

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

وفي سورة الرحمن :

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾

وفي سورة البقرة :

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

وفي سورة البقرة أيضا :

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾

وعن نفس الإنسان وخباياها أورد القرآن آيات كثيرة ففي سورة الشمس :

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾

وفي سورة يوسف :

* وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ

وفي القرآن الكريم آيات متعددة في غير موضع تتحدث عن النفس المطمئنة والراضية والمرضية واللوامة والامارة بالسوء إلى غير ذلك مما يتعلق بنفس الانسان وصفاتها .

وعن الروح والحياة والموت والبعث يحدثنا القرآن بما لا يدع مجالا للشك يقول تعالى في شأن الروح في سورة الإسراء .

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

وفي الحياة يقول سبحانه في سورة الإنعام .

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾

وفي الموت والبعث يقول عز وجل في سورة مريم :

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾

وفي سورة يس :

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

وعن دعوة القرآن إلى النظر في خلق السماوات والارض يقول تعالى في سورة (ق) :

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ٦﴾

وفي سورة يونس :

﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١﴾

وفي سورة الاعراف :

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾

وفي تاريخ الامم وعبر الزمان وسير الرجال قص القران قصص نوح وابراهيم واسماعيل وهود وصالح وعاد وثمود ولوط ويوسف وموسى وعيسى . وضرب الامثال بأقوام هؤلاء الرسل والانبياء وما حدث لهم . كل ذلك في سور كاملة في القران الكريم . تدعو إلى البحث والتأمل ، وتحث على النظر والتفكر . وكان حديثه عن بعض هذه الامم في أكثر من موضع من القرآن دلالة على موقفها في الدنيا ، وعظم مسئوليتها على ما فعلت خيرا او شرا . وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان القرآن يثير في نفوس المؤمنين حب العلم والتأمل واطالة الفكر في تاريخ الحياة ليدركوا أبعاد مسئوليتهم العلمية والدينية التي جعلتهم « امة وسطا » وجعلتهم شهداء على الناس .

وفي المجهول والمعلوم يقول تعالى في سورة النمل آية ٨٨ :

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ٨٨﴾

وفي سورة « يس » :

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٣٨﴾

فتلك دعوة إلى البحث في هذه الاشياء والعديد من مثلها مما هو وارد في القران للتعرف على حقيقتها و كشف بعض أسرارها .

وعن المجهول طال الحديث في القران عن القيامة والساعة وأحوالها وكيفيتها.

يقول سبحانه في سورة الحاقة آية ١٣ :

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾

وفي سورة الواقعة :

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾

وفي دقائق خلق الانسان والحيوان والنبات يقول سبحانه وتعالى في سورة « المؤمنون » .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ

وقد أثبت الطب في عصرنا الحديث ان هذا الترتيب الذي جاء في القرآن هو ترتيب تكوين الجنين في الرحم ، وان هذه الصفات والاشكال التي أوردها القرآن هي هي التي اكتشفها الطب الحديث بعد مئات السنين من نزول القرآن ، حتى التسمية بالنطفة والعلقة والمضغة إلى اخره لم يستطع الطب أن يغيرها وهي المصطلحات المستعملة اليوم وستظل إلى ما شاء الله . وان كان

العلم قد اكتشف دورة التكوين هذه . فهو عاجز عن معرفة الروح . وما هي . ومن أين تأتي . وكيف تخرج وما زال التحدي الالهي قائما على ذلك .

يقول تعالى في سورة الطارق :

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾

وفي سورة الانسان :

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾

وعن الحيوان وعظيم خلقته وانتفاع الانسان منه يحركنا الخالق سبحانه للنظر والتأمل فيقول في سورة النحل :

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝٦٦﴾

والنبات عالم بكامله ، فيه الغرائب والعجائب ، نموه . مذاقه . تنوعه . حياته — مماته . أليس ذلك جديرا بالبحث والتأمل يقول تعالى في سورة الانعام :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٩٩﴾

وفي سورة عبس :

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢﴾

لم تقتصر دعوة القرآن إلى العلم والبحث والتفكر على ما ذكرت من مظاهر الحياة والاحياء في السماوات والارض ، بل امتدت إلى أساس العقيدة الاسلامية نفسه ، فلا ايمان الا بالاقتناع والحجة ، ولا يقين الا بالبحث والتأمل . والله الواحد الاحد يقيم الدليل تلو الدليل على وحدانيته ، داعيا عباده أن يناقشوا هذه الادلة بالمنطق والعقل، وأن يُؤَسّسوا ايمانهم على الحجة والاقتناع ، وهو لذلك يضرب الامثلة من واقع حياة الناس ومعاشهم . يقول سبحانه في سورة الانبياء :

لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾

وفي سورة « المؤمنون » .

مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾

وينتقل القرآن من دليل إلى دليل ليثبت وحدانية الله ، وانه لا شريك له ولا ولد ، وان من يتخذون من دون الله أربابا انما يعبدون باطلا . والمنطق والعقل يرفضان أن يكون لله شريك ، تعالى الله عما يفترون . ومن هذا يقول المولى جل وعز في سورة الحج :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

وفي سورة فاطر :

قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

أعظم دقة هذه التساؤلات الالهية اثباتا لوجوده ، من سورة الواقعة :

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾

تساؤلات ان دلت على شيء فانما تدل على ان الاسلام ، ما جاء الا ليخاطب العقل والمنطق ، ويحرك الفكر والوجدان ، ويبعث في الانسان الثقة بالخالق ، والثقة بنفسه ، والثقة في طريقه الذي يسلكه إلى عالم الايمان والحق .

ولم يكن موقف السنة من العلم والعلماء ، الا صورة مما جاء في القرآن الكريم . فالرسول صلى الله عليه وسلم ، حامل الرسالة ، ومبلغ الامانة يحرص في كل موقف من المواقف أن يجعل العلم نهج المسلمين ويقدر الرأي وأهله ، وينادي في الناس .

« العلماء ورثة الانبياء » .

« فضل العالم على العابد ، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب »

« لغدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غدوة في طلب غيره من الخير . ولا يخرج أحد في طلب الغلم الا وملك موكل به يبشره بالجنة » .

« ان الملائكة لتضع أجنحتها تواضعا لطالب العلم » .

« من طلب العلم لله ، فهو كالصائم نهاره ، القائم ليله ، وان بابا من العلم يتعلمه الرجل ، خير من أن يكون أبو قبيس ذهبا له ، فأنفقه في سبيل الله » .

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

« اطلبوا العلم ولو بالصين »

« من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة » .

ومن لطائف ما روى ياقوت في معجم الادباء . (ان الفقيه علي بن عيسى الولوالجي قال : دخلت على أبي الريحان [1] وهو يجود بنفسه ، قد حشرج نفسه . وضاق به صدره . فقال لي وهو على هذه الحال : كيف قلت لي يوما حساب الجدات الفاسدة (يعني ميراث الجدات لأم) فقلت له اشفاقا عليه : اني هذه الحالة ؟ قال لي : يا هذا ، أودع الدنيا وانا عالم بهذه المسألة ، الا يكون خيرا من أن أخليها وأنا جاهل بها . فاعدت عليه تلك المسألة حتى حفظها . وما ان خرجت من عنده حتى سمعت الصراخ) . وان دل ذلك على شيء فانما يدل على ان ابناء الامة الاسلامية في عصورهم المتقدمة ، كانوا يدركون ان طلب العلم من المهد إلى اللحد ، وانهم اتبعوا سنة رسول الله حيث يقول : « اطلبوا العلم ولو في الصين » « لا بارك الله في يوم لا ازداد فيه علما » . ولقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم أهل العلم بصفات كثيرة تتفق وجلال العلم في نظر الاسلام . وفي بعض أحاديثه أوصلهم بالقرب من درجة النبوة يقول « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل » .

وقد عرف المسلمون هذه القيمة العليا للعلماء والمتعلمين فحددوا لهم آدابا وقيما لا بد وأن يتمسكوا بها ، والا خرجوا من دائرة العلماء أو ابعدوا من صفوف المتعلمين .

ومن هذه الآداب والقيم . ان يكون علم العالم من أجل الله والحق . لا من أجل الدنيا والمغانم والجاه والسلطان ، وان يخلص في تعليمه للغير متحريا

(١) هو ابو الريحان البيروني . عالم مؤرخ . فلكي . انظر معجم الادباء — لياقوت .

الدقة والصواب ، متجنبا التحريف والخلط . وان يعمل على تهذيب المتعلم ، وحثه على الفضائل ، وزجره عن الرذائل ، وان يتقبل النقد ومخالفة الرأي ، وأن يكون صبورا ذا حلم وعدل .

وأما المتعلم فهو مطالب ، بحسن الخلق ، وطهارة النفس ومقاومة الهوى ، والتغلب على الشهوات ، وأن يخلص في طلب العلم ، ويصبر على البحث في مشكلاته ، ويجد في تحصيله واثقا ان العلم لا ينتهي ، وان طلبه دائم ومتصل ، من المهد إلى اللحد .

ومجمل القول ان الدين الاسلامي ، دين علم وثقافة وتقدم وانه نقل الانسانية من الظلمات إلى النور ، وحضها على التزود الدائم من المعارف الدينية والدنيوية ، وقد ترك العلماء المسلمون للبشرية تراثا ما زالت الامم تغترف منه وتقتبس ولم تعرف امة قبل الاسلام او بعده انتجت ما أنتجته الامة الاسلامية في مختلف فروع العلوم والاداب ، ومن يرد احاطة ببعض ما خلفته هذه الامة . فليقرأ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، والذخيرة في محاسن الجزيرة – وجزيرة الاندلس لابن بسام ، والاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، ونفح الطيب للمقري وابن خلكان ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ، والضوء اللامع في رجال القرن التاسع للسخاوي . وغير ذلك من كتب تاريخ البلدان وتراجم الاعيان التي لا يتسع المجال لحصرها هنا . ويكفي ان نعلم ان كتب العرب وحضاراتهم ظلت مصدر العلم والمعرفة في جامعات اوربا إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادي .

الدين وأسلوب المعاملة

حاولت المجتمعات الانسانية منذ ميلادها ، أن تضع لها أسلوبا للمعاملة يكفل لها الامن والتضامن والمحبة ، وحرص أهل الرأي والفكر فيها أن يبينوا الحدود التي يقف عندها الفرد ليكون مقبولا من الاخرين ووضعوا الموازين والقيم التي يجب أن تسود في المجتمع ليتعاطف معه الفرد ، ويشعر بالولاء له التفاني في خدمته . ولهذا تنوعت القيم الاخلاقية والسلوكية بتنوع الامم وتعددها . حتى جاءت الاديان السماوية فخرجت هذه القيم من صناعة الانسان ورغباته ، إلى أوامر الاله وتشريعاته . وكانت بعض الامم متفهمة للاوامر الالهية متبعة لها فحصلت على حياة فاضلة ومجتمعات سعيدة راقية . والبعض الاخر ما لبث أن غير وبدل فيما جاءت به الرسل والانبياء فضلت مجتمعاتهم وتاهت في دروب من الظلم والقسوة والاستعباد . وقد جاء الاسلام إلى الارض وأهلها يعيشون على هذه الصورة الأخيرة من ذل واستعباد وقهر وجبروت . فساوى بين الناس ، الغني والفقير . المرأة والرجل ، الصغير والكبير . الحاكم والمحكوم . جميعهم في الاسلام متساوون . لا عصبية ولا حسب ولا جاه ولا سلطان . الكل أبناء آدم وحواء وان اختلفوا في الموطن والبيئة والشكل . فلا تفاخر بالانساب ولا تباهي بالالقاب . انما الجميع أمام الله سواسية لا يتفاضلون الا بالتقوى وفعل الخيرات

يقول تعالى في سورة الحجرات .

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون » .

وتحديد الاسلام للمساواة بين الناس ، يحقق أقصى درجات العدالة الاجتماعية . فهو يرى ان الجميع متساوون في الحقوق والواجبات . وان دماءهم وأعراضهم وأموالهم مصانة الحق بدرجة واحدة بصرف النظر عن مكانتهم الاجتماعية وحسبهم ونسبهم . ساوى بينهم في عملية القصاص « الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى » على عكس ما كان سائدا قبل الاسلام من التغالي في الدماء والجور في الاحكام . يقول تعالى في سورة المائدة : « وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون .

والمتتبع لتاريخ الامم القديمة ، كالاغريق والرومان والفرس واليهود ، يجد انها جميعا كانت تعترف بالعبودية وتؤمن بتفاضل الدماء ، فلما جاء الاسلام وألغى العبودية وحرص على الحرية وحرم العصبية القبلية وجعلها من علامات الجاهلية المنفرة يقول صلى الله عليه وسلم « من دعا إلى عصبية فليس منا » . واتبع المسلمون ذلك النهج في حياتهم الخاصة ومع الامم التي عاشت معهم . ومن العجيب اننا بعد هذا التاريخ الطويل نرى بعض الامم ما زالت تعتبر أفرادها من جنس مفضل على الاجناس الاخرى ، وان أصلها يرتقي على أصول الآخرين . وقصة التفرقة العنصرية السائدة في بعض بلاد العالم الآن من أمثال زنوج أمريكا وجنوب افريقيا وروديسيا رغيرها تمثل تلك الردة الجاهلية التي قضى عليها الاسلام ومجها منذ أربعة عشر قرنا .

وقد حرص الاسلام على توجيه الناس دائما إلى أوجه الخير ، فدعا إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعل ذلك واجبا على كل مسلم ومسلمة ليوجد بذلك المحبة بين الناس ويزيل أسباب العداوة والبغضاء من قلوبهم . لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوم في المجتمع مقام الوقاية من الامراض في جسم الانسان ، وقد تحقق ذلك في صدر الاسلام ، فعلى الرغم مما كان عليه المجتمع العربي قبل الاسلام ، من انحلال أخلاقي ، وتفكك اجتماعي ، نراه بعد الاسلام تحول تحولا جذريا ، فبعد أن كان قبائل متنافرة ، أصبح أمة تحررت عقولها من الاوهام ونفوسها من الشهوات . ومن البغي والعدوان والظلم ، واستطاعت أن تفرض وجودها على العالم ، وكانت عند الله خير امة قال تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

لم يكتف الاسلام بدعوة الناس إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل شرح لهم أساليب المعاملة التي تحقق هذه الغاية فقال تعالى في سورة المائدة :

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ⑧

وفي سورة الانعام :

وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ

وفي سورة النساء :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ

وتحقيقا لاقصى درجات المحبة في المجتمع الاسلامي ، نادى القرآن باتباع أساليب معينة في التعرف على الحقائق ، واجتناب الظلم وقول الزور والتجسس والسعي بالغيبة والنميمة بين الناس . يقول تعالى في سورة الحجرات :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ⑥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾

وليس هناك ما يفرق بين الناس ، ويوقع العداوة في قلوبهم أكثر من سوء التعامل المادي ، سواء أكان عن طريق البيع والشراء ، أم عن طريق الاجارة والقرض . وليحمي الاسلام مجتمعاته من ذلك ، وجه المسلمين إلى قواعد العدل في المعاملة فقال تعالى في سورة الانعام :

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾

وفي سورة الاعراف :

﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾

وفي سورة الاسراء :

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾

وفي سورة الرحمن

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ⑨﴾

وفي سورة يونس :

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ⑬ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ⑭﴾ .

والتعاون في الاسلام هو من أرقى أساليب التعاون التي تعمل الدول الان — على مختلف عقائدها واتجاهاتها — على تحقيقه ، وتقيم لذلك المنشآت والجمعيات والمؤسسات الضخمة ، وتحرص على أن تضع لها الاسس والمبادىء التي تكفل

لها النجاح في تآلف المجتمع والمحافظة عليه من الغش والخداع والمضاربة . ودعوة الاسلام تعتبر أقدم دعوة تعاونية في تاريخ البشر . لان المجتمعات الاوروبية لم تعرف النظام التعاوني الا في نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر . أي بعد مضي ثلاثة عشر قرنا على دعوة الاسلام للتعاون . والتعاون معناه وجود مجموعات متآلفة متحابة تعمل في الزراعة أو الصناعة أو التجارة او المعمار أو غير ذلك من أوجه الحياة . وقد وضح ذلك القرآن الكريم في أرقى صوره يقول تعالى :

« سورة المائدة آية (٢) ».

وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

وفي سورة آل عمران :

وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ

وفي سورة البقرة :

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ

والرسول صلى الله عليه وسلم ، يوضح اسس المجتمع المتعاون القائم على الرحمة والمودة والحب فيقول في وصية لمعاذ بن جبل :

« أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء العهد واداء الامانة ، وترك الخيانة ، وحفظ الجار ، ورحمة اليتيم ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، وخفض الجناح ، وينادي بالصفاء والمودة قائلا :

« لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى أخاك بوجه طلق » .

« ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه »

« ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » .

ويحث على العفو والتواضع ، وعدم ظلم الناس واحتقارهم فيقول :

« ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو الاعزا ، وما تواضع احد لله الا رفعه الله » .

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب وم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .

ودعوته إلى الحب والاخاء في المجتمع ، بلغت حد تحريم الهجر بين لمتشاحنين فوق ثلاث ليال .

يقول صلى الله عليه وسلم :

« لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » . وحرم ايذاء الجار ودعا إلى التعاون معه حتى لكأن الجار شريك جاره في رزقه وماله يقول : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » . « من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه » .

تلك نبذة عن أساليب المعاملة في الاسلام ، وهي الاساليب التي غيرت كل شيء في جزيرة العرب ، وفي البلاد الإسلامية التي دخلها نور الله ، ومستها يد الهدى الاسلامي وبها تطهرت النفوس من العداوات والاحقاد ، ومن الشرك الظاهر والخفي ومن النقائص التي كانت فاشية في كل ربوع الدنيا ، وصار المسلمون أمة واحدة متراحمة ، بعد أن كانوا قبائل وشعوب متعادية . وأصبح التراحم بينهم صفة غالبة في أقوالهم وأفعالهم ، فرفع الله

ذكرهم ، وأعلا شأنهم ، وعلت كلمتهم ومكانتهم بين الامم .

وصدق قول الله في سورة التوبة :

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

الدين والمؤسسات الاقتصادية والسياسية

أ ــ الدين والمؤسسات الاقتصادية : ــ

المؤسسات الاقتصادية في أبسط صورها البدائية ، واعقد صورها العصرية ، لا تخرج عن أعمدة الحياة الثلاث . التجارة ، والزراعة ، والصناعة ــ والوسائل المستخدمة لتطوير وتقدم هذه الاعمدة ، تدخل ضمن هذه المؤسسات . سواء كانت شركات ، او معامل ، او معاهد ، او بنوك .

ولو أردنا تتبع نظرة الدين ــ في ايجاز ــ إلى هذه المؤسسات ، فاننا نرى ان الاسلام يدعم وجودها ، ويدفع المرء إلى العمل فيها ، ويوضح أسس العدالة التي يجب أن تسود في كل منها ، حيث انها عماد الحياة ومدار التكاليف الشرعية التي يقوم عليها ، فمن أحسن فيها حسن دينه ومن أساء فسد دينه (انما الدين المعاملة) . وكلما كانت معاملة الانسان قائمة على الصدق والوفاء والاجتهاد والصبر والتضحية كلما كان الايمان الحق أقرب وألصق . وكلما كان على غير ذلك ، كلما بعد عن الايمان وأفسده شيطانه ، فلا يجني الا الخسران والضياع ، وتركبه الهموم والاثام ، ولا يجد لذة في دنياه وان كان له مثل مال قارون سعة وعظمة .

والاسلام لم يمنع معاملة بين الناس تنفعهم وتخلو من الضرر بهم والغبن بغيرهم . وانما منع اجحاف الناس حقوقهم والضرر بهم ، لذلك رأيناه يحل

البيع ويحرم الربا . (واحل الله البيع وحرم الربا) . وحل البيع مقرون بما يجب على المتبايعين من صدق في المعاملة ، ووضوح في الشيء المباع حتى لا يقع غش ومخادعة بين طرفي البيع والشراء . والرسول عليه الصلاة والسلام قال (من غشنا فليس منا) وآيات القرآن الكريم واضحة في ذلك

فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ

(سورة الاعراف : ٨٥)

وتحريم الربا في الاسلام جاء من منطلق العدالة ، التي تحرم على الغني ان يستأثر بماله وأن يحرم الفقير من العون والمساعدة على مواجهة مشاكل حياته . أو أن يغل يده عن المساهمة في إقامة المصالح العامة . فلا يقدم ماله للفقير او للدولة الا نظير زيادة على رأس ماله الذي أقرضه اياهم . وهذا الفعل انما يؤدي إلى أن يزداد الفقير فقرا ، والغني غنا ، وان تكون المجتمعات مليئة بالاحقاد والفتن والاضطرابات . والاسلام يبني المجتمع على أسس من العدالة والمحبة كما سبق وان أشرنا إلى ذلك في موضوع (الدين وأسلوب المعاملة) . لذلك حرم الربا تحريما قاطعا . والله تعالى يقول :

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ

(سورة البقرة الاية ٢٧٥)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾

(سورة البقرة الايتان ٢٧٨ ، ٢٧٩)

ولا شك ان تحريم الاسلام للربا ، قضى على كثير من منابع الشر التي

كانت منتشرة في مجتمعات ما قبل الاسلام . تلك المجتمعات التي كان يأكل فيها قويهم ضعيفهم ، ويستغل غنيهم فقيرهم ولا فضل للغني الا انه ذو مال ، ولا ذنب للفقير سوى ان ظروف حياته لم تساعده على كسب المال وتوفره . وحل الجشع مكان الرحمة ، فتقاضى الاغنياء ممن يداينونهم زيادة على رؤوس أموالهم نظير تأجيل قضاء ديونهم . ومن هنا نشأت جماعات الثروة الفاحشة . وتكونت الرأسمالية الباغية ، التي كان من نتيجتها الاستعباد والاسترقاق والاذلال بمختلف صنوفه وأخذت كل طائفة تتربص بالاخرى ، فالغني يتربص بالمحتاج ليسلبه حريته ووجوده ، والمحتاج يتربص بالغني ليسرقه او يقتله أو يفسد عليه حياته . وأصبح المجتمع أشبه بغابة ليس فيها الا الناب والظفر والتربص والغدر . وكان لا بد من القضاء على ذلك ، ليحل محله التعاون والتراحم ، فحرم الاسلام الربا بكل أشكاله وألوانه كما حرم كل كسب – فيه شبهة – يحصل عليه الانسان . وبذلك نقل المجتمع إلى صورة العدالة والمحبة والاخاء . تلك الصورة التي تتضح كاملة في قول الله تعالى :

(فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ، وما أتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون) .

فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ

(سورة الروم الايتان ٣٨ ، ٣٩)

وأحب أن أشير إلى أن الربا محرم أيضا في اليهودية والمسيحية . وقد جاء ما يدل على ذلك في الكتب المنسوبة إلى موسى عليه السلام ففي الاصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية :

«لا تقرض أخاك ربا. ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا».

وظل هذا التحريم عاما لليهود وغير اليهود حتى عصر (نحميا) الذي قال في الاصحاح الخامس من كتابه .

(اني بكّت العظماء والولاة وقلت لهم انكم تأخذون الربا كل واحد من أخيه) وكأنه يريد أن يقول ان اليهودي لا يتعامل بالربا مع اليهودي- ولكنه يتعامل بالربا مع غير اليهودي .

وكذلك نسب اليهود إلى موسى عليه السلام في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية قوله :

(للأجنبي تقرض بالربا ولكن لأخيك لا تقرض بالربا لكي يباركك الرب الهك في كل ما تمتد إليه يدك) .

وهذا من صنع اليهود الذين يبيحون لأنفسهم ما يحرمون على غيرهم . ويرون أنهم شعب الله المختار ، فلهم أن يفعلوا ما لا يجوز لغيرهم أن يفعله . ومن هنا نجد تفسيرا واضحا لسيطرة اليهود على البنوك ورؤس الاموال في العالم ، وتكالبهم على التعامل بالربا ، والسعي الدائب لجعله نظاما للمؤسسات الاقتصادية في معظم بلاد الدنيا .

والاسلام يرفض كل هذه النظم التي تدخلها شائبة الربا ، ويدعو الى أن يكون التعامل مع البنوك والمؤسسات الاقتصادية قائما على نظام الربح والخسارة . بمعنى المشاركة والمساهمة لتقوم تلك البنوك أو الشركات أو غيرها بالاتجـــار لحسابها وحساب الآخرين والعائد مهما عظم أو قل يكون من نصيب المساهمين . وبهذا ينتفي الربا وتتحقق العدالة .

وفي المسيحية أيضا ظل الربا محرما منذ عهد المسيح عليه السلام حتى جاء (مارتن لوثر) فشدد في تحريمه وبين الكثير من الوجوه التي يحرم فيها في رسالته عن (التجارة والربا) وهو يقول (ان هناك اناساً لا تبالي ضمائرهم أن يبيعوا

بضائعهم بالنسيئة في مقابل أثمان غالية تزيد على أثمانها التي تباع بها نقدا ، بل هناك أناس لا يحبون أن يبيعوا شيئا بالنقد ويؤثرون أن يبيعوا سلعهم جميعا على النسيئة ... وان هذا التصرف مخالف لأوامر الله مخالفته للعقل والصواب) .

وجاء الاسلام ليمنع كل كسب ينطوي على استغلال الآخرين وكان تحريمه للربا لأن فيه استغلال الضعف الانساني من جانب . وانعدام المجهود البشري في في تحصيل المال من جانب آخر . والربا مع انه استغلال لضعف ذي الحاجة ، فانه يحيل الانسان الى مستهلك فقط بدل أن يكون منتجا في الأصل ومستهلكا تبعا لذلك . وهذا مما يشيع البطالة ويقلل الانتاج البشري ويؤدي في النهاية الى انقراض المجتمع وفنائه .

والاسلام أصلا يرى أن المال مال الله وان الناس مستخلفون عليه ، فعليهم أن يبتعدوا عن كل شائبة في تحصيل المال وانمائه . وأن ينظروا الى (امتلاك المال) على انه وظيفة اجتماعية يسخر فيها المال لخدمة الجماعة . لأن مرد المال في النهاية الى مالكه الأصيل خالق الفرد والجماعة معا .

والله تعالى يوضح ذلك في مواضع كثيرة من القرآن ففي سورة البقرية آية ٢٩ يقول تعالى :

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا

وفي الأنعام آية ١٦٥ :

وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ

وفي الأعراف آية ١٠ :

وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

وفي الواقعة الآيات : من ٦٣ : ٧٢

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾

واذا كان المال مال الله ، والمؤمن بالله مأمور بأن يلتزم في تحصيل هذا المال وتنميته حدود الله ، فان التزام المسلمين بالابتعاد عن الربا يدل على تفهمهم لفلسفة دينهم وحكمة الله في توزيع المال والدرجات بين الناس، وربطه بين الايمان والانفاق في سبيله، وبين الاستغلال والبخل بالكفر به وبنعمه يقول تعالى في سورة الليل :

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

والقرآن يعتبر امساك المال ومنع تداوله بين الناس جحودا لنعم الله . يقول تعالى في سورة النحل آية ٧١ :

وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾

كما يعتبر الانفاق في سبيله ومعاونة الآخرين حقا مقررا لا من فيه ولا استعلاء . يقول في سورة المعارج آية ٢٥ :

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٢٥)

وهو يدعو الانسان أن يكون منفقا لماله في وجوه الخير عن رضا واختيار ، لا عن جبر وقهر ، ويعتبر الانفاق عن طريق الالزام كأن لم يكن ، يقول تعالى في سورة التوبة آية ٥٤ .

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ (٥٤)

وقد أطلت الحديث حول موضوع الربا لأنه من القضايا الهامة في الاسلام التي تتعلق بالمال وطرق استعماله في وجهه الصحيح . وأحب أن أعرض هنا رأيا للأستاذ العقاد رحمه الله يتعلق بهذا الموضوع يقول [١] (ونحن لا نريد أن نقارن هنا بين الاسلام والديانات الكتابية في قضية الربا بأنواعه ، ولكننا نريد أن نقارن بينه وبين المذاهب الاقتصادية التي يظن أصحابها أنهم يحيطون بحكمة التشريع العامة في جميع العصور لأنهم حسبوا أن فترة من فترات الزمن تستوعب هذه الحكمة وتفرغ منها على نحو لا يقبل المراجعة والتعديل . فاذا خيل اليهم في وقت من الأوقات ان الحضارة مرهونة بنظام معلوم في المصارف والشركات خطر لهم أن يفرضوا هذا النظام بعجره وبجره على الماضي والحاضر والمستقبل في المشرق والمغرب وبين جميع الملل والأقوام ، وطلبوا الى أصحاب العقائد أن ينسخوها والى أصحاب الشرائع أن ينقضوها ، والى أصحاب المبادىء الخلقية والفكرية أن يقتلعوها من جذورها ، واجترأوا على من يناقضهم وينظر الى ما فوق أنوفهم فاتهموه بالجمود والنكسة والقوا عليه تبعة الفساد والرجعة بالعقول الى الوراء .

وها هي ذي قواعد الحضارة التي يتعللون بها تتطلب اليوم من نظم الاقتصاد ما لم تكن تتطلبه قبل خمسين سنة ، وسوف تتطلب بعد خمسين سنة

(١) انظر حقائق الاسلام واباطيل خصومه ص ١٨٦ وما بعدها للاستاذ العقاد .

ما لم تتطلبه اليوم ، فما هو الميزان العادل الذي تصح فيه الموازنة بين هذه المذاهب وبين الدين ؟ هل نبيح لهذه المذاهب المتقلبة أن تفرض سلطـانها على الذي لا مزية له ان لم تركن من ضمائر الأمم الى قرار مكين ثابت على تقلب الزعازع والأحوال ؟ هل ننتظر من الدين أن يعرقل هذه المذاهب ويأخذ الصواب منها بذنب الخطأ فيحرم الصواب والخطأ على السواء .

لا هذا ولا ذاك :

بل يمضي كل مذهب الى مداه المقدور ، ويتسع الدين لأحداث الزمن فلا يتصدى لها في مجراها ولا يمنعها أن تذهب الى مداها ، وأن تضطرب اضطرابها لمستقر لها تمحصه الأيام) .

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ

سورة الرعد

وفي حديث الاسلام عن (الزراعة) حث للانسان على النظر والتأمل وادراك أن كل ما ينبت من الأرض ، انما هو من صنع الله الخالق المبدع ، وانه على الرغم من مجهود الانسان وتفننه في الأعمال الزراعية ، فانه هو وحده الذي ينزل الماء ويسوقه عيونا وأنهارا فيشقق الأرض ويخرج النبت . ويبعث فيه الحياة . وعلى الانسان أن يعمل ونظره على مبدع الكون ومصرفه . فلا يبخل ، ولا يستأثر بما منح الله وأعطى وأن يكون أمينا على ما رزقه الله ، فيخرج زكاته ، ويطهره بالصدقة ويصونه بالانفاق في وجوه الخير .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا

(سورة البقرة)

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾

(الآيات من ٢٤ — ٣٢ من سورة عبس)

وفي كتب الفقه الاسلامي تفصيل أوفى عن نظم الايجار والمشاركة والعمل والعمال في الزراعة ، فمن أراد التعمق فليرجع اليها . أما عن الصناعة وهي من أقوى الأسس في بناء الأمم وتقدمها ، فقد أشار القرآن الكريم الى موادها الأساسية ، مبينا أهميتها للناس والحياة ، فهو يقول عن الحديد عصب الصناعة (فيه بأس شديد ومنافع للناس [1]) وعن الملابس وما يرتديه الانسان قال : (قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا [2]) .

وفي البناء والمعمار (قيل لها ادخلي الصرح ، فلما رأته حسبته لجة ، وكشفت عن ساقيها ، قال انه صرح ممرد من قوارير)[3] . وهي وان كانت اشارات عابرة في القرآن الكريم . الا أنها تدل على احتواء القرآن للأعمدة الثلاثة للحياة . من تجارة ، وزراعة ، وصناعة .

ومسلك المسلمين في تطبيقها انما يقوم على الأخلاق الاسلامية التي وضحتها في مسلك الفرد والجماعة في غير موضع من هذا الكتاب . وللفكر الانساني في نظمها وأوجه العمل فيها كامل الحرية كما هو شأن الاسلام في كل أمور الدنيا ، بشرط أن يظل منطق الحق والعدالة هو الحكم في سلوك المرء فيها ، وان يكون القصد منها تنمية المصالح العامة وعمارة الكون ، لا الاستئثار واكتناز الأموال واستغلال الآخرين .

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٥ .
(٢) سورة الاعراف الآية ٢٦ .
(٣) سورة النمل الآية ٤٤ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ

(من سورة البقرة)

وقد بينا ذلك في موضوع الدين وأسلوب المعاملة .

ب) الدين والمؤسسات السياسية : —

تتألف الدولة كما يرى الفقه السياسي الحديث من عناصر ثلاثة . أرض وشعب وحكومة وهي في نظر الاسلام تتكون من هذه العناصر الثلاثة مشمولة بكيان روحي يرفع من قيمة الانسان فيها . لأن الانسان مركب من مادة وروح ، والدول والأمم مجموعات من الناس فاذا لم تقم في بنائها على العنصرين معا — المادي والروحي — كانت غير متوازنة في أمورها . لأن الانسان لا يستقيم أمره الا اذا توازن هذان الجانبان فيه : جانب الغرائز الفطرية التي غرسها الله فيه لعمارة الأرض ، وجانب الضوابط الروحية التي تحول دون انقلاب هذه الغرائز الى معاول مدمرة للانسان والمجتمع [1] . وهذا ما تغرسه العقيدة الاسلامية في وجدان كل مسلم ، وهو ما تقوم عليه الدولة الاسلامية بناء وتطبيقا ، وتتبعه في تكوين مؤسساتها السياسية والاجتماعية . فالاسلام يأمر بأن تقوم في كل مجتمع هيئة تتولى زمام تنظيمه السياسي (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) و « المعروف » الذي يجب أن تدعو له جماعة من جماعات المسلمين هو ذلك المنهج الاسلامي الذي يتصل بالأصول الكلية التي فرضها الاسلام لصالح المجتمع الاسلامي وكل ما يترتب عليها من أحكام ومواقف و (المنكر) هو كل ما نهت عنه هذه الأصول الكلية ، وكل ما يقاس عليها في الحاق الأذى بالمجتمع . وفي الغالب تكون هذه الهيئة هي المسئولة عن نظام الحكم وما يتصل به من شئون السياسة والاقتصاد ،

---

(١) انظر نظام الحكم في الاسلام جـ ٢ ص ١٢ وما بعدها للدكتور محمد عبد الله العربي .

وتكوينها في الاسلام يقوم على الشورى « وأمرهم شورى بينهم » فالمجتمع الاسلامي يجب أن يستشار في تكوين هذه الهيئة . في كل ما يتصل ببنيانها ونظامها ووظائفها وأهدافها ، وفي كل ما يتفرع عن الأصول الكلية التي أتى بهـا الاسلام وليس لهذه الهيئة سيادة على المجتمع بالمعنى المعروف في الفقه الغربي بل السيادة لله وحده ، والناس جميعا سواسية ، لا سيد ولا مسود فالأمة وحدها مصدر السلطات ، والحاكم ملتزم بما تراه الأمة في شئون الحكم ، لأن الشورى أثرها الزامي في كل ما يقام من نظم حكومية ، والأمة وحدها صاحبة السيادة في ذلك . واذعان أفرادها لما يصدر عن الهيئة الحاكمة انما هو اذعان لأمر المجتمع ، الذي هو في حقيقته النائب وحده عن الله ، وهو في اذعانه هذا يذعن بطريق غير مباشر لأمر الله .

فالسيادة في الاسلام كما يقول الدكتور محمد عبدالله العربي [1] (لله وحده لا لملك أو رئيس من البشر على عكس ما زعمه بعض الغربيين من ثيوقراطية الدولة الاسلامية ، وليس أدل على ذلك من أن النبي نفسه وهو الذي يتلقى الوحي ولا ينطق عن الهوى أمره الله بالاستشارة في شئون الدنيا التي يحرص على اسعاد البشر فيها لأنها مزرعة الآخرة انفاذا لفلسفة الاسلام الشاملة في التوفيق بين المادية والروحية في الانسان . فقال تعالى (وشاورهم في الأمر) [2] « وأمرهم شورى بينهم » [3] .

وقد اتبع المسلمون هذه المبادىء في اقامة الدولة الاسلامية فرأينا العالم ينصح الجاهل والكبير يرشد الصغير ، والمرءوس يوجه الرئيس ، والحاكم يعلم

---

(١) انظر النظم الاسلامية جـ ٢ نظام الحكم في الاسلام ص ٣٧ وما بعدها للدكتور محمد عبد الله العربي

(٢) سورة ال عمران .

(٣) سورة الشورى .

المحكوم ، والقوي يلين للضعيف . كل ذلك بقلوب مطمئنة ، ونفوس راضية تحقيقا لدعوة الحق (بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) . وساروا في كل أمورهم على الشورى ، فلم تعرف دولة الاسلام في أول أمرها حكما صدر من مركز السيادة والقيادة ، بل كان الرسول نفسه وهو المتلقي الوحي عن الله لا يبرم أمرا من أمور الدنيا الا اذا جمع أكبر عدد من الصحابة وقلب الأمر الأمر بينهم ، فاذا ما أجمعوا على شيء نفذ رأيهم ولو كان مخالفا لما يراه هو ، وكثيرا ما جاء القرآن الكريم مؤيدا لآراء الصحابة فيما رأوه متصلا بأمور دنياهم ، وكان ذلك تأكيدا من الله لنبيه وللناس من بعده ، ان جماعية الرأي بعد التشاور والبحث والتقصي تعصم الأمم من الزلل وتحميها من الوقوع تحت رغبات ماجن أو عابث أو مجنون أو مضلل ، وقد صان هذا المبدأ الدولة الاسلامية في عصر النبي وعصور الخلفاء الراشدين من بعده . واستطاعت في فترة قليلة من الزمن أن يمتد سلطانها الروحي والفكري في ربوع المشرق والمغرب. وكان الناس في الأمم الأخرى يدخلون الى الاسلام عن اقتناع ويقين ، أن هذا هو الدين الحق ، وان مبادئه هي التي تكفل لهم الأمن والاستقرار ، وترفع عن كاهلهم تسلط السادة واستبداد الحكام .

ولم تستطع أمة النيل من المسلمين الا بعد أن تركوا هذه المبادىء وتفشت فيهم رذائل شهوات الحكم ، وتغلب عليهم الهوى الشخصي ووجد الحكام المستبدون ، وضعفت روابط الايمان في قلوبهم فقل شعورهم بالمسئولية ، ونظر بعضهم الى بعض كوحدات مبعثرة لا يربطها رابط ، وابتعد أهل الأمــر بالمعروف والنهي عن المنكر عن ميادين الحياة، اما خوفا واما يأسا من اتباع ما يقولون وحق على الجميع قول الله تبارك وتعالى :

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ

إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾

(سورة هود الآية ١١٦)

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين من هذا اليوم فقص عليهم قصة بني اسرائيل قائلا : لما وقع بنو اسرائيل في المعاصي ودخل النقص عليهم في دينهم نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ولم يمنعهم العصيان عن مخالطتهم ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ففرق كلمتهم وأذلهم وشتت شملهم . ثم قرأ :

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾

(سورة المائدة الآيتان ٧٨ ، ٧٩)

ولكن المسلمين بعد عصر الخلفاء ما لبسوا أن تناسوا هذه التحذيرات والأوامر الالهية وتكالبوا على الحكم والسلطان واتخذوا من شهواتهم وأهوائهم مادة بها يتفاخرون ويتكاثرون وترك أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمتهم وانصرفوا الى مادية الحياة ينغمسون فيها كغيرهم ، فضعفت دولة الاسلام ، وتداعت الأمم عليها كما تداعى الأكلة الى قصعتها ورأينا في عصرنا كل دول الاسلام محتلة من الأجنبي . تنتهبها أفكار غريبة على الاسلام وأهله ، وتحركها مبادىء وقوانين تتنافى مع مبادىء الشرع وقوانينه ، وسقطت هيبة المسلمين بسقوط حكامهم وعلمائهم وفقهائهم في متاهات الشهوات والرغبات . ولن تعود هيبة المسلمين ويقوى سلطانهم الا بعودتهم مرة أخرى الى نظام الحكم الاسلامي القائم على العدل والشورى والمساواة . ذلك النظام الذي يُعاتب فيه النبي ، ويحاسب ذو الجاه ويخشى الحاكم المحكوم ، ويمتثل الظالم لأمر المظلوم .

وكم هي واضحة الدلالة تلك الحادثة التي وقعت مع رسول الله حين اتبع رأيه

ورأي أبي بكر بشأن أسرى بدر ، وخالف رأي عمر ومن وافقه من جمهور الصحابة ، فنزلت آيات من الله تعاتب النبي وتقسو عليه في أنه لم يأخذ برأي الآخرين وهو كما علم الله أوفق بحالة المسلمين في ذلك العصر قال تعالى في سورة الأنفال [1] :

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٧ لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٨﴾

وقد اتبع أبو بكر الخليفة الأول نهج الرسول فكان يستشير الصحابة فيما يعرض له من شئون الأمة ، وكان يأخذ برأي الجماعة . وأحيانا برأي غيره حين تبدو آيات الحق في جانبه ، وكان عمر يجمع كبار الصحابة بالمدينة ويمنعهم من الخروج منها ليتمكن من استشارتهم في أمور الدين والدنيا . وكم هو عظيم ذلك الحاكم الذي يقف ليخطب الناس في الجمعة فترده امرأة فيقول على الملأ : أصابت امرأة وأخطأ عمر . والحادثة أشهر من أن تروى . وقد كانت ولاية هؤلاء الخلفاء بعد رسول الله بالبيعة العامة ، ولا يمكن لأحد أن يدعي حقا في ولاية المسلمين بغير البيعة ، التي هي في مصطلح العصر الحديث (الانتخابات الحرة) . ولا يستطيع الحاكم الاستمرار في حكمه الا اذا امتثل لرأي أصحاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي يمثلهم في عصرنا الحديث ممثلو الشعب في مجالس (الأمة والنواب والشعب) وغيرها من هذه المسميات وهما معـا (الحاكم ، والنواب) لا يمكنهم الاستمرار في ادارة أمور الدولة الا اذا كانت الغالبية العظمى من أفراد الأمة تؤيدهم وتؤازرهم . لأنه لا مصدر للسلطة العامة

---

(1) الآتيان ٦٦ ، ٦٧ .

في الاسلام غير الأمة ـ ولا مرجع فيه للمسئولية العامة غير الأمة أيضا وتنظيم هذه الهيئات الحاكمة قد ترك عاما في الاسلام ، حيث عهد به الى جهود العمل الانساني يمضي فيه باجتهاده ليصطفي أكثر الأوضاع ملاءمة لاحتياجات الزمان والمكان ، على ضوء المبادىء العامة التي يستخرجها عقل الانسان نفسه من كتاب الله وسنة رسوله الكريم وأحوال الصالحين من السلف .

وليس أولوا الامر ، الذين أمر المؤمنون بطاعتهم كما يقول الشيخ شلتوت [1] (هم الرؤساء والحكام كيفما كان شأنهم ، وما سلب المسلمين مبدأ الشورى سوى هذا التخريج الذي اتخذ في كثير من الفترات سبيلا لاخضاع الامة للحاكم ولو كان غاشما ظالما ، او جاهلا مفسدا . وكذلك ليس « اولو الامر » خصوصاً المعروفين في الفقه الاسلامي باسم « الفقهاء او المجتهدين » الذين يشترط فيهم أن يكونوا على درجة خاصة من علوم اللغة وعلوم الكتاب والسنة ، فان هؤلاء — مع عظيم احترامنا لهم — لا تعدو معرفتهم في الغالب هذا الجانب ، ولم يألفوا البحث في تعرف كثير من الشئون العامة ، كشئون السلم والحرب والزراعة والتجارة والصناعة والادارة والسياسة ، نعم ، هم — كغيرهم — لهم جانب خاص يعرفونه حق المعرفة وهم أرباب الاختصاص وأولوا الامر فيه وهو ما يتصل من التشريعات العامة باصول الحل والحرمة في دائرة ما رسم القرآن من قواعد تشريعية وتشريعات جزئية) .

والحقيقة ان الاسلام قد كرم العقل الانساني . وأطلق حريته في الابداع وتصور ما يتفق مع متطلبات الحياة في كل عصر ومكان واستطاع فقهاء الاسلام بناء على هذه القاعدة — ان يستخلصوا من كتاب الله وسنة رسوله معايير عامة يهتدى بها في تفصيل جميع تعاليم الاسلام الكلية من خلقية واقتصادية وحكومية ، واستطاعوا أن يضعوا الاسس الصالحة للمجتمع الاسلامي ،

---

(١) انظر الاسلام عقيدة وشريعة ص ٤٦٤ وما بعدها للشيخ محمد شلتوت

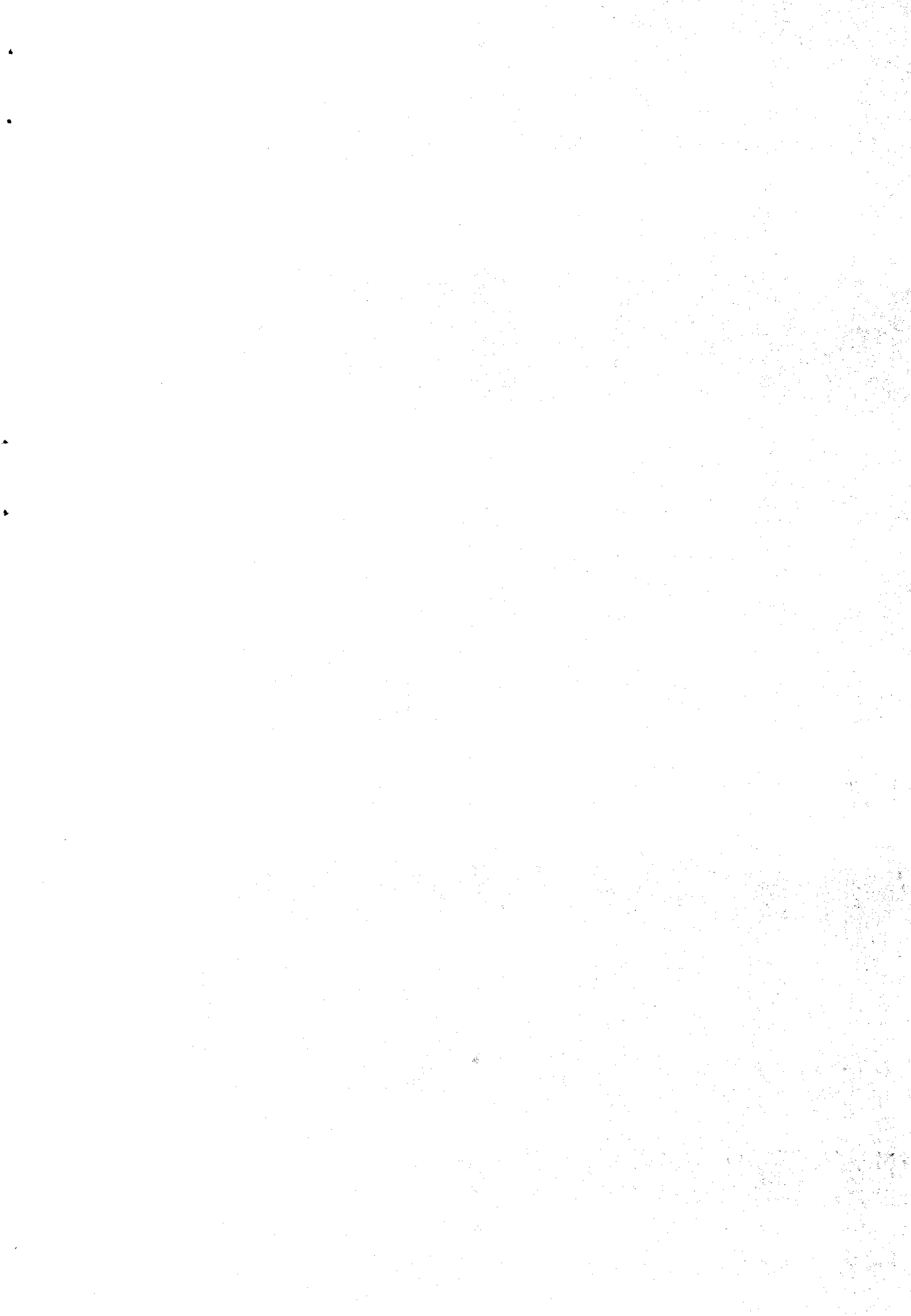
متفقين فيما رأوه مع العقل والمنطق ، مستنيرين بما أمر الله به ، وبما ثبت باليقين عن الرسول والصحابة من بعده ، واتخذوا من القياس والاستحسان ما أعطى آراءهم المرونة والقدرة على مواجهة كل جديد في أحداث الحياة غير المحدودة وتطوراتها غير المتناهية . ولم يعد للمسلم في مجال العبادات غير الامتثال والتنفيذ وأما في المجالات الاخرى ، فاجماع الامة على شيء منها لا يخالف نصا من نصوص الشريعة يعد حكما صالحا قابلا للنفاذ والامتثال له .

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

(من سورة ال عمران)

الفصل الثاني

طرق تدريس القرآن الكريم والعبادات



تدريس القرآن الكريم

القرآن الكريم ذو بناء فريد وتركيب معجز ، لا يضاهيه كتاب في الكون كله . تأتي الكلمات فيه وكأنها بناء محكم بحيث لا نستطيع حذف كلمة ووضع أخرى موضعها ، كما أن اسلوبه فيه من البيان ما يضطر الانسان للتسليم به . واذا ما نظرنا إلى الشكل في القرآن وجدناه غاية في الاهمية بحيث لو تغير شكل ووضع آخر موضعه اختل المعنى كلية ، فلو قرأنا قول الله تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » بفتح لفظ الجلالة كما هو النص القرآني ، كان المعنى أن العلماء هم ألذين يخشون الله ويخافونه ، ولو تغير الشكل بضم لفظ الجلالة بدل فتحه تغير المعنى وأصبح ان الله هو الذي يخاف العلماء ويخشاهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

ومن هنا كانت طريقة تدريس القرآن الكريم ، لا بد فيها من العناية بمخارج الحروف حتى تدل على ما نزلت من أجله ، وايضاح الشكل حتى لا يختل المعنى ، ووصل الكلمات حتى يكون المعنى مترابطا .

ولتحقيق ذلك لا بد وأن يدرك المعلم هذه الأشياء .

١) مخارج الحروف (حلقية ، لسانية ، شفهية) .

٢) الربط بين الكلمات ربطا يتفق والمعنى المراد منها .
٣) فهم المعنى اجمالا .
٤) استخراج الحكم الشرعي ، والهدف الاجتماعي والديني .
٥) القصد إلى تجويد الاسلوب لدى الاطفال ، وتعلقهم بأساليب القرآن .
٦) القراءة الجيدة القائمة على الفهم واستخراج النتائج .

ولا شك ان ذلك لا يمكن حدوثه الا اذا استطعنا ان نُفهم التلاميذ ما تنشده الايات الكريمة من الحكم والاهداف والمثل والغايات ، وعملية الافهام في تدريس القرآن عملية ضرورية وقد شددت عليها المدرسة الحديثة ، بخلاف المدرسة التقليدية القديمة التي كانت تعتمد على مجرد الحفظ ولا تعتني اطلاقا بعملية الافهام .

والحقيقة ان المفهوم من المقروء في القرآن الكريم لا يأتي الا بجهد من المعلم ، وذلك الجهد في أبسط صوره يقوم على أسس ثلاثة :

١) فهم المعنى فهما إجماليا .
٢) اجادة عملية الحوار حول هذا المفهوم مع التلاميذ ، وضرب الامثلة على ذلك من الاشياء التي تتعلق بخبرة التلاميذ .
٣) الاعتماد على تمثيل المواقف والاهداف القرآنية تمثيلا يتفق وقدرات التلاميذ العقلية .

ومن الملاحظ أن التلاميذ في المرحلة الابتدائية يتعلقون بالاشياء التي تمثل أمامهم والتي تصور تصويرا مشاهدا وواقعيا .

فاذا ما بدأ المعلم بعد ذلك في عرض النص وقراءته كانت أذهان التلاميذ قد أعدت لتلقي هذا النص القرآني بألفاظه ومفاهيمه وأهدافه .

والذي لا شك فيه ان كل ما ننشده من تعليم القرآن الكريم . هو تثبيت الاهداف الاسلامية في أذهان التلاميذ لينشأوا نشأة قائمة على تعاليم الاسلام ، وأن نجود أسلوبهم وليس هناك في العربية اسلوب يعادل أسلوب القرآن . والطفل الذي يتعود تذوق أساليب القرآن وعشقها ، يستطيع في مستقبل أيامه أن يكون جيد الاسلوب منظم الفكر ، كما يستعذب الفكر العربي الاسلامي وأدبه ، ولا يستثقل اللغة .

فدراسة القرآن تخدم اللغة والادب واللسان ، ويجب علينا أن نجعل طريقة تدريس القرآن مشمولة بنقاط ثلاثة :

١) ربط الافكار التي ترد في القرآن بالافكار الانسانية التي نعيشها كأمة مسلمة .

٢) توضيح ان القرآن انما هو دستور الهي لبني البشر يجب أن يطبق في الحياة اليومية والعملية ، فليس القرآن وثيقة يتبرك بها ، او يتندر الناس بأحكامها ، او يتغنى بآياتها كما هو حادث الآن في عالمنا الاسلامي .

٣) يجب أن نلاحظ نقل هذا المفهوم من أذهان التلاميذ وطرحه جانبا . وان نبث في قلوبهم ان القرآن دستور عملي يمارس في حياة الفرد كل يوم .

الحفظ وأهميّته

قلنا قبل ذلك ان القرآن الكريم دستور المسلمين في حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، لذلك فهو جدير بالحفظ والعناية به . ولا يمكن صيانة القرآن الكريم كما ثبت على مدى التاريخ الا بالحفظ الجيد المضبوط بالشكل المدقق في النطق المحدّد مخارج الحروف .

لذلك فنحن نعلم أبناءنا طريقة حفظه والعناية به ليكون لهم منهجا في التعبد والحياة ، وليتعرفوا عليه ، ويتخذوا من أحكامه وأساليبه غاية لهم . ولا شك ان طرق الحفظ بالنسبة للاطفال تحتاج إلى مجهود وتنظيم من المعلم .

فالطفل في الحلقة الاولى « السنة الاولى والثانية الابتدائية » لا يستطيع قراءة القرآن معتمدا على المصحف او الكتاب او السبورة لذلك راعى واضعوا منهج هذه المرحلة ان يكون من السور القصيرة حتى يسهل على الطفل حفظها وتتبع ألفاظها .

وعلى المعلم أن يسلك في تدريس القرآن الكريم لهذه الحلقة الخطوات التالية :

١) التمهيد .

يمهد المدرس للسورة بحديث سهل في موضوعها . ومن المستحسن ان يناقش التلاميذ بأسئلة تمس الموضوع وتتعلق بالسورة ومعانيها .

٢) القراءة النموذجية .

على المدرس أن يقرأ السورة وحده قراءة نموذجية « ومعنى نموذجية » خالية من الاخطاء ، واضحة مخارج الحروف ، والتنوين والربط . يقرأ مرة ومرتين مراعيا ما يليق بالقرآن من الخشوع والتأني ، والاطفال منصتون ، ويمكن أن يكرر القراءة مرات عدة حتى يشعر ان التلاميذ جميعهم قد تأثروا بقراءته وأدركوا مخارج الحروف وصحة النطق .

٣) القراءة الجمعية مع المدرس :

يقوم المعلم بتهيئة التلاميذ إلى انه سعيد قراءة السورة او النص جزءاً جزءاً

وعليهم أن يعيدوا بعده كل جزء يقرأه . ثم يقرأ المدرس السورة مجزأة ويراقب الاطفال وهم يقرؤون بعده ، ويرهف سمعه لنطقهم ويرشدهم إلى الصواب اذا اخطأوا .

٤) المنافسة في القراءة الجمعية :

يحاول المدرس أن يجعل مجموعة من الاطفال تعيد ما يقرأه ثم يطالب مجموعة اخرى بالاعادة ، ثم يطالب مجموعة ثالثة وهكذا . ويمكنه أن يثير التنافس بينهم لاجادة القراءة .

٥) القراءة الفردية :

بعد أن يتأكد المعلم من ان القراءة الجمعية قد أدت الغرض المرجو منها ، ينتقل إلى القراءة الفردية ، فيطلب من أحد التلاميذ ان يقرأ الدرس ، ثم يطلب من تلميذ آخر وهكذا حتى يقرأ أكبر عدد من التلاميذ . والذي لا شك فيه انه سيجد أكثر الاطفال قد تمكنوا من حفظ السورة كلها أو أغلبها وعليه حينئذ أن يجعل الحفاظ يقرؤون معتمدين على أنفسهم وان يثير المنافسة بينهم ، مع ملاحظة قراءة كل واحد منهم ، وتصويب ما يقع فيه من أخطاء . وقبل نهاية الحصة سيجد ان معظم الاطفال قد حفظوا النص ، وأصبح الأمر ميسرا على الآخرين .

٦) أهمية المعنى وطريقة مناقشته :

للمعنى في آيات القرآن الكريم أهمية عظمى ، حيث أن القرآن لا يعني شيئا الا اذا فهم معناه ، وعرف من خلال هذا المعنى ، ماذا يريد الشارع ، وإلى أي شيء يهدف لذلك على المدرس ان يناقش أطفاله في معنى النص بأسئلة سهلة وهادفة ، واذا كان النص طويلا عليه أن يقسمه إلى وحدات

ويعالج كل وحدة بالشرح على حدة ، لان القرآن الكريم وان كان يعطي أحكاما كلية متصلة ومترابطة ، الا انه اذا ما قسم إلى وحدات سهل على الطفل ادراكه وربط أحكامه في مستقبل أيامه .

٧) متابعة المعلم للتلاميذ :

على المعلم أن يدرك ان الطفل مجموعة من الانفعالات تتأثر بما حولها ، وان يومه مشحون بأشياء متعددة ، فاذا ما تُرك لنفسه خلط بين الاشياء وضاع منه محفوظه . لذلك على المعلم قبل ان يبدأ في درس جديد من دروس القرآن الكريم ان يختبر تلاميذه فيما حفظوه قبل ذلك ، حتى يتثبت من انهم يحتفظون بما علمهم اياه .

وأحب أن أشير إلى ان المعلم له حرية الاختيار فيما يراه مناسبا لتعميق المحفوظ لدى تلاميذه وما يدل عليه من إرشادات وأحكام . وهو وحده الذي يستطيع أن يحدد الطريقة التي تناسبه وتناسب أطفاله لإيصال المعلومات وتثبيتها .

هذا بالنسبة للصف الاول والثاني من المرحلة الابتدائية .

وفي الصف الثالث والرابع ، يمكن أن يسير المعلم على الخطوات التالية ، مع مراعاة ان له الحرية أيضا في اختيار أنجع الوسائل — التي تتفق مع هذه الخطوات او تخالفها — لايصال المعلومات إلى التلاميذ وتثبيتها في أذهانهم ، وتعميق المفهوم لديهم :

١) يمهد للدرس باسئلة تثير انتباه التلاميذ وتشوقهم للموضوع الذي سوف تتناوله الآيات الشريفة .

٢) يكتب المعلم النص على السبورة بخط واضح وجميل مع مراعاة الضبط بالشكل ، وان تكون الكتابة بلون مخالف حتى يجذب انتباه تلاميذه ، ويحرك مشاعرهم وأثناء كتابته للنص عليه ان ينبه التلاميذ إلى موضع السورة او النص من الكتاب حتى يتابعه التلاميذ ، وينشغلوا بقراءته والتقاط بعض الكلمات والمعاني منه .

٣) يقرأ المدرس السورة او الايات من على السبورة قراءة دقيقة وخاشعة ، ثم يعيد قراءتها من الكتاب كذلك والتلاميذ يتابعونه ، حتى اذا ما إنتهى من القراءة ، طلب من بعض التلاميذ قراءتها ، على ان يقرأ كل تلميذ جزءا محددا ، ثم يليه غيره ، تكرر هذه القراءة ، وتصحح الاخطاء فور وقوعها ، ويحسن اعادة القراءة من المعلم اذا وجد ان الاخطاء كثيرة وشائعة بين التلاميذ .

٤) يمكن للمعلم أن يجعل التلاميذ يقرؤون قراءة جماعية بأن يطلب من الفصل كله الترديد خلفه ، او ان يقسمه إلى مجموعات كل مجموعة تردد خلفه ، والاخرى تستمع وتتابع في الكتاب ، مع ملاحظة ، الشكل ، والوقف ، والفصل ، والتنوين . وذلك لا يكون في الصفين الثالث والرابع الا في حالة تعذر النطق الصحيح للآيات من الأطفال ، كأن تكون الألفاظ غريبة عليهم او تحتاج في نطقها إلى إيقاع وضبط معينين .

٥) ان المقصود من هذه الخطوات كلها ، جعل التلاميذ يقرؤون قراءة صحيحة وواعية ، وان يستطيعوا بعدها الاعتماد على أنفسهم ولذلك على المعلم أن يعود إلى القراءة الفردية مرة ثانية ليتأكد من انه حقق مراده .

٦) القراءة وسيلة للفهم ، فهي ليست غاية في ذاتها ، لذلك على المعلم أن يشرح الايات شرحا مبسطا يجعل التلاميذ يدركون الاهداف والاحكام التي تدل عليها ، ويكون ذلك بطريق الاسئلة ومناقشتها ، ولا داعي للوقوف طويلا عند اللغويات ، بل يكفي أن تفهم من السياق ان كان يمكن فهمها ، والا فعليه شرحها بأبسط الطرق ، ومن المهم أن يدرك التلاميذ ان هذا الذي يتعلمونه يتعلق بموضوع ديني يتصل بعقائدهم وحياتهم ، وأن يفهموا تطبيق النص القرآني على هذا الموضوع . وبذلك نكون قد حققنا الربط بين آيات القرآن الكريم وواقع الحياة التي يحياها التلاميذ ، وهذا يجعلهم يتعلقون بالقرآن ويستسهلون فهمه وادراكه ، بل ويعشقونه ويقبلون على دراسته بحب وشوق .

تلاوة القرآن الكريم

تلاوة القرآن الكريم عمل تعبدي يصفي الروح ويهذب النفس ، ويمنح المرء قدرة خارقة لمجابهة الحياة بلا خوف ولا ملل ، كما يهيؤه لرحلة الآخرة بصورة تجعله مطمئنا لمستقبله واثقا منه كحاضره وماضيه تماما ، لذلك كانت دروس تلاوة القرآن في المرحلة الابتدائية دروسا لا تقل أهمية عن دروس الحفظ والفهم والتبصر .

وعلينا في دروس التلاوة أن نتأدب بآداب القرآن من رحمة ورقة وصفاء ، حتى تشتمل تلاوتنا على الخشوع الذي ننفذ به إلى قلوب التلاميذ ، والوصول إلى موقف يتفق وجلال القرآن وعظمته ، ليتعود الاطفال على ذلك ، ويصبح أمر التلاوة بالنسبة لهم موضع حب وشوق . وقد أشرت فيما مضى إلى كيفية

القراءة السليمة للقرآن ، وأوضح هنا بعض ما أجملته هناك من أصول التلاوة

١) يراعي المعلم وضوح الالفاظ ، واخراج الحروف من مخارجها ، ومد الحروف والحركات المد المناسب حتى لا يختل المعنى بالاطالة او الحذف .

٢) مراعاة أحكام الوقف ، فلا نقف الا حيث يجب الوقوف . على ساكن ، او مد ، او هاء ان كان الحرف الاخير تاء مربوطة ، وغير ذلك من أحكام الوقف المنتشرة في علوم القراءات .

٣) الدقة في الفصل والوصل ، والحرص على جعل الصوت معبرا عن المعاني ، حتى يكون الايقاع على اذن السامع متفقا وما تدل عليه الايات من سلام او حرب من وعد او وعيد ، ومع السلام يحسن خفض الصوت ورقته ومع الحرب رفعته وغلظته ، وهكذا في الوعد والوعيد وغير ذلك من المعاني والاحكام الكثيرة التي يشملها القرآن الكريم .

٤) للشكل في القرآن أهمية قصوى ، لذلك على المعلم ان يلاحظ الضبط بالشكل ملاحظة دقيقة في قراءته ، وكذلك في قراءة التلاميذ لان اللحن يغير المعنى ويفسد القراءة فسادا يصل في بعض الاحيان إلى جعل الايمان كفرا ، والحقيقة باطلا ، ونحن نريد أن يعود أطفالنا على تلاوة القران تلاوة صحيحة تكسبهم فوق حب القرآن جودة في أسلوبهم وانطلاقا في ألسنتهم ، لهذا فعلى المعلم أن يتابع قراءة التلاميذ وأن يصوب اخطاءهم ويتبع في تصويبه طريقة الحوار والاستنتاج الذي يؤدي في النهاية إلى اكتشاف التلميذ للخطأ بنفسه . ويجب ان لا يقاطعه أثناء القراءة بل يتركه يتم الجملة او الآية ، ثم يبحث مع التلاميذ عن الخطأ فاذا اكتشفه أحد التلاميذ واصل القراءة ، والا طلب اعادته مرة اخرى مع لفت

نفلر التلاميذ إلى ان هناك خطأ ما ونحن بصدد البحث عنه واكتشافه فاذا فطنوا اليه ولم يدركه التلميذ القارىء ، اوقف التلميذ عند الخطأ وجعل مكتشفه من زملائه يصوبه له . فاذا كان التلميذ قد اكتشفه بنفسه أشار اليه اشارة عابرة وواصل السير في القراءة . ومن التجارب المفيدة تقييد الاخطاء الشائعة في دفتر او على السبورة ومحاولة تصويبها في معظم الحصص عن طريق الحوار والمناقشة مع التلاميذ ، حتى نقضي على هذه الاخطاء وتستقيم الالسنة ، ويستحسن أن نحتفظ بالعبارات المصوبة فقط وان نمحوا الخطأ منها . حتى لا يعلق بأذهان التلاميذ الا ما نتمناه من عبارات سليمة ونطق صحيح .

القرآن والضمير

إن الأصل في الاخلاق الاسلامية يرجع إلى سلطة خارجية هي سلطة الدين ، وأساس هذا الدين (القرآن) الواجب تعليمه وتعلمه . وقد شمل القرآن ابعاد الضمير ومظاهره ، وارتقى به ليكون الدافع والمحرك نحو الكمال الاخلاقي في الانسان ، والصلة بين الدين الاسلامي والاخلاق عظيمة تبلغ حد التوحيد بينهما . فالدين وسيلة لتكوين الخلق ، والاخلاق مظاهر تطبيقية لأسس الدين ومبادئه .

ومنذ أقدم العصور والانسان يتطلع فيما وراء الافق يبحث عن شيء يستمد منه العون ، ويركن اليه في ساعات اليأس والمتاعب والمحن ، وهو في سبيل ذلك أرهف حسه وارتقى بشعوره ، ذلك الشعور النفساني الذي هو بالنسبة للانسان كالمرآة تنعكس عليها أعماله ، فيرى فيها تقدير هذه الاعمال ، ويتسنى له أن يحكم عليها بالخير او الشر ، وقد عبر علماء الاخلاق عن هذا

الشعور (بالضمير) وقالوا انه هو الذي يقف من المرء موقف الرقيب ، يحثه على اداء الصالح ، وينهاه عن فعل الضار ، ويعاوده بعد اداء الاعمال مستنكرا منه سوء عمله ، مرضيا له عن جميل فعله (وهو ما يسمى براحة الضمير) ، فلا توجد أخلاق بلا ضمير ، سواء اعتبرنا أصل الاخلاق سلطة خارجية دينية او اجتماعية او قانونية ، او اعتبرنا أصل الاخلاق هو هذه السلطة النفسية الصادرة عن النزعات الذاتية والافكار الباطنة ، وليس من المتصور فصل الضمير عن الاخلاق ، وبالتالي فصلهما معا عن الدين . اذ ان الدين هو محور الشعور الانساني منذ الطفولة ، ومن هذا الشعور يبني الضمير الذي تقوم عليه دعائم الاخلاق وما دام الضمير مكتسب من الدين فاننا نرى ان الاسلام يحل الضمير الديني محل الضمير الخلقي بحيث يكون محور الشعور ومركز التساؤل (الرقيب) انما هو الدين ، والرسول صلّى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان قال (ان تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك) . والقرآن الكريم أصل الدين ومنبع فكره يبين ان الله تبارك وتعالى مطلع على ضمائر الناس ، وانه محاسبهم — على ما في ضمائرهم . « واعلموا ان الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه » (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) (وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير) فالضمير له قوة الحث على العمل الصالح ، والنهي عن ارتكاب السيئات ، ووظيفته الاطلاع والرقابة على الاعمال ، والله يعلم السر والجهر ، كما يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، فهو سبحانه الرقيب على الضمير أيضا ، ولا يكون الضمير سليم التوجيه والفعل الا اذا كان مستمدا

قواه من الدين ملتمسا هديه من القرآن ويرى القابسي [1] ان احياء الضمير لا يكون الا بوسيلتين تتفرعان عن أصل واحد (هو الايمان الخالص بالله القوي العليم الغفور) ، والوسيلة الاولى (ان تعبد الله كأنك تراه) وهذا يقتضي من العبد ان يكون ملتزما بالطاعة والفضائل في كل أحواله . لانه يشاهد الله في أعماقه كلما أقدم على فعل ، وهذا يجدد ايمانه في كل لحظة . والوسيلة الثانية الاعتصام بالله . لان الانزلاق الخلقي مرجعه اتباع الشهوات ، ولا عاصم للانسان من نفسه الامارة بالسوء الا الله .

فاذا ما أردنا أن تكون مجتمعاتنا قائمة على الضمير ، فلا بد وأن نعتني بتعليم القرآن ، ذلك النبع الذي يفيض بالاخلاق السامية ، والذي حدد في خطوات سهلة ميسرة سبل الايمان بالله ، والاعتصام به ، وهي الوسائل التي تحي الضمير ، فتستقيم الاخلاق .

وعلى المعلم أن يحرص في دروس القرآن على تعليم التلاميذ مبادىء الايمان الصحيح ، والعبادات المختلفة ، ومراقبة النفس ، والترفع إلى مرتبة الصالحين . والتوجيه إلى الله بالدعاء (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) ، وليكن صوب عينيه ان العبادة في الاسلام ليست عبثا ، وانه مسئول ان يجعلها كالغذاء والهواء في حياة التلاميذ ، فالصلاة وهي جوهر الاسلام عبادة الغرض منها معرفة الله . وذكره في كل وقت ، ودوام الذكر هو السبيل إلى يقظة الضمير . لهذا

---

(١) انظر (أ) نقد العلم والعلماء او تلبيس ابليس لابن الجوزي – والرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين – للقابسي .
الروضة البهية فيما بين الاشاعرة والماتردية .
التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي .

كانت الصلاة المفروضة على المسلمين تؤدي في خمسة أوقات متفرقة من كل يوم ليدوم ذكر الله بامتداد اليوم والليلة ، (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) ، اذا استطاع المعلم أن يصل بهذا المفهوم وغيره من المفاهيم الاسلامية إلى عقول التلاميذ فقد حقق الغرض المرجو منه والا كان كمن يحرث البحر أو يزرع في الهواء .

وقد كان أثر القرآن في المسلمين كبيرا ، وظهر ذلك في أحاديث رسول الله ومأثور المؤمنين ، وكلاهما يبين ان احساس الضمير بالرضى والسكينة عند فعل الخير واحساسه بالسوء والقلق عند مقارفة الشر ، انما هو من علامات الايمان روى عن عمر (من سرته حسنته وساءته سيئته فهومؤمن) [١] .

وفي الحديث ما يجعل فعل الخير موازيا في الأجر لاداء فريضة من فرائض التكاليف بل لاداء ركن من أركان الاسلام ، او يجعله كفيلا عند الله بمغفرة فيها صلاح أمر المرء كله يقول صلى الله عليه وسلم (من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة ، واحدة فيها صلاح أمره كله ، واثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة) [٢] .

وفيه ما يجعل فضيلة من فضائل الخلق والضمير جهادا من أعظم الجهاد عند الله لان المرء له ميادين عدة يجاهد فيها ، منها ما هو في سبيل العيش ، والعمل والبقاء ، ورد الظلم ، وأعظمها ما كان في سبيل الله والرسول يقول (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) [٣] ويرى صلى الله عليه وسلم ان التراخي في دفع الظلم والتهاون في الدعوة إلى البر والخير والمعروف ،

---

(١) مسند احمد ج ١ ص ١٨ طبع الحلبي .
(٢) رواه الشعبي عن انس في الجامع الصغير شرح الحفني ص ٣١٣ ، ٣١٤ ج ٣ .
(٣) رواه انس بالجامع الصغير ص ٣٥٦ ج ٣ .

يكون سببا للعنة الله في الاخرة وفساد الامر في الدنيا فيقول : (والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتَأطِرُنّه على الحق أطْراً او لتقصرنّه على الحق قصرا . او ليضربنّ الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعننكم كما لعنهم)[1] أهو كما لعن (اليهود) .

وفي الحديث ما يدل على ان النفاق فردي او اجتماعي يكون سببا من أسباب الخذلان والفناء (ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل ، انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له : يا هذا ، اتق الله ودع ما تصنع ، فانه لا يحل لك . ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ان يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض)[2] .

والنفاق في المجتمع من الامور القاتلة له والتي تؤدي به إلى الهلاك ، والمنافق مرذول في الدنيا معذب يوم القيامة . يقول الرسول (ليلة أسرى بي مررت على اناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : من هؤلاء ..؟ (سائلا جبريل عليه السلام) فقال : هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ، كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون)[3] .

ويدل على ذلك أيضا قوله : (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه[4] فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون . يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر.. ؟ فيقول (بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه . وأنهي عن المنكر وآتيه)[5] .

---

(١) اخرجه ابو داود كتاب الملاحم باب الامر والنهي / تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .
(٢) كتاب الملاحم ص ٣٦ .
(٣) مسند احمد ج ٣ ص ١٢٠ (الحلبي) .
(٤) الاقتاب . الامعاء . واحدها قتب .
(٥) صحيح مسلم ٥٣ كتاب الزهد والرقائق حديث ٥١ طبع الحلبي تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

ومن الحديث الشريف ما يجعل احدى فضائل النفس والضمير ، فضيلة المسامحة والعفو ، وهي فضيلة تُدخل صاحبها الجنة ، وترفع قيمته في الدنيا ، وتقربه من الله والناس ، وتكسبه الراحة والرضا والطمأنينة (اذا وقف العباد يوم القيامة ، نادى مناد : ليقم من أجره على الله فيدخل الجنة بغير حساب ، قيل : ومن ذا الذي أجره على الله .. ؟ قال : العافون عن الناس [1] (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ، ومن لا يغفر لا يغفر له) [2] .

ومن تسامح الاسلام الدال على انه دين كل بني البشر انه يأمر بالرحمة والعدل ، حتى مع من لم يكن مسلما ، وان من ظلم غير المسلم فالله حجيجه وخصيمه يوم القيامة يقول صلى الله عليه وسلم (الا من ظلم معاهدا او انتقصه ، او كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) [3] وتلك من أعظم فضائل النفس والضمير ، التي يربى عليها الاسلام أبناءه ، ويحملهم من مسئولية الحياة ما يتعلق بالجنس البشري كله .

ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما يجعل الحق الفردي في العدل والرعاية لا شأن له بالخطيئة فهي لا تنقص من هذا الحق شيئا . فلا يصح لانسان أن يجور على انسان او ان يسلبه حقه ويظلمه في معاملته بحجة انه انسان ذو خطيئة ... لان الله وحده هو صاحب الحق في محاسبته على خطاياه ان شاء عاقبه وان شاء غفر له (دعوة المظلوم مستجابة ، وان كان فاجرا ففجوره على نفسه) [4] وليس هناك من يحكم على انسان حكما مبنيا على فعله وقوله ،

---

(١) الترغيب والترهيب : للمنذري ص ٢١٠ جـ ٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٤ جـ ٣ .

(٣) اخرجه ابو داود ، ١٩ كتاب الخراج والامارة والفيء .

(٤) مسند احمد جـ ٢ ص ٣٦٧ .

لان الضمير مخفي وهو مركز الثقل في أعمال الانسان وربما يتوب المرء توبة تبدل سيئاته حسنات ، وفي حديث الرسول ما يبين مقدار ترغيبه في الأوبة إلى الضمير والانابة عن الذنب ، لان هذا المذنب الذي يعاود الذنب مرة بعد مرة ثم يحاسبه ضميره في كل مرة فيتوب ويرجع انما هو في حقيقة أمره يتعامل مع الله ، ويقظة ضميره هذه هي التي تجعل الله يغفر له هذه المعاودة ، ونفت عنه وصف الإصرار يقول : (لم يصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة) [1] ويقول : الامام الغزالي (المؤمن مفتن توّاب . وهو بعيد عن الإصرار والإكباب) [2] .

---

(١) من تفسير الفخر الرازي جـ ١ ص ٣١١ .
(٢) المنقذ من الضلال ص ١٠١ ط دمشق .

أثر العبادة في تربية الإنسان

العبادة في الاسلام وسيلة للقاء العبد بربه ، ذلك اللقاء الذي يتكرر كل يوم في الصلاة خمس مرات ، وفي الزكاة والصدقة في كل لحظة . وفي الصيام شهرا من كل سنة ، وفي الحج مرة في العمر . هذه اللقاءات بأشكالها وألوانها المختلفة ، متقاربة ومتباعدة انما تعمل على تأديب النفس ، وتصفية الروح ، وتثقيف العقل وتقوية الجسم . فهي تربي الانسان تربية روحية ، وأخلاقية وعلمية وجسدية ، وتحثه دائما على الايمان بالله ، والاقرار بوجوده ، والاعتراف باطلاعه على أعماله ، وخشيته من جزاء الله العادل على ما يرتكب من خير أو شر . ومع اتصال العبد بربه ومداومته على طاعته . والتقرب اليه في عبادته ، يتمثل ذلك القول « رأس الحكمة مخافة الله » . فلا يقدم على عمل أو قول الا اذا وثق ان في هذا رضا الله ورحمته . ومن هنا يبنى ضمير الفرد وينشأ معه نشأة تدفعه إلى التمييز بين الحلال والحرام ، بدون حاجة إلى طقوس معينة او تعاليم محددة تفرض عليه من خارج ارادته . لهذا كان الاسلام في بنائه للفرد متفقا مع فطرة الله التي فطر الناس عليها . ما ان يلتزم به الانسان ، ويتمسك بأركانه ، ويتبع خطواته ، ويهجر ما يخالفه ، حتى يشعر وكأن هذه الأشياء متلازمة مع تكوينه ، ملتصقة بوجوده وكيانه ، لا يحس ادائها بتعب ولا عناء ، ولا يشعر في القيام بها بتكليف او ارهاق . وانما هي التي تسيطر على وجدانه او يسيطر وجدانه عليها . فيقبل على الخير في قناعة ،

ويبتعد عن الشر ايمانا وطاعة ، كما يعمل على البر بأهله وبالناس ، يساعد الضعيف ، وينصف اليتيم ، ويطعم المسكين . لا تجده أبدا في دائرة نفسه ، بل يتجاوزها إلى المجتمع بأسره يعطيه ويأخذ منه ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، يرتقي به ضميره مع كل حركة وقول وفعل من أقوال العبادة وأفعالها . فتشتد مخافته من الله في السر والعلانية . فيحيا حياة طيبة ، متكاملة في جوانبها الانسانية ، فهو سعيد في نفسه ، محترم من أبناء جنسه ، موثوق به في قوله وفعله ، مرضي عنه من ربه . وبذلك تكتمل سعادته في الدنيا ، ويحظى بالاجر العظيم في الاخرة ، قال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) . وليس هناك شيء في الحياة « كالعبادة » يرفع عن الانسان هموم الدنيا ، ويزيل كرباتها ويخفف من ضيق الصدور عندما تشتد المحن ، وتأتي الايام بما لا قبل للانسان بمعرفته أو إدراك سره .

العبادات وآثارها النفسية والاجتماعية

الآثار النفسية والاجتماعية للعبادات أكثر من أن تحصى . ويكفي ان أشير هنا ، إلى ان العبادات تربي الضمير الديني عند الانسان ، وذلك الضمير يستمر مع الانسان يساعده على طرد ما يخالف فطرة الانسان الطاهرة النظيفة ، حتى يصبح هو (أي الضمير الديني) أساس الضمير النفساني والخلقي . فلا يرى الانسان في نفسه ومن نفسه الا ما يرضي ربه ، ولا يرى في خلقه الا ما يتفق وما يقوم به من عبادات تربطه بخالقه . لذلك كانت التربية الاسلامية بالنسبة للاطفال هامة جدا لكي نبني عندهم هذا الضمير الذي منه ستنبثق النفس الانسانية وتنطلق إلى مجتمعها ، تنشر فيه الخير والمحبة والرحمة ،

وتأخذ منه الرضا والسعادة والثقة . ومن هنا أطلق العرب قديما على المعلم لفظ (المؤدب) لانه هو الذي يطبع الطفل على العبادات ، ويزرع في نفسه العادات ، ويغرس في وجدانه طرائق السلوك الاخلاقي . وأدب السلوك في الاسلام مستمد من الدين نفسه علما وعملا . عقيدة وعبادة . ذلك ان الطهارة ركن أول في كل عبادة .

والطهارة منها ظاهرة ، ومنها باطنة ، منها مادية ، ومنها روحية . والعبادات في الاسلام تشمل الجانبين معا لان جوهر الاسلام الصحيح يجعل الدنيا سبيل الاخرة . ولا يحرم زينة الله . واذا ما نظرنا إلى الوضوء كطهارة ، وإلى الغسل كذلك ، لرأينا ان تلك الطهارة انما المراد منها أن يكون العبد طيب الجسد ، كما فعل العبادة نفسه يجعله طيب الروح . ففي النية في العبادة طهارة القلب كما في الاعداد لها من نظافة طهارة للجسد . وفي الزكاة طهارة للمال وفي الصوم طهارة للروح ، وفي الحج طهارة شاملة للمال والروح والبدن ، وتعويد الاطفال من الصغر على العبادات الاسلامية ، يطبعهم على طهارة النفس وتصفيتها من شوائب الدنيا . لينطلقوا إلى الحياة بنور الله يهديهم ويدفعهم إلى الحق والفضيلة .

والعبادات تعلم الطاعة والنظام . فالطاعة واجبة بنص الدين على الابناء للاباء ، وعلى الزوجة لزوجها ، وعلى المأموم للامام وعلى المتعلم للمعلم ، وعلى الصغير للكبير . وهذا يؤدي إلى تناسق اجتماعي ، وإلى بناء نفسية سوية لا تشعر بالضيق والملل من الأوامر والنظم الاجتماعية . والمعلمون والاباء والمؤدبون والناصحون والائمة حين يقومون بتربية الشعب ، صغارا كانوا أم كبارا ، انما يأمرون بما أمر الله به على لسان نبيه ، وينهون بما نهى عنه . ولا تصلح تربية بغير طاعة ، ولا تقوم جماعة بغير انقياد . ويتعلم المسلمون

النظام من العبادات . فالصلاة تؤدى في أوقات معلومة ، وينتظم المسلمون في الجماعة وراء الامام صفوفا متلاحمة كصفوف الجند . ويمسك المسلم في الصوم عند السحر ، ويفطر عند آذان المغرب . وهكذا الشأن في كل عبادة . تؤدى في نظام ودقة ، بطريقة محددة وفي وقت معلوم .. واذا استطاع المسلم فهم العبادات فهما قائما على الوعي والتدبر انتظمت أسرته واستقام أمرها . وبها يستقيم أمر الشعب ، ويقوّم المجتمع ويحيا الناس حياة راضية مطمئنة . وكانت الامة في مجموعها راقية ، فلا فسوق ولا فجور ، ولا جرائم ولا أحقاد ، ولا أطماع ولا أنانية ، ولا تجبر ولا تكبر . لان الدين يدعوهم إلى أن يكونوا اخوة متحابين ، يشكلون مجتمعا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . وبذلك ترقى الامة وتقوى جوانبها ، فلا ينتقص منها عدو ، ولا يطمع فيها طامع ، ويشعر الناس بالسعادة والرضا ، وينجو المجتمع من شرور النفس الانسانية الحاقدة الطامعة . التي ما ان بعدت عن الدين والعبادات ، حتى أصبح لا يرضيها شيء مهما كان ، وان بلغ مثل جبال الأرض ذهبا وفضة ، وبالجملة فان طهارة الجسد والروح بالعبادات ، خير علاج للامراض النفسية والاجتماعية ، التي نراها اليوم تجتاح العالم مشرقه ومغربه .

العبادات

الصلاة

من الوجهة الدينية والنفسية والجسدية والاجتماعية

الاسلام في بنائه العام ينقسم إلى قسمين . عبادات ، ومعاملات ، وقد سبق الحديث عن مضمون هذه المعاملات من الوجهة الاخلاقية والنفسية والاجتماعية ، وسوف أتناول هنا العبادات من هذه الوجهة أيضا ، مركزا على طرق تدريسها وخاصة في المرحلة الابتدائية . ومن أول العبادات وأهمها الصلاة . تلك الفريضة التي فرضها الله على المسلمين في اليوم والليلة خمس مرات ، في أوقات محدودة ، بنظام معين ، وترتيب محدد . يتجه فيها المصلي بوجهه – أينما كان – جهة المسجد الحرام بمكة ، وهي تبدأ بالتكبير « الله أكبر » ثم قراءة الفاتحة ، وبعض آيات القرآن الكريم إن أمكن ، ثم يركع المصلي منحنيا حتى يستوي ظهره ممسكا ركبتيه بيديه ويقول في سره اثناء ركوعه : سبحان ربي العظيم ، ثم يرفع رأسه حامدا لله قائلا : سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ، ثم يخر ساجدا واضعا جبهته على الارض ، ويقول في أثناء سجوده . سبحان ربي الاعلى ، ثم يرفع رأسه مكبرا ، حتى يطمئن في جلسته ، ثم يعود إلى السجود كالمرة الاولى ، وتسمى هذه الاعمال « الركعة » يكررها المصلي مرتين في صلاة الصبح ، وأربع مرات في الظهر والعصر والعشاء . وثلاث مرات في المغرب .

وقد أمر الله باقامتها لوقتها وفرضها على المسلمين فقال تعالى في سورة النساء الآية ١٠٣ .

إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾

وفي سورة هود آية ١١٤ :

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ

وفي سورة طه الاية ١٣٢ :

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا

وفي سورة البقرة آية ٢٣٨ :

حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ

وفي سورة ابراهيم آية ٣١ :

قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

ووعد الله المؤمنين الذين يؤدونها بأعظم الجزاء ، وبالفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة فقال تعالى في (سورة المؤمنون ١ ، ٢) « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » (وفي سورة المعارج ٣٤ ، ٣٥) (والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك في جنات مكرمون) . كما توعد الغافلين عنها . وأنذرهم بأشد أنواع العقاب في الدنيا والآخرة قال تعالى في (سورة الماعون ٤ ، ٥) :

فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾

(وفي سورة المدثر ٤٢ ، ٤٣) .

مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾

والصلاة في حقيقتها خلوة قصيرة لمناجاة الله تشتمل على تفكر وتأمل وعلى ذكر ودعاء وعلى تلاوة القرآن . وهي وسيلة لتذكير الانسان بربه . تنقله اليه ، وتقربه منه ، على الرغم من استغراقه في الأعمال اليومية الدنيوية التي توجه ذهنه

عادة الى الكسب والربح أو الى ملذات الحياة أو متاعبها ومشاقها . وأداء الصلاة والحرص عليها ، مع اليقين والخشوع فيها ، يمنع الانسان من الاسترسال في الشهوات أو ميله الى الظلم والشر والباطل وتقاوم فيه ضعفه النفسي وشعوره بالعجز . وتصله بمصدر القوة والحق والخير والعدل (الله الخالق الرازق — من له الحكم واليه المصير) .

وأول ما يفعل الانسان منها (صلاة الصبح) يؤديها فيما بين الفجر وشروق الشمس ، ركعتان ، يجلس في الثانية ، ويقرأ التشهد ثم يسلم على اليمين وعلى الشمال بتحية الاسلام « السلام عليكم ورحمة الله » وتأتي بعدها (صلاة الظهر) ووقتها ما بين الظهر ومنتصف المدة التي بينه وبين غروب الشمس . وهي أربع ركعـــات .

ثم (صلاة العصر) ووقتها ما بين هذا المنتصف وبين غروب الشمس وهي أربع ركعات أيضا ، يجلس المصلي بعد الركعتين الأولين ويقرأ التشهد الى (اللهم صلي على محمد) ثم يأتي بالركعتين الباقيتين ويقرأ التشهد الى نهايته ويسلـــم .

وتأتي (صلاة المغرب) ما بين غروب الشمس وزوال شفقها من الأفق وهي ثلاث ركعات ، يقرأ التشهد بعد الركعتبن الأولين . ثم يقوم واقفا ويكمل بركعة أخرى ويقرأ التشهد ويسلم .

وخامس الصلوات (صلاة العشاء) ووقتها ما بين زوال شفق الشمس الى ما قبل طلوع الفجر ، وهي أربع ركعات كالظهر والعصر . والصلاة في الاسلام لا تختص بمكان معين ، فكل أرض نظيفة طاهرة ، صالحة للصلاة عليها ، وفي الحديث الشريف (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) . والمسجد الذي هو

مكان الاجتماع للعبادة ، ليس وجوده شرطا لصحة الصلاة ، وانما لجمع المؤمنين في صلاة الجماعة التي هي أفضل أنواع الصلاة . لأن فيها التعارف بين المسلمين والتآلف والتعاون على البر والتقوى ، فالمسجد يجمع المسلمين ويوحد وجهتهم ويقرب بينهم ، حيث لا كبير ولا صغير ، ولا عظيم ولا حقير . بين يدي الله وفي بيته .

لذلك كانت صلاة الجماعة التي يقف فيها المسلمون صفا أو صفوفا متراصة متساوية كوقفة الجند المنظم خلف واحد منهم ، يتقدمهم امام منهم ويتابعونه في أفعاله ، كانت هذه الصلاة أفضل من خمس وعشرين صلاة يصليها الفرد وحده كما ورد في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهناك من الصلوات ما لا تصح الا في جماعة (كصلاة الجمعة) التي هي عبارة عن ركعتين يصليهما المسلم في كل أسبوع في جماعة ، مع استماعه للموعظة ، وتهيؤه لها بالنظافة والتطيب وليس أحسن ما عنده من الثياب ، ووقتها وقت الظهر من يوم الجمعة . وكذلك صلاة العيدين (عيد الفطر) في أول يوم بعد شهر رمضان) (وعيد الأضحى) في اليوم العاشر من ذي الحجة .

هذه الصلوات في مجملها تتخلل ساعات الليل والنهار ، فتذكر الانسان بموقعه من الكون وخالقه ، وتذكره برسالته في هذه الأرض التي استخلفه الله فيها . وبما أمره الله به ، وبالمثل العليا التي رسمها الله لحياته ، وهي تزكي في المرء نفسه وأعماله ، وفي الحديث الشريف « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، فهل يبقى عليه من الدرن شيء » .

وتسبق الصلاة بتطهير لأطراف الجسد أو الأعضاء البارزة من الانسان

وهي نفسها أعضاؤه التي بها يفعل الخير والشر– تطهيرا بالماء النظيف الطاهر الذي يرمز الى تطهيرها من الاثم والشر والعدوان قال تعالى في سورة المائدة :

« يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين ، وان كنتم جنبا فاطهروا » .
واذا تعذر التطهير المادي بالماء لعدم وجود الماء أو لعذر طبي يستحيل معه وضع الماء على هذه الأجزاء أو بعضها ؛ اكتفى المرء بما يدل عليه من التطهير الرمزي بتراب الأرض النظيف الطاهر وهو ما يسمى بالتيمم [١] .

وهيئة الوضوء : تكون بغسل الوجه ؛ واليدين الى مفصل الذراعين والرجلين الى مفصل الكعبين ، ومسح الرأس . واذا كان المرء جنبا وجب غسل البدن كلــــه .

والصلاة في الاسلام ليس بها طقوس معينة ؛ ولا شكليات غامضة انما هي عبارة عن قيام وقعود وركوع وسجود . وهذه حركات طبيعية تدل على مختلف أحوال الانسان في الحركة والسكون . ولا تحتاج الصلاة الى رجل معين من رجال الدين لا تصح الا به كما هو الحال في الأديان الأخرى . وانما كل مسلم يحسن الصلاة ويعرف كيفيتها وأحكامها يمكن أن يكون إماما للناس في صــلاة الجماعة ، ويمكن أن يصلي وحده في أي مكان طاهر من الأرض وذلك لأنه لا وسيط بين الله والمصلين كما في الأديان الأخرى ؛ والامام عند المسلمين للقدوة وتوحيد الرأي والتجمع والتعارف . واستعلاء المثل العليا على المال والمنصب والجاه والقوة . اذ كل المصلين على اختلاف أحوالهم المالية والاجتماعية يكونون على صعيد العبودية لله ؛ وان كان امامهم فقيرا لا سلطان له ولا مال ولا جاه .

---

(١) والتيمم عند الفقهاء معناه (القصد والتوجه) .

وللوضوء فوائد نفسية وطبية :

أما فوائده النفسية ، فهو يُشعر المرء بالراحة والسكينة ، ويزيل عنه الكثير من المتاعب ، وينقله الى حالة من نظافة القلب بعد نظافة الأعضاء . لأن المرء به يكون قد استعد للقاء ربه ، وبثه شكواه، ان كان له شكوى ، أو شكره على نعمه الدائمة التي لا تنتهي . وهو يطفيء غضب الانسان وثورته ويحل في قلبه الأمن والراحة ، ويزيل عنه الأوهام والمخاوف .

أما فوائده الطبية فهي كثيرة منها كما ذكر عدد كبير من الأطباء أن الوضوء الذي يوصي فيه باستعمال الماء البارد يؤدي الى تقبض العروق الشعرية السطحية ، ثم تعود الى حالها بعد الوضوء ، فيستفيد الجسم من ذلك فوائد متعددة . اذ يرتفع الضغط الدموي أولا ، وتزداد حركة القلب ، ويزداد عدد الكريات الحمراء ، وتنشط المبادلات في الجسم وتقوى الحركات التنفسية ، فيزداد مقدار الاكسجين الداخل ، وتكثر كمية ثاني اكسيد الكربون الخارج ، وغسل الأجزاء المكشوفة بالوضوء له تأثير عام على الجسم اذ يفرز البول ويكثر من افراغ السموم وتزداد الشهوة الى الطعام وينشط الهضم وتتنبه الأعصاب الجلدية والأعصاب المحركة ، وينتقل هذا التنبيه الى جميع الأعصاب الوريدية والرئوية والمعدية ، ومنها الى جميع الأعضاء والغدد . وفيه الوقاية من أمراض الأسنان واللثة . لأن المضمضة والغرغرة والاستنشاق التي هي من سنن الوضوء تؤدي الى القضاء على الأمراض التي تنتشر عن طريق الجهاز التنفسي أو الفم .

وقد وضح ذلك في تقرير طبي للدكتور عبد الواحد الوكيل [1] قال : « يؤدي الجلد للجسم وظيفة هامة جدا وهي افراز العرق من آلاف غدد العرق

---

(١) انظر (علم الصحة) للدكتور عبد الواحد الوكيل .

الموجودة فيه ، ويحتوي العرق على مواد دهنية وأملاح فاذا تبخر الماء بقيت الأملاح الدهنية وتراكمت على الجلد .. فاذا كان الجلد قذرا من تراكم هذه الأملاح والمواد الدهنية عليه انسدت مسام الغدد العرقية ، وينتج عن ذلك أن عملية العرق لا تؤدي كما يجب ، ووجود القذارة على الجلد قد يؤدي الى حدوث عدوى الأمراض المعدية ، وان نظافة الجلد والأظافر هي من أهم لوازم الصحة الشخصية ، فيجب غسل الوجه واليدين عدة مرات في اليوم ، وبالأخص قبل النوم وبعده ، وغسل اليدين قبل الطعام وبعده وبعد استعمال المرحاض ، واذا صافح الانسان مريضا بمرض معد أو جلدي ، أو اذا صافح شخصا قذرا . كما يجب على الانسان أن يعنى بغسل مخارج الافرازات . أما نظافة الفم فمن أهم الضروريات لأن إهمال ذلك يؤدي الى ازدياد الميكروبات بالفم والى تسوس الأسنان والى تقيح اللثة من بقايا الطعام ويصير صديد الأسنان واللثة مصدر خطر كبير على الجسم ، لذلك يجب غسل الأسنان على الأقل مرتين في اليوم .

هذا تقرير طبيب عالم بأحوال أعضاء الانسان ، ويضع الوقاية لها من الأمراض عن طريق النظافة . ولو نظرنا في تقريره . لوجدنا أن الوضوء للصلاة يؤدي ما أشار اليه وزيادة ، ففي الوضوء غسل لجميع هذه الأعضاء التي أشار الطبيب اليها خمس مرات في اليوم والليلة . وهذه حكمة الهية وكفى بالله عالما وطبيبا .

وبالنسبة لبناء الاعضاء وتقويتها في الجسم ، فقد سبق الاسلام بالصلاة كل أنواع التمارين الرياضية ، لان الصلاة فيها تمرين لكل عضو من أعضاء الجسم ، وتأتي أوقاتها والجسم في أمس الحاجة إلى هذه التمارين . ففي **صلاة الصبح** حيث نقاء الجو . والجسم ما زال مسترخيا من النوم ، يقوم المرء بتمرين خفيف في ركعتين ، وحين يحل بالانسان التعب يأتي **الظهر** فيقوم

بتمرين أكثر في أربع ركعات ، وفي **العصر** حيث قارب يوم العمل على الانتهاء وزاد في الجسم التعب والعناء يقوم بتمرين ثالث لينشط الجسم ويعود إلى طبيعته فاذا ما جاء الغروب ومال الانسان إلى الاسترخاء والراحة يقوم بتمرين رابع أخف من سابقه في **صلاة المغرب** . وقبل النوم حيث قد امتلأت المعدة بالطعام واستسلم المرء للراحة التامة . يقوم بتمرين خامس في **صلاة العشاء** ليذهب إلى النوم بعد ذلك ، وقد أخذ كفايته من الحركة والنشاط ، مما يجعل دورته الدموية في نشاط دائم وعضلات الظهر والمعدة ، والفخذين والساقين في كامل قوتها من فعل الركوع والسجود . وهكذا تعتبر الصلاة أفضل رياضة بدنية يستفيد منها الجسم .

وفي الصلاة كما في الوضوء فوائد نفسية متعددة . لان الانسان في الصلاة يتذكر ربه ، ويدرك دائما رعاية الله له وانه مشمول بعنايته ، فلا يخاف ظالما ولا جبارا ويتقدم في أعماله بثقة ويقين ان أمره بيد من تقوم السموات والارض بأمره ، واذا ضاقت به الحياة أو اشتد عليه حالها وجد في وقوفه بين يدي الله السلوى والعزاء ولجأ إليه يطلب منه العون والمساعدة . وهذا فوق انه يريح النفس ويطهرها . فانه يوجد للانسان مخرجا من كل ما هو فيه ، لان الامر بيد خالقه وحده ، وقد لجأ اليه فلن يرده خائبا . والصلاة فوق هذه الفوائد الصحية والنفسية والرياضية تعد عنصرا من عناصر البر والحق ، الذي حث الله عباده عليه . قال تعالى في سورة البقرة :

لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ

البأس اولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

ولأن الصلاة فيها اجتماع على محبة من الله ورضوان ، وفيها محو لفروق الطبقات . يكون الرجل بجوار الرجل على سواء ، لا فرق بين غني وفقير ، وأمير وسوقة ، وحاكم ومحكوم ، بل الكل سواء أمام رب العالمين ، وفي بيت الله ، فقد جعل الله اقامتها اول عمل بعد الايمان ، يدل على صدق المؤمن ، ويستحق بها المرء اخوة المؤمنين وحبهم ورعايتهم قال تعالى في سورة التوبة : [1]

﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾

وهي أول دليل على ايمان المرء وتمسكه بتعاليم الله ، واتباعه لاحكامه ، والوسيلة العظمى للتقرب إلى الله والحصول على الأجر والثواب قال تعالى في سورة الأعراف :

﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

وليس في الحياة شيء يهذب النفس ويرتقي بها كالصلاة ، فهي تنهي عن الفحشاء والمنكر ، وتطهر الافئدة من غرائز الشر التي تفسد على الانسان حياته ، وتجعله مبغضا من الله ، منبوذا من الناس ، معذبا في معاشه وعمله قال تعالى في سورة العنكبوت : —

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾

وفي سورة المعارج :

﴿ إِنَّ الْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

---

(١) انظر في تفسير هذه الآية وما يتعلق بها — الكشاف ج ٢ ص ١٧٧ .

وقد اعترف بذلك المنصفون من أهل الرأي من غير المسلمين ففي المجلة الاسلامية الانجليزية كتب (هراس ليف) يقول : « ما كان شيء في العالم ليقنعني بان أي دين من الاديان يدعو إلى المساواة بين الناس ، ولو ان بعضها يتظاهر بهذه الدعوة : فقد زرت كثيرا من الكنائس والمعابد فرأيت التفريق بين الطبقات داخل المعابد كما هو خارجها ، وكان اعتقادي بالطبع ان الامر لا بد كذلك داخل المساجد الاسلامية . ولكن ما كان أشد دهشتي حينما رأيت الشعور بالمساواة على أتمه بين المسلمين في عيد الفطر في مسجد (ووكنج بلندن) هنالك وجدت أجناسا مختلطين على اختلافهم في المراتب اختلاطا لك ان تسميه بحق اخويا ، ولم أكن شاهدت مثل ذلك . ترى في المسجد نبويا من بلاد ممباسا يصافح عظيما من رجال الاعمال المصريين أو سياسيا من بلاد العرب. وقد ارتفعت الكلفة بين الجميع فلا يأنف أحدهم مهما عظم قدره من ان يجاوره في الصلاة أقل الناس شأناً وانك لا تجد أقل محاولة لتخطي الصفوف إلى مكان ممتاز بالمسجد لانه ليس هنالك أي مكان ممتاز . فالكل عند الله سواء لا فضل لاحد على سواه . وعندما صرح لي أمام المسجد بان المسلمين يعتقدون رسالة جميع الانبياء ويؤمنون بما أنزل اليهم كدت لا أصدق أذني . وكان هذا جديد استفدته عن الاسلام لذلك لم أعد أشك في ان هذا الدين يصلح لان يكون دينا عاما » .

واذا كان هذا رأي رجل غير مسلم ، فحرى بنا ان نعلم لماذا جعل الله ترك الصلاة عنوانا على الانغماس في الشهوات وطريقا للوقوع في الغي والضلال ، وسبيلا للهلاك في الدنيا وسببا من أسباب الخلود في النار . قال تعالى في سورة مريم :

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا

وفي سورة المدثر :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۝٤٧ ﴾

وعرفنا أيضا ان ترك الصلاة وعدم تدبر معناها ، والامتثال لها عملا وروحا يعد علامة من علامات التكذيب بيوم الدين . قال تعالى في سورة الماعون :

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧ ﴾

واذا اشتد الضيق بالانسان ، وأتته المحن من حيث لا يدري وتكالبت عليه الاوهام ، وأصبح لا يجد لنفسه مخرجا فعليه بالصلاة ، فان فيها العزاء والفرج ، والمناجاة والامل . ولا عجب فهي لقاء مع الله الذي بيده العمر والرزق والصحة والسعادة . والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : (جعلت قرة عيني في الصلاة) : ويقول تعالى في سورة البقرة آية (١٥٣) :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾

وفي الايتين ٤٥ ، ٤٦ من البقرة أيضا يقول عز وجل :

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝٤٥ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

وقبل أن أنهي حديثي عن الصلاة احب أن أشير إلى أن الصلاة عبادة

لم تخل منها شريعة من الشرائع . فهي قديمة قبل الاسلام وكل الانبياء والرسل أمروا بها . وعلموا قومهم اياها وان كانت تختلف بعض الشيء عن صلاة المسلمين . ولكنها تضم في معناها وهدفها ما تضمه الصلاة في الاسلام .
وجاءت تعاليم الصلاة لرسول الله في رحلة « المعراج » وهو بين يدي ربه وأمر بنظامها وعددها وهيئتها وأوقاتها على رأي معظم الفقهاء والمفسرين ورواة الحديث .

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على قدم هذه الفريضة . كقول سيدنا ابراهيم يدعو الله تعالى ان يأخذ بيد ولده اسماعيل وامه بعد أن تركهما في الصحراء عند بيت الله الحرام . في سورة ابراهيم :

رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ

وحين أمر الله ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ببناء الكعبة ناداهما

أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ

(من سورة البقرة آية ١٢٥) .

وحدثنا المولى عز وجل عن عظمة اسماعيل وقيمته عند الله فقال تعالى في سورة مريم :

وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا

ونبي الله لقمان يوصي ابنه فيقول له (سورة لقمان آية ١٧)

يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ

ويأتي موسى عليه السلام ، ويشتد الحوار بينه وبين بني اسرائيل فمرة يطيعون ، ومرات يكفرون ، حتى يأتيه أمر الله بميثاق وعهد يأخذه عليهم ، ومن نصوص هذا الميثاق الصلاة . قال تعالى في سورة البقرة :

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ

وفي سورة المائدة :

وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾

ويبث الله الطمأنينة في قلب مريم ، ويخبرها بانها طاهرة صادقة أم لنبي ، وعليها أن تشكر الله على ذلك فتصلي له وتركع وتسجد ، ويأتيها الخطاب بذلك من ملائكة الله الموكلين بها : (يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) . وحين انطق الله عيسى وهو في مهده . كان نطقه بنبوته ثم بوصية الله له بالصلاة . التي هي عماد الدين كل دين . قال : كما جاء في القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام من سورة مريم :

قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾

ومن هنا يتبين لنا قيمة الصلاة عند الله ، وجعلها عصب الايمان في كل دين ، وروح العقيدة في كل رسالة ، وأقرب الافعال للتقرب اليه ، وأسمى الاعمال لتطهير النفس والروح ، وأسهل الوسائل وأيسرها للقاء الله ورفع حاجات المرء إليه بلا خوف ولا فزع ، ومن أوامر الله إلى محمد بن عبد الله خاتم الانبياء والمرسلين قوله تعالى (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) . (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) .

ولهذا كله كان تدريس الصلاة في مدارسنا عملا علميا وتعبديا ، يرفع مكانة المعلم والمتعلم ، ويجعلنا في موقف من يحافظ على أديان الله كلها ، ويصون كلمة الحق ، ويحفظ لنفسه المكانة عند ربه ليلقاه طاهر النفس والروح والبدن .

طريقة تدريس الصلاة في المرحلة الابتدائية

هي تلك الطريقة التجريبية القائمة على التدريب في المصلى ، ومحاكاة التلاميذ لاستاذهم بعد أن يتوضأ أمامهم أكثر من مرة ، ثم يطلب من بعض التلاميذ أن يحاكوه واحدا بعد واحد ، ثم مجموعة بعد مجموعة ، حتى يطمئن إلى أنهم قد أدركوا جميعا كيفية الوضوء . وأثناء قيام بعض التلاميذ بالوضوء يشرح المعلم للباقين ترتيب استعمال الاعضاء وكيفيته ، ويناقشهم فيما يفعله زملاؤهم مبينا لهم الصواب من الخطأ ، ويجب أن يكرر ذلك أكثر من مرة وفي أكثر من حصة . حتى يطمئن إلى ان التلاميذ جميعا أصبحوا يجيدون الوضوء .

وفي درس الصلاة يصلي المدرس أمام التلاميذ مرة أو أكثر ، ويشرح قبل أن يصلي نوع الصلاة التي سيؤديها صبحا أو ظهرا ، وكيف سيؤديها ،

ثم بعد الأداء يطلب من أحد التلاميذ ممن يجيدون الصلاة أن يصلي أمام زملائه ، ويقف المدرس مع الآخرين في موقف خاضع . ثم يشرح لهم ما يفعله زميلهم ، ثم يطلب من آخر أن يصلي ويلاحظه بدقة من حيث الركوع والسجود والقيام والقعود ، ويصلح له خطأ كل فعل أولا بأول أمام التلاميذ حتى يدركوا مواقع الصواب والخطأ ، وهكذا يتابع عملية التعلم من واحد إلى آخر حتى يصلي الجميع أمامه . وعليه أن يوجههم إلى ان هذه الصلاة تقرب العبد من ربه وتسهل له أمور دينه ودنياه ، وتساعد على النجاح والفوز والسعادة . ويحثهم على ادائها في المنزل وفي المساجد في أوقاتها . ثم يتابع ذلك في حصص متفرقة حتى يطمئن إلى أن تلاميذه أجادوا اداء الصلاة وأصبحوا يحرصون عليها .

الزكاة

من الوجهة الدينية والنفسية والجسدية والاجتماعية

الزكاة في الاسلام فريضة تذكر الفرد بحق الجماعة في ماله الذي منحه الله اياه ، سواء كان إرثا ، او عن طريق كده وكدحه وكفاحه ، وهي في جوهرها وسيلة لتعليم الانسان ان يعمل لغيره كما يعمل لنفسه ، وقد جعلها الله احدى دعائم الاسلام الخمس ليمتحن المؤمنين فيما تهواه أنفسهم من المال والمتاع ، وهي واجبة الاداء على المسلمين في أموالهم النقدية ، وأعيانهم التجارية ، وفي المواشي والزرع والثمر بنسب محددة لا تعجز صاحب المال ، وفي نفس الوقت تقوم بحاجة الجماعة وتزيل عن الغير همه ، وتساعد على انشاء المصالح العامة في الامة وتقرب بين القلوب ، وتزيل أحقاد الطبقات ، وتبني مجتمعا متحابا متعاونا .

تلك هي فريضة الزكاة التي جعلها الله قرينة الصلاة في غير موضع من القرآن الكريم والتي يطهر بها العبد ماله ، كما يطهر بالصلاة روحه . وقد قاتل المسلمون من ارتدوا عنها ، واعتبروا في نظرة الايمان خارجين منه . وأبو بكر الخليفة الاول يقول (والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة) . والله تبارك وتعالى يقول في شأن الكافرين (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) . (فان تابوا وأقاموا الصلاة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين) [1]

---

(١) الايتان ٥ ، ١١ من سورة التوبة .

والانسان بتأديته الزكاة يحس باشتراكه في النشاط الاجتماعي ، ويشعر بانه يؤدي للمجتمع نفعا وبأنه عضو عامل في هذا المجتمع ، وانه يسعى دائما لخدمته . فيدفعه ذلك إلى الانصهار مع الناس والابتعاد عن التعالي الذي هو من ويلات المجتمعات غير الاسلامية ، وبالتقارب بين الغني والفقير بهذه الصورة تتوحد الارادة وتتآلف القلوب ، فينطلق المجتمع في بنائه وتقدمه من غير عقد ولا خوف . ويحل السلام في النفوس محل الحسد والحقد والضغينة . وفوق هذا فان الغني المعطي يشعر براحة نفسية تزيل عنه حب المال وعبادته ، ذلك الحب الذي يؤدي في أغلب الاحيان إلى أن يصبح مالك المال عبدا له ، بدل ان يكون المال وسيلة لتحقيق مصالحه .

ومما يدل على قيمة فريضة الزكاة ان الرسول صلى الله عليه وسلم حين أرسل معاذا إلى اليمن أوصاه وصية ربط فيها بين شهادة التوحيد وبين الزكاة قال : (انك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لك بذلك ، فاخبرهم ان الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب)[1] .

وأمر الله بالزكاة واضح لا يحتاج إلى اجتهاد او خلاف فهو تعالى يقول في سورة البقرة آية ٤٣ :

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد جـ ٤ ص ١٩٢ ط الحلبي ١٩٦٦ .

وفي سورة البينة آية ٥ :

وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ

مقادير الزكاة

والزكاة واجبة على كل مسلم ، ولو لم يبلغ الحلم ، ولو كان محجورا عليه او موكلا من يقوم بشأنه في ماله . فيجب على الوصي والوكيل ان يخرج زكاة هذا المال الموصى عليه او الموكل فيه . وتؤدى كما يقول الشيخ محمود شلتوت [١] (في الذهب والفضة ، والنقد التعاملي كيفما كان والزرع والثمار ، والمواشي ، وعروض التجارة ، وكل ما يتموله الانسان في هذه الحياة) .

وهي تؤدى مرة كل عام ، وفي الزروع والثمار عند تمام نموها ، وكمال نضجها .

ومقدارها كما جاء في كتاب الفقه على المذاهب الاربعة [٢] من غير تفصيل او اسهاب كما هو موضح في كتب الفقه .

الابل :

اذا ملك الانسان خمسا منها يزكى عنها بشاة من الضأن او المعز ، فاذا ملك عشرا أخرج شاتين . وهكذا كلما زاد العدد زاد المطلوب اخراجه من الزكاة على تفصيل محدد في كتب الفقه .

البقر وفصيلته :

اذا ملك الانسان منها ثلاثين ، اخرج عنها بقرة صغيرة تابعة لامها

---

(١) انظر الاسلام عقيدة وشريعة ص ١١٧ .

(٢) انظر الفقه على المذاهب الاربعة جـ ١ ص ٥٩٧ وما بعدها لعبد الرحمن الجزيري طبع المكتبة التجارية الكبرى بمصر سنة ١٩٧٠ .

أي بلغت من العمر سنة واحدة ، فان ملك أربعين اخرج بقرة عمرها سنتان وهكذا كلما زاد رأس المال زادت النسبة المطلوب الزكاة بها على تفصيل موضح في كتب الفقه .

الغنم ضأنا أو معزا :

اذا بلغ ملك الانسان منها أربعين زكى عنها بشاة من الضأن او المعز ان كانت ضأنا ، فان كانت معزا فالاخراج من المعز ، وان كانت الغنم ضأنا ومعزا فان كان الغالب أحدهما فالشاة المخرجة تكون منه وان تساويا مثل ان يكون عنده عشرون من الضأن ، وعشرون من المَعز كان محصل الزكاة بالخيار في أخذ الشاة من أي الصنفين شاء ، فاذا بلغت مائة واحدى وعشرين ففيها شاتان . وهكذا كلما زاد العدد بقدر محدد زاد العدد المطلوب التزكية به .

وأما في المال :

فمن يملك اثني عشر دينارا او جنيها او غير ذلك من العملة المقدرة بالذهب والفضة وجب عليه ان يخرج ربع العشر اذا مضى على ملكيته لهذا المبلغ عام كامل وعلى هذا النحو تقدر الزكاة مهما بلغ مقدار المال ما دام قد مضى عليه عام كامل وهو في حوزة صاحبه او في البنك او مودعا لدى آخر او غير ذلك من الوجوه المتعارف عليها في التعامل ، وهناك تفصيل اوفى عن هذا الموضوع بكتاب الفقه على المذاهب الاربعة [1] .

وفي عروض التجارة :

القماش والحديد والاخشاب والساعات والادوات الكهربائية وغير ذلك

---

(١) المرجع السابق ص ٦٠١ – ٦٠٥ .

مما يتاجر فيه الناس في كل زمان ومكان فيجب أن تخرج زكاتها (ربع العشر) بعد مضي عام كامل من وقت ملك مواد التجارة بشرط بلوغها النصاب الذي تجب فيه الزكاة وتتكرر زكاة التجارة بتكرر الاعوام ما دام النصاب كاملا ، وكيفية اخراجها كما عند الشافعي [1] : (ان تقوم آخر العام بما اشتريت به من ذهب وفضة ، أما اذا اشتراها بغير نقد فتقوم بالنقد الغالب في البلد ولا بد في التقويم آخر الحول من عدلين ، لأنها شهادة بالقيمة ، والشاهد في ذلك لا بد من تعدده ، والواجب فيها ربع العشر) . ويضم الربح الناشيء عن التجارة إلى أصل المال في نهاية العام . وكذلك المال الذي استفاده من غير التجارة ، وتخرج القيمة من ذلك كله .

الزرع والثمار :

قال تعالى : (وآتوا حقه يوم حصاده). وقال صلى الله عليه وسلم (ما سقت السماء ففيه العشر ، وما سقى غرب (دلو) أو دالية (دولاب أو آلة) ففيه نصف العشر) . وذلك اذا ما بلغ النصاب وهو مقدر عند الشافعية بأربعة آرادب وكيلتين اذا تحصل للانسان هذا القدر من زرعه وجب عليه اخراج الزكاة العشر ان كانت أرضه تروى بالمطر او نصف العشر ان كانت تروى بالالة وفي الزروع والثمار التي لا تكال ، يخرج الزكاة بالطريقة السابقة اذا بلغ انتاجه ما يعادل ٧٥٠ كيلو من الوزن الحالي . وذلك في مثل التمر والعنب والبرتقال ، والخيار ، والباذنجان ، والرياحين ، والورد ، وقصب السكر وغير ذلك مما هو معروف في الزراعة الان . وهناك تفصيل أوفى عن ذلك يرجع اليه [2]

---

(١) المرجع السابق ص ٦٠٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٦١٥ — ٦٢٠ .

والله تعالى قد بشر من يؤدي الزكاة بالفوز في الدنيا والاخرة فقال سبحانه في سورة (المؤمنين) .

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ

وهذا الجزاء الالهي الذي أعده لمخرجي الزكاة ، وتقديره تعالى لفعلهم يرفع الزكاة عن أن تكون احسانا او صدقة يتكرم بها الغني على الفقير . انما هي حق معلوم فرضه الله ليصون كرامة الفقير ، فلا يشعر بانه موضع الصدقة والاحسان ، بل صاحب حق قرره الله الذي أعطى هذا ومنع ذاك . وبهذا فان الزكاة ليست وسيلة لمحاربة الفقر ، قدر ما هي وسيلة لمحاربة جرائم الفقر ، وليست منحة بقدر ما هي حق ، وكل مجتمع تؤدى فيه فريضة الزكاة يشعر بالامن والمحبة ، وتزول منه دواعي الثورات المدمرة ، وتمتد يد الفقير خدمة وعملا وجهادا لتنمية مال الغني ، ولا تصبح الثروات مالا يكتنز في يد واحدة ، بل يصبح خيرا سائلا يشد أزر الجماعة ويبني المجتمع وقد توعد الله من يمنع الزكاة بأشد عقاب وأرهبه ، وسماه مكتنزا للمال . قال تعالى في سورة التوبة آية ٣٤ :

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ

والمراد بالكنز في الاية هو كل مال لا تؤدى الزكاة فيه وان لم يكن مدفونا في باطن الارض . وأما الاموال التي تؤدى زكاتها فهي ليست مكنوزة وان كانت مكنوزة فعلا . وان كان ذلك أيضا مكروه لان فيه حبس المال عن المنفعة التي تعود على جميع أفراد الامة غنيها وفقيرها .

مَن تصرف لهم

وأما عن الذين تصرف لهم الزكاة فقد حددهم الله سبحانه وهو عليم بعباده . وذلك في سورة التوبة آية ٦٠ :

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦٠﴾

والفقراء والمساكين :

هم الذين لا يجدون ولا يستطيعون أن يحصلوا ما يقوم بحاجتهم وحاجة من يعولونهم .

وقد دعانا الله في مواقف كثيرة ان نمد أيدينا إلى هؤلاء الناس وان نزيل عنهم حاجاتهم ، فجعل معظم الكفارات تصرف لهم ، كما حدد لهم أيضا حقا في الغنيمة والفيء ، ووصف الذين لا يمدون العون لهم بأنهم مكذبون بالدين قال تعالى في أول سورة الماعون :

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ٣﴾

وليس الفقراء أو المساكين هم الذين يتصنعون ذلك في الشوارع وأمام المساجد وبين وسائل المواصلات ، انما هم الذين يعرفون بحالتهم الاجتماعية ولا يسألون الناس الحافا .

والعاملون عليها :

هم الموظفون الذين تسند اليهم أمور تحصيل الزكاة من مصادرها في مواعيدها وبالمقدار الذي حدده الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كانت الدولة الاسلامية في أول عهدها تقوم على هذا النظام حتى جاء الوقت الذي

أهمل الحكام فريضة الزكاة ، وعمل الجشع من الناس عمله فهجروا هذه الفريضة وأصبح الفقراء ضياعا وسط اللئام ، وهؤلاء الذين كانت تنطبق عليهم هذه الصفة لم يعد لهم وجود الآن .

المؤلفة قلوبهم :

هم ضعفاء الايمان الذين يخشى المسلمون عليهم ان يرتدوا عن الاسلام لحاجتهم او تحت اغراء ما ، وتنطبق هذه الصفة أيضا على الداخلين في الاسلام حديثا ، او من يقوم بقضاء مصالح المسلمين الهامة . وان كان بعض الفقهاء قد رأى اسقاط هذا الصنف من دائرة الاستحقاق ، لان عمر رضي الله عنه أسقطهم بموافقة الصحابة جميعا ، فان ذلك وان اتفق مع عصر عمر ، فانه لا يتفق مع عصرنا الحالي الذي نحن فيه في أمس الحاجة إلى تأليف القلوب حول الاسلام والمسلمين لرد كيد الاعداء ، ولسد الطريق على من يريدون شراء ذمم ضعاف الايمان وتحريضهم على الخيانة والغدر وافساد روح الامة بالكلمة أو بالفعل والقرآن الكريم قد أمرنا بذلك وحرضنا عليه . وما جاء به القرآن لا يلغى بقول او فعل أحد مهما عظم شأنه . ولكن ظروف الحياة وتطبيقاتها تتغير حسب أوضاع الامة ومكانتها . وفي كل الاحوال لا تخرج على دائرة القرآن وان كان عصر عمر رضي الله عنه كان من القوة بحيث لم تعد حاجة إلى المؤلفة قلوبهم فان عصرنا نحن في أمس الحاجة إلى تطبيق هذا النداء الالهي ويا حبذا لو استعملناه في تأليف قلوب الملايين ممن لا دين لهم في افريقيا وآسيا ، وأشعرناهم بان الاسلام دعوة الحق والخير لكل الناس ، وان دين الاسلام دين « الانسانية » الذي يدعو أبناءه أن يمدوا أيديهم إلى كل الناس ولو كانوا من أقصى بقاع الارض . ان هذا المبدأ لو طبق لقاوم بعثات التبشير

التي تنتشر في هذه البلاد الافريقية والاسيوية ولكنا بذلك نقوم بنشر دين الله الذي هو مسئولية كل مسلم ومسلمة — .

وفي الرقاب :

والمراد بذلك عتق العبيد ، ذلك المبدأ الذي كان الاسلام أول دين يدعو اليه ويحرض الناس على فعله ، ويقدم في كفارة الذنوب دائما عتق رقبة . وقد انتهى هذا الوضع في العالم ، وان كان هناك رق غير واضح ويمكننا أيضا أن نستخدم المال في إزالته تحقيقا لامر الله . ومن أمثال هذا الرق المستور ، وجود كثير من الفقراء والمحتاجين الذين يعيشون تحت سلطان الاغنياء وكأنهم عبيد لهم وان كان لهم بعض الحرية الشخصية .

والغارمين :

وهم الذين لحقتهم ديون لا يستطيعون أداءها بسبب تحملهم لتبعات مالية لبعض المصالح العامة كاصلاح ذات البين ، أو لحقتهم بسبب ضياع تجارتهم او خسارة كبيرة فيها او في مصانعهم التي كانت تنتفع الامة بها ، وهذا الصنف من الناس موجود في كل زمان ومكان ونشاهد منهم في حياتنا الكثير . وليس منهم من لحقته الديون لفساد خلقي او سوء تصرف او اسراف وتبذير وهذا التطبيق يؤدي إلى أن يشعر الناس بمعنى التضامن الاسلامي ولا يخشى أحد الا الله فيما يقول ويفعل ، لانه يثق في امته وفي كفالتها له عند الشدائد .

وفي سبيل الله :

وسبيل الله يعني المصالح العامة للمسلمين المتمثلة في هيكل الدولة الصحي ، والتعليمي ، والحربي ، والمرافق العامة والطرق وشق الترع واقامة الجسور

وسد الثغور وغير ذلك مما يحفظ للامة قوتها المادية والروحية ، ويساعد على بناء الفرد جسديا وتعليميا ويقوي من هيبة الامة أمام الاعداء فيجعلها مرهوبة الجانب محفوظة المكانة . والله تعالى ليس في حاجة إلى مال الدنيا كله لانه هو خالقه وواهبه لعباده ولكن ما ينفق في هذه الوجوه يتقبله الله تعالى وكأن عبده قد قدمه اليه قال تعالى في سورة التوبة :

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا

وابن السبيل :

هو المسافر الذي انقطع عن بلده وبعد عنه ماله : واحتاج إلى مال ليقضي حاجته ويقوم بشئونه حتى يعود إلى وطنه ، ومن هؤلاء من يذهبون في رحلات طويلة اما لقضاء حاجات الناس ، او للتعرف على أحوال المسلمين ، وليس منهم من يكون في نزهة أو رياضة او عمل غير مشروع مهما كان شكله او لونه .

وبنظرة دقيقة إلى هذه الاحكام والمواقف الاسلامية يتضح لنا ان الاسلام بمبادئه الالهية قد حقق الامان لجميع الناس وقضى على المغالات في كل شيء فعلى الرغم من انه لا يعادي رأس المال الا انه يمنع طغيانه واستبداده ولا يعادي الملكية الفردية ، ولكنه يمنع تجاوز أصحابها حدودهم ، والاستئثار بمالهم . والاسلام يصون الملكيات ، وفي نفس الوقت يخفف من الفوارق بين الطبقات بالزكاة والصدقة دون الالتجاء إلى مصادرة الاملاك ويرى الاسلام ان المساواة المطلقة بين الناس شيء لا يتفق والنواميس الطبيعية ، لان من الناس الذكي والغبي والقوي والضعيف ، وحسن التصرف وسيئه ، هذا غير ما هو معروف من اختلافهم في العلم والتعلم وطرق اكتساب الرزق . لذلك لا بد وان يختلف الناس غنى وفقرا . ولكن ما يشدد عليه الاسلام هو ان

يتعاون الجميع على البر والتقوى ، وان يأخذ غنيهم بيد فقيرهم . ومن هنا كان قول الله تعالى في سورة الزخرف :

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾

وهذه المبادىء الاسلامية ترفض مطامع أصحاب رؤوس الاموال وجشعهم في الحصول على الثروة باستغلال الضعفاء ، واستخدام الربا وعدم اخراج الزكاة ، والتهرب من الصدقات الواجبة كما ترفض أيضا مبادىء الشيوعية في الاستيلاء على الاموال وغير ذلك من المبادىء التي تقوم على المغالات يمينا او يسارا وان ذلك ليحقق قول الله تعالى : (وكذلك جعلناكم امة وسطا) فالاسلام بحق هو الذي يحقق التوازن بين الشيوعية والرأسمالية ، وهو دين العدالة والكفاية والرحمة .

كيف تدرس الزكاة في المرحلة الابتدائية

من الضروري قبل أن نتكلم في طريقة تدريس الزكاة كأحد عناصر المنهج الديني في المدارس الاسلامية ، ان نلقي نظرة على الاهداف التربوية لهذا المنهج .

ان الزكاة في الاسلام كما سبق تمثل عنصرا هاما من عناصر بناء المجتمع الاسلامي ، وهي فوق انها ركن من أركان الاسلام فانها تعد فلسفة تربوية ذات هدف محدود يتعلق بمشكلات الحياة ، ذلك الهدف الذي رسمه الاسلام لتحقيق العدالة الاجتماعية والامن والمحبة بين أبنائه . وعمد ان يجعل من هذا المبدأ الاقتصادي الهام وسيلة للحد من سيطرة المال على نفوس الناس ، وبالتالي من سيطرته على المجتمع ، وكان الاسلام بذلك سابقا لكل النظريات والاراء

الاقتصادية التي جاءت بعده محاولة تحقيق العدالة الاجتماعية والحد من سيطرة رأس المال ، كما في النظريات الاشتراكية وغيرها من النظريات. وان كانت الحاجة ماسة في كل منهج تربوي ، ان يكون مرتبطا بالاهداف التربوية وبمشكلات الحياة. فان الزكاة في المنهج الاسلامي يجب أن تعد فلسفة اجتماعية وهدفا تربويا تتخذ له كافة الوسائل المعينة على نقل المنهج إلى مجال التطبيق ، ولن يتم ذلك عن طريق الحوار والمناقشة بين المعلم وتلاميذه ، او عن طريق عرض القيم والمثل التي تعمل الزكاة على ابرازها في المجتمع الاسلامي. انما يتم عن طريق تحديد طبيعة السلوك المناسب للحياة الاسلامية :

ومن أجل هذا يجب :

١ – ان تقام في كل صف دراسي جماعة تسمى (جماعة الزكاة) يشرف عليها معلم يتحلى بتلك القيم الاسلامية ، بقصد توجيه سلوك التلاميذ نحو التعامل مع هذه الفريضة في نطاق ما يملكون ، او ما يتصورونه مستقبلا ، وان يعودهم أولا على الصدقة والاحسان ، وثانيا على الهدف الاهم من الزكاة وهو التعاون وثالثا على مواجهة الميول والحاجات طبقا لفلسفة انسانية هي فلسفة الزكاة.

٢ – تكوين مدركات ومفاهيم وتعميمات حول الزكاة وطريقة ادائها ونتائجها المباشرة وغير المباشرة على الفرد والمجتمع.

٣ – محاولة الوصول إلى التوافق الشخصي والاجتماعي عن طريق التعود على العطاء والمنح ، والرضا أيضا بالقبول والأخذ من غير وجود حساسيات بين المعطي والآخذ ، لنصل من خلال ذلك إلى المفهوم الاسلامي عن الغني والفقير وحاجة كل إلى الاخر.

٤ – العمل الصادق من خلال المدرسة على تكوين عادات حسنة تنتشر بين

التلاميذ لا يكتفي لخلقها على الحصص الدراسية ، وانما يجب أن يحدد لها وقت من أوقات الدراسة ، يقوم فيه التلاميذ بالممارسة العملية تحت اشراف رائد ممتاز ، يراقب ما يجري هناك بعيدا عن التدخل او فرض ارادته ، ثم يلتقي بهم بعد ذلك ليبين لهم أوجه الصواب والخطأ متخذا من المبادىء الاسلامية الدليل والبرهان .

٥ ـ التركيز في دروس الزكاة على خلق فلسفة للحياة تمس وجدان الطفل وميوله ، وبيان تلك الفلسفة بالطرق العملية والوسائل الموضحة التي تساعد على تكوين سلوك محدد ، وصور من التفكير والتعليل قائمة على الفهم والتقدير لهذه الفريضة الانسانية (فريضة الزكاة) .

ولو تصورنا درسا نظريا عن الزكاة بالمدرسة الابتدائية فانه يجب أن يتخذ هذه الخطوات :

١) التمهيد .

ويكون بأسئلة توضح قيمة التعاون وأثره في حياة التلميذ مع أسرته وزملائه والمحيطين به .

٢) بيان الهدف المقصود من الدرس .

٣) الغرض ويمكن أن يكون على النحو التالي :

ا ـ قصة رمزية او واقعية تبين جزاء الله لمن زكى عن ماله ومكانته بين الناس ، وحرص الناس على معاونته والتقرب اليه ، وكثرة الخير بين يديه ، وأمانه على ماله ونفسه .

ب ـ تمثيل عملية الزكاة بين مجموعة من التلاميذ وبيان أثر ذلك فيما بينهم حين يتحقق فعلا .

جـ ـ ذكر بعض آيات القرآن الدالة على الزكاة وتوضيحها بصورة مبسطة .

٤) الحوار والمناقشة :

ويكون ذلك في القصة التي عرضها المعلم ، ثم في معنى الآيات الدالة على الزكاة ، مع ربط المناقشة بما هو واقع في حياة الطفل من وجود فقير وغني وضعيف وقوي وصلة الزكاة في الربط بينهم .

٥) التقويم .

ويكون بمحاولة معرفة ان كان الهدف من الدرس قد تحقق أم لا .

وعلى المدرس ان يحاول من خلال ذلك كله ان يبين الحكمة من تشريع الزكاة ، وأن يوضح الآثار الاجتماعية لها . وان يربطها بالحياة الواقعية . هذا مع الحرص على التعامل مع جماعة الزكاة التي تكون في كل صف ، حتى تتأكد تلك القيمة الاسلامية العليا في نفوس التلاميذ وتصبح مسلكا لهم في حياتهم .

الصوم

من الوجهة الدينية والنفسية والجسدية والاجتماعية

الصوم في الاسلام رياضة روحية يدل عليها الضمير ، ذلك الحارس الوحيد الذي يجعل من هذه الرياضة حقيقة واقعة بين العبد وربه . وهو مرتبط بالحاسة الخفية في الانسان ، تلك الحاسة التي تميز الحق من الباطل والزائف من الصحيح وترتقي بالانسان فوق رغباته وشهواته ، ليدخل طائعا في منطقة الروح حيث الطهر النابع من حريتنا الداخلية العميقة الباطنة ، التي أراد الخالق أن تكون طليقة من كل قيد من قيود الهوى ، وحفظها من كل دنس ، وجعلها مركز الثقل في صاحبها ، يحيى بها ، ويموت من غيرها . تلك المنطقة هي (روح الانسان) حيث سريرته ، ومناط تفكيره ، ومنبع ضميره ، ومحور أعماله ، وهي مركز المساءلة التي عن فعلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) والله وحده هو الرقيب عليها ، يعلم سرها ، ويدرك بعدها ويعرف كل صغيرة وكبيرة من فعلها . لهذا كان الصيام عبادة هامة لانها تنبع من هذا السر وتتصل به ، وتدل عليه وكانت قيمتها عند الله عظيمة حيث يقول في الحديث القدسي (كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا أجزى به) .

وكما ان للصوم فوائد تتعلق بالروح ، فان له فوائد تتعلق بالجسد لذلك كانت فرضيته عامة على الاغنياء والفقراء معا ، فليس المراد من الصوم اشعار

الاغنياء بحاجة الفقراء حين يحسون بمرارة الجوع والحرمان فحسب ، وانما المراد ، هو تطهير النفس وترقيتها ، وتنقية الجسد من علائق كثيرة تتراكم عليه من تتابع الطعام كل يوم ، ويقول الاستاذ عبد الرزاق نوفل في معرض حديثه عن الصيام [1] (تقول أحدث نظريات علم الصحة : انه من الواجب – لا سيما على المتقدمين في السن – أن يصوموا يوما على الاقل كل أسبوع .. او أسبوعا كل شهر – والافضل شهرا كل عام ... اذ قد ثبت ان الانسان غالبا ما يصاب ببعض البؤرات الصديدية التي تتكون داخل جسمه وتصب افرازاتها السامة في الدم ... ولا يشعر الانسان بها الا اذا زاد ذلك الإفراز ... فاذا الانسان يمرض فجأة بأمراض قد يكون التسمم أقلها ... وقد عرف أن الصوم خير وسيلة لتجنب الإصابة بهذه البؤرات ... اذ عندما تقل المواد الغذائية في الجسم يبدأ الجسم في استهلاك أنسجته الداخلية ... وأول ما يستهلكه منها الخلايا المصابة التي تكون قد ضعفت نتيجة الالتهاب كما يذهب الصيام أية أورام صغيرة في أول تكونها ... ويمنع تكوين الحصوات والرواسب الجيرية... اذ يحللها أولا بأول . وفي ذلك يقول الدكتور روبرت بارتولو :(لا شك في ان الصوم من الوسائل الفعالة في التخلص من الميكروبات وبينها ميكروب الزهري لما يتضمن من اتلاف للخلايا ثم اعادة بنائها من جديد) .

والصوم عبادة قديمة فرضها الله على الأمم السابقة على الاسلام قال تعالى في سورة البقرة :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

وقد ثبت ان بعض الحيوانات تصوم أيضا (كالجمل) الذي يعرف الكثير من خواص صيامه من يقوم بتربيته والعناية به سواء كان من أهل البادية او من

---

(١) انظر الاسلام والعلم الحديث ص ١٧٤ .

الفلاحين او غيرهم وصيامه يؤدي إلى زيادة قوته وقدرته على العمل ، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على أن أثر الصوم الطبي الذي أشرنا اليه انما يتعدى من الانسان إلى الحيوان ايضا . والوثنيون يعرفون الصوم طريقا من طرق الرياضة النفسية ، وبه يتدربون على مقاومة الشهوات وتربية الروح وترقية الوجدان ، وصوم الزعيم (غاندي) الشهور الطوال ليس بخاف على أحد ، ولست مغاليا اذا قلت ان الصوم معروف عند كل كائن حي حتى النبات فالارز مثلا له فترة (يصوم فيها عن الماء) ولو فرض وأصابه ماء في هذه الفترة قل الانتاج ان لم يتلف نهائيا وكذلك القمح وغير ذلك مما هو معروف لدى علماء النبات والحيوان . وهذه حكمة الهية اقتضتها تعادلية الكون ، واتساق بنائه وتكوينه . وفي يقيني ان الصوم عملية فطرية يشعر المرء بالحاجة اليها في فترات مختلفة ... وقد أخذت بها أشهر مصحة في العالم الان (مصحة الدكتور هنريج لاهمان في درسدن في سكسونيا) حيث يقوم العلاج فيها بالصوم .

ومن هنا نستطيع ان نقرر ان الصوم احد أركان الاسلام الاساسية عبادة انسانية راقية تقوي الجسد ، وتصلح النفس وتهذب الروح ، وتساعد على غرس الامانة في نفوس النشيء . وان كانت التربية الحديثة تعمد إلى طرق عملية في تعويد الطفل الأمانة فليست هناك طريقة تماثل الصوم ، حيث يترك طعامه وشرابه بوحي من ضميره ، ووازع من نفسه يجعله يخشى الله في كل ما يقول ويعمل ، لانه بالصوم يتعلم أن الرقيب الأسمى على كل شيء انما هو الله خالق الكون ومانحه العافية والقدرة .

وصوم المسلمين ليس هو الامساك عن الطعام والشراب والجنس وانما هو الامساك عن كل ما يخالف الايمان والفضيلة والخلق وما لا يتفق وفضيلة

التقوى ومراقبة النفس قولا وارادة وعملا .

فالذي يتجه إلى غير الله كما يقول الشيخ شلتوت [1] (بالقصد والرجاء لا صوم له ، والذي يفكر في الخطايا ويشتغل بتدبير الفتن والمكائد ، ويحارب الله ورسوله في جماعة المؤمنين لا صوم له . والذي يطوي قلبه على الحقد والحسد والبغض لجمع كلمة الموحدين ، والعمل على تفريقهم ، واضعاف سلطانهم لا صوم له . والذي يحابي الظالمين ، ويجامل السفهاء ويعاون المفسدين لا صوم له . والذي يستغل مصالح المسلمين عامة ويستعين بمال الله على مصالحه الشخصية ، ورغباته وشهواته ، لا صوم له . وكذلك من يمد يده او لسانه او جارحة من جوارحه بالايذاء لعباد الله او الى انتهاك حرمات الله لا صوم له ، فالصائم ملاك في صورة انسان ، لا يكذب ولا يرتاب ولا يشي ولا يدبر في اغتيال او سوء . ولا يخادع ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل) . وفي حديث رسول الله بيان لذلك كله فهو يقول (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) وقوله (ليس الصيام من الأكل والشرب . وانما الصيام من اللغو والرفث) . ذلك هو صيام المسلمين . الصيام الذي يخلق في المرء الصبر ، ويعلمه القدرة على مواجهة الشدائد والمحن ويسلب من بين انيابه غرائز الشر ، ويرفعه فوق ترابيته ليرتقي درجة في عالم الروح ، والصبر فضيلة يتعود عليها الانسان فان استعملها أصبح قادرا عليها ، وبقدرته عليها تهون كل أمور الدنيا لانه ليس أيسر على الصابر من الحياة نفسها ، ولا نعرف شيئا يعادل صبر الانسان على الجوع والعطش والشهوة ، يرى كل هذه الاشياء بين يديه وهو في حاجة اليها ، ولكنه لا يقربها ايمانا

---

(١) انظر الاسلام عقيدة وشريعة ص ١٣٧ .

بالله وامتثالا لاوامره وثقة في عزيمته وارادته ذلك هو صوم المسلمين ولا صوم يعدله .

وقد جاءت آيات الله بفرضية الصوم واضحة كل الوضوح في أوقاته ونظامه وعلى من يجب ، ولمن يجوز الافطار مع القضاء قال تعالى في سورة البقرة (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام اخز وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) .

والآيات تبين ان صوم شهر رمضان مقصود بذاته ، لانه الشهر الذي بدأ فيه نزول القرآن ، وان هنالك صوم تطوع في غير شهر رمضان يثاب به العبد وينتفع صحة وتربية وخلقا . وبينت ان للمريض والمسافر الافطار في رمضان . وعليه القضاء في أيام الصحة والاقامة ، والمقصود بالاقامة هنا . الاقامة في بلده الذي سافر منه ، او المكان الذي يقصده بالسفر ، بمجرد وصوله اليه يعود إلى الصوم ، لان رخصة الافطار انما هي للمشقة والمشقة تزول بزوال سببها وهو السفر نفسه . وتيسيرا من الله على عباده أباح للمقيمين والاصحاء الذين يشق عليهم الصوم ويسبب لهم جهدا شديدا ، او يعرضهم للخطر ، كالشيوخ والحوامل والمراضع ، الافطار في رمضان ، وعليهم ان يطعموا مسكينا واحدا عن كل يوم يفطرونه . وهذا هو المفهوم من قوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ومعنى « يطيقونه » يتحملونه بشدة ومشقة ،

حيث ان الاطاقة لا تكون الا في الشيء الصعب . فلا يقال فلان يطيق الاستحمام في بيته ولكنه يقال يطيق عبور المانش مثلا . وان كان الصوم كله أمانة بين العبد وربه فمرجع المشقة او عدمها انما هو مسئولية الفرد وحده ، وله او عليه تقع التبعة والله تعالى يقول : « وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » كما قال سبحانه تماما (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وهذا شأن الدين الاسلامي دائما ، يحرر الارادة ويطلق العقل ، ويعلم الحرية ، وبها يحاسب ، وعليها مدار التكليف . ولا نجده أبدا في فرض من فرائضه او حكم من أحكامه يقصد الارهاق او العسر ، وانما يقصد التقوى والتطهير وصلاح الفرد والمجتمع ، والصوم في ادائه ورخصه مثال على ذلك .

كيف ندرس الصوم في المدارس الابتدائية

لكي نعرف كيف نعلم أطفالنا فريضة الصوم تطبيقا ومعنى وأثرا ، فانه يجب أن يدرس المعلم الانفعالات الخاصة بالطفل ، وأثرها على تقبله لنوع من المعلومات ، وكذلك معرفة حاجات التلاميذ ومشكلاتهم ، لان هذه الاشياء لها تأثير كبير في عمل المخ الانساني ووظائفه ، وكذلك في الجهاز العصبي بكل تعقيداته . فاذا أدرك المعلم أثر هذه الانفعالات وتبين حاجات التلاميذ ومشكلاتهم أمكنه اختيار الوقت المناسب لينقل لهم لونا ما من ألوان المعرفة يتفق مع انفعالاتهم ومشاكلهم .

وتلميذ المرحلة الابتدائية غالبا ما يكون عند دخوله المدرسة في سن السادسة ويستمر بها حتى سن العاشرة او الثانية عشرة على حسب النظام التعليمي السائد في المجتمع ، فقد تكون المرحلة الابتدائية أربع سنوات ، وقد تكون ستا . ولكن معظم البلاد ، ترى ان سن السادسة او السادسة والنصف هي السن

الملائمة لبدء الطفل تعلم المهارات الاساسية في القراءة والكتابة والحساب وبعض المعارف الدينية . لذلك كان بدء المرحلة الابتدائية هو في هذه السن ، وفكرة التلميذ عما حوله في هذا العمر تدور حول خبراته السابقة في دور الطفولة ورياض الاطفال ؛ ويستطيع تحديد المدركات الكلية ، وتزداد قدرته على هذا مع انتقاله في صفوف المرحلة ، حتى اذا ما وصل إلى نهايتها عرف بصورة ما النظام والمساواة والحرية والحق والواجب ، وأدرك معنى كلمة الدين والفرض والسنة ، واستطاع أن يفرق بين أمر يأتيه من قبل انسان وأمر مركزه السلطة الالهية ؛ وعرف ابعاد الطاعة والمعصية ، ومعنى التقرب من الله او الابتعاد عنه وتتكون لديه قدرة على الاستيعاب والفهم وحل المشكلات ؛ كما يستطيع أن يدرك شيئا من العلاقات بين الاشياء ، وتتكون له ميول محددة أكثر موضوعية ؛ كما يميل إلى الاهتمام بالعالم الخارجي ، والتعرف على كثير مما يجرى فيه ، وبخاصة على أشياء معينة تستهويه ويميل إلى معرفتها وينتج من هذا كله الاطار العام لبناء شخصية هذا الطفل الذي نعلمه في المدرسة الابتدائية . لذلك يجب على معلم الدين ان يعمل جهده لمساعدة تلاميذه على اعلاء دوافعهم ، والسيطرة عليها وتكوين ما يسمى بالضمير الخلقي عندهم . وان يوجه ميولهم نحو الدين ؛ وان يعمل على تنمية هذه الميول بالمثل الصالح والتطبيق الفعلي في سلوكه ومنطقه وتصرفه .

والصوم كرياضة روحية عالية يجب أن يعالج بطريق المناقشة وأن يهتم المعلم بتوضيح حكمة الصوم ، وآثاره الدينية والخلقية وأن يذكر الايات الكريمة المتعلقة به موضحا مفهومها في ايجاز وكلما كان درس الصوم في شهر رمضان كلما كان أوقع وأثبت في نفوس التلاميذ حيث يكون المدرس نفسه صائما وحيث يكون بعض التلاميذ صائمين وعندئذ يمكنه أن يناقشهم

في أحاسيسهم بالصوم وآثاره في نفوسهم وفي أجسامهم . وعليه أن يشير إلى بناء الاخلاق والسلوك وأهمية الصوم في هذه العملية وأن يقوم بدور التوجيه والاصلاح بين المتخاصمين أو المتنازعين من تلاميذه في هذا الشهر بالذات مبينا لهم ان الصائمين لا يتشاتمون ولا يتخاصمون ، لانهم في صومهم يرتقون إلى درجة الملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون ولا يتنازعون . وينتقل معهم من حالة المعرفة بالصوم واحكامه ومبطلاته إلى بيان الحالة الروحية التي يمر بها الصائم . تلك الحالة التي تمنح المؤمنين القدرة على التأمل والصبر ، وتدعوهم إلى التخلص من أخطائهم والسعي نحو الكمال وارضاء ربهم في الفعل والقول . ولا يتم ذلك مهما حاول المعلم الا اذا كان قدوة لهم واعيا بآمالهم وأحلامهم . مدركا لانفعالاتهم ومشكلاتهم العاطفية والوجدانية .

ويجب أن يكون التمهيد للدرس شاملا لبيان :

أ) قدرة الله ووحدانيته .

ب) حتمية الايمان ، وضرورة التسليم لخالق الكون ومبدعه .

ج) أثر الفرائض في الربط بين العبد وربه .

د) أهمية الصوم في نقاء النفس ، وطهارة القلب ، وسلامة الجسد

هـ) كمال العقيدة في السر والجهر . لان الصائم لا يطلع عليه الا خالقه وحده .

و) الحث على مراقبة الله في كل شيء .

وأما بالنسبة لعرض الموضوع . فيرجع إلى المعلم ومهارته في ادارة الحوار والمناقشة مع تلاميذه . ليصل إلى الاهداف التي ينشدها ، والمعاني السامية التي تتضمنها فريضة الصوم عقيدة وعملا .

الحج

من الوجهة الدينية والنفسية والجسدية والاجتماعية

تعد فريضة الحج أعظم دعوة للاخاء الانساني والمساواة بين بني البشر ، تجتمع فيه وفود المسلمين من كل أنحاء الدنيا في بقعة واحدة ، لا يدفعهم لهذا الاجتماع طمع في مال ، او رغبة في سلطان ، او سعي إلى مغنم . انما تدفعهم روحانية مجردة تنقلهم من دنيا الاهواء والشهوات إلى عالم من الصفاء تتجه فيه الابصار – كل الابصار – إلى خالق الكون ، تدعوه بقلب خاشع ، ويقين مطلق ، وثقة لا حدود لها في الثواب والعطاء والامن . وفي الحج رمز واضح لوحدة المسلمين على اختلاف أجناسهم ، وفيه اثبات المساواة الاجتماعية المطلقة ، اذ يكون المسلمون جميعا بلباس واحد ومن نوع واحد ، وعلى شكل واحد ، وليس كهذا الوضع شيء يدل على محو فوارق الجنس واللون والطبقة . اذ اننا نعرف ان اللباس ونظمه وتقاليده من أكبر مظاهر التفرق بين الاجناس والطبقات . وبمحو الفروق في الملبس ، يتساوى الجميع ، فلا يعرف الامير من الفقير و الغني من المحتاج ، اذ يشعر الجميع بالوحدة الانسانية والوحدة الاسلامية ، وعندما يقف الجميع على عرفات مناديا (يا رب) لبيك اللهم لبيك ، تنصهر تلك الوحدة الاسلامية في وحدة بني الانسان اذ كل من على الارض يقول يا رب ، وكأني بقول الله تعالى آمرا نبيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنداء الناس – كل الناس – إلى السعي لحج بيت الله الحرام ،

وتأدية ما يجب له من الجلال والعظمة والتقدير ، وجاء الامر بذكر (الناس) لا يذكر المسلمين ليبين ان الاسلام فوق انه دين عام شامل لكل بني البشر ، فهو دين الاخاء والمساواة والاجتماع والالفة قال تعالى في سورة الحج مخاطبا ابراهيم عليه السلام .. « واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » .

وكان التعبير الالهي بقوله (ليشهدوا منافع لهم) بيان لان الحج فوق انه عبادة روحية ، ينطلق فيها المرء بكليته – ماله وصحته وآماله – إلى الله سبحانه وتعالى . فانه يعد مؤتمرا عاما للمسلمين ، يباشرون فيه أمور حياتهم ، ويناقشون فيه قضاياهم ، ويحلون مشكلاتهم ، ويدرسون رغبات المسلمين وحاجاتهم أينما كانوا . وان كان الناس قد انصرفوا عن ذلك واتخذوا لهم مسلكا خاصا فيما يقولون ويفعلون في الحج فان ذلك يعد تقصيرا من المسلمين وترك ركن هام من أركان الحج ، الذي اتصور انه من أهم أسباب فرض هذه الفريضة ودعوة كل الناس اليها .

وقد تحددت فريضة الحج على المسلمين بقول الله تعالى في سورة آل عمران « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

ففي الاية السابقة من سورة الحج نداء ، وفي هذه الاية فرض ولازم . وربط الحج بالاستطاعة انما يدل على يسر الاسلام وسماحته ، وانه دين لا تشدد فيه ولا تزمت ، انما هو دين الرحمة ، الذي يحرص في كل أمر من أوامره على سلامة الانسان وأمنه وسعادته بدينه ودنياه وآخرته . لذلك كانت فريضة الحج على كل (مسلم ، بالغ ، عاقل ، حر ، مستطيع) والاستطاعة هنا تعني **مالياً** . وجود ما يكفي حجه وعودته والانفاق على من يجب عليه

نفقته حتى عودته . وان يكون ذلك من ماله الحلال الخالي من الشوائب والشبه ، وان يحرص قبل حجه على اداء ديونه ورد الامانات إلى أصحابها . **وصحيا** : أن يكون في صحة يستطيع معها تحمل مشقة السفر واداء مناسك الحج وعناء الرحلة . وبالنسبة **للامن** . يجب أن يأمن الطريق إلى الحج ، وفي الحقيقة ليست هذه شروط الحج فقط ، وانما هي تتعلق بكل عقائد الاسلام وتكاليفه لان أوامر الاسلام لا تحمل أي نوع من الارهاق او العسر ، لانها ما شرعت أصلا الا رحمة بالانسان ولخير الانسانية وسعادتها في دنياها وآخراها .

وقد حدد الاسلام للحج أشهرا معلومة ، كما بين ان له اماكن محدودة وأشهر الحج هي : شوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة من الاشهر العربية وأماكنه : البيت الحرام ، ومنى ، وعرفات ، والمزدلفة ، ومكان رمي الجمار . وهي أماكن حرم الله فيها على الحاج أي ايذاء حتى صيد الحيوان او ازعاجه بأي صورة من الصور (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) كما حرم عليه قطع الاشجار او اتلاف ثمرها أو أي فعل يضر بها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يختلي خلاها ، ولا يقطع شوكها ، وجعل الله أشهر الحج أيضا من الاشهر الحرم التي يحرم فيها القتال وايذاء الناس او الاعتداء عليهم . وكأن الاسلام بذلك يدعو الناس جميعا إلى وضع هدنة بينهم مدة أربعة أشهر هي أشهر الحج ومعها (شهر رجب) لكي يلتقطوا أنفاسهم ويراجعوا الحساب فيما بينهم عسى ان يكتشفوا ضلالا في الرأي أو فسادا في الحكم ، فيعودوا إلى رشدهم ويبتعدوا عن العداوة والبغضاء والقتال فيما بينهم . وقد فرض الحج في هذه الاشهر ، لان في الحج جهادا يأخذ من العبد طاقته البدنية ، وينقله إلى حالة من الصفاء الروحي ، تجعله يكتشف صواب الاشياء ويتعرف عليها بصورة غير التي كان يراها بها وسط ضوضاء الحياة ، والحاج

الرغبات والمنافع . ويقول الشيخ شلتوت [1] « ولما كان البيت الحرام في مكان مخصوص لا يدركه كل مظلوم ولا كل الناس ولا ينال حظه من الامن فيه الا من ارتحل اليه ، ولم يكن من الممكن ان يرتحل اليه جميع سكان المعمورة في وقت واحد ، لهذا جعل الاشهر الحرم ملجأ امن عام ، تنشر على الناس وهم في أقاليمهم وأقطارهم الوية الامن والاطمئنان ، ويدخلون بها في هدنة الرحمن الرحيم ، فقرر كذلك في القلوب حرمتها ، فيها تكون السيوف في أغمادها ، وتتجه القلوب إلى ربها ، وفيها يتضاعف الجزاء لمن أحسن أو أساء وفي ذلك يقول تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد) . اذا آمن الانسان بهذه الهدنة الالهية ، وانفعلت نفسه بشرائع ربه ، وعالج نفسه في ظلها وهي أربعة أشهر من اثني عشر شهرا صار ولا شك إلى فسحة وراحة واتسع أمامه مجال العمل والسياحة ، واستطاع الاتصال باخوانه بنيَ الانسان ، وكان معهم في أمن واطمئنان ، متعاونين على البر والتقوى عزوفين عن الأثم والعدوان .

لذلك كان الحج عبارة عن مؤتمر دوري ينعقد في كل عام تحت راية من السلام والمحبة يناقش أحوال المسلمين في كل أنحاء العالم ، ويقربهم من بعضهم ، ويجعلهم على بينة من كل أمورهم . مهما باعدت بينهم الاقطار واختلفت بهم الدروب والامصار ، وهو بذلك يحقق هدفا ساميا من أهداف المجتمع الاسلامي ، الذي يقوم أول ما يقوم على التعاون والتراحم والتواد ، ولا يكون ذلك أبدا الا اذا توفر الامن والسلام بين الناس والله تعالى يقول (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله ، يوم خلق السموات والارض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم) [2] .

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة ص ١٣٨ .

(٢) الآية ٣٦ من سورة التوبة .

ولا نجد بين الاديان دينا كالاسلام يدعو الناس إلى هجر القتال والجدال ، والسب والضرب ، وانتهاك الحرمات ، والاعتداء على الغير ، حتى على الحيوان والنبات ولو فهم الناس تلك الدعوة لعرفوا حقيقة الاسلام ولادرك الكافرون والمنافقون ان تعاليم الاسلام أصلح تعاليم للارض وللانسان في كل زمان ومكان ، وانها كفيلة لسعادة بني الانسان . في مجتمعهم ، وسياستهم ، واقتصادهم ، وسلمهم ، وحربهم ، وان المنهج الاسلامي في التربية يقوم على فهم الطبائع الانسانية ، ويلائم بين الرغبات والحقائق بين الدوافع والمكتسبات ، ولا يترك الانسان لنفسه تعبث به أبدا ، انما يمدها بالضوء الذي به تهتدي إلى طريق الحق والصواب . ويمكننا لو تصورنا أركان الحج ان نتعرف على نموذج من نماذج التربية الاسلامية خلقا وعملا .

أركان الحج

فمن أول أركان الحج .

الاحرام :

وله مكان محدد لكل قادم من جهة من جهات الدنيا ، عنده يغتسل الحاج ويقلم أظافره ويقص شاربه وينظف شعر رأسه ولحيته ويخلع ما كان يرتدي من ثياب ، ويتزر بثياب الاحرام ، وهي ثياب بيضاء ليست مخيطة ، وهو بهذا كأنه خلع كل أمور الدنيا بمشاغلها وآثامها وآلامها ، ليقبل بكليته على الله خالقه ورازقه ومالك ناصيته . وتلك النظافة التي يستعملها فوق انها نظافة للبدن تحفظه وتحميه من الميكروبات والامراض التي يمكن أن تعلق به أثناء اداء الفريضة وانتقاله من مكان إلى مكان . فانها تمثل نظافة الروح وتطهيرها من الادران والخبائث ، وتصفيتها من كل علائق الدنيا التي تؤدي إلى الحقد والحسد والبغضاء . وقد ثبت ان هذه النظافة منعت وقوع الامراض في مواسم الحج على مدار مئات السنين ، فلم يثبت على مدى التاريخ الطويل ان حدث

مرض وبائي اكتسح المئات او الالاف من بين ملايين الحجاج التي تقصد بيت الله الحرام في كل عام والفضل في ذلك يرجع إلى النظام الذي حدده الشرع الحكيم للقيام بفريضة الحج ، كما يرجع بالدرجة الاولى إلى الاحرام ، ذلك الذي يستدعي أن يكون المرء متزرا بإيزار خال من المخيط ومن الاركان والزوايا التي يمكن أن تلجأ اليها الحشرات التي غالبا ما تكون سببا في نقل الميكروبات والاوبئة إلى جسم الانسان ، وكذلك إلى أنواع النظافة المتعددة التي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بها في حجه فأصبحت سنة يتبعها المسلمون مثل الاغتسال لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة اغسال لرمي الجمار الثلاث ثم لطواف الوداع . أي تسعة اغتسالات تعقب كل فعل يقوم به الحاج ويؤدي إلى اختلاطه بالناس وتحمله شيئا من الغبار والعرق ، ولا شك ان هذه النظافة المتتابعة تقي الحجاج شر الامراض التي غالبا ما يكون أساسها بعض الاهمال في النظافة . ولو عرف غير المسلمين مدى عناية الاسلام بالنظافة لكان رأيهم في الاسلام والمسلمين غير ما نرى ونسمع في هذه الايام ولكن للأسف الشديد نسيان المسلمين لفلسفة دينهم وهجرهم لاحكامه وفضائله هي التي تسيء إلى الاسلام ، وتحمل البعض على رميه بالتأخر وعدم مجاراة المدنية الحديثة ، وقد رأينا هنا لمحة من ذلك تتعلق بنظافة البدن غير تلك النظافة الاهم التي تتعلق بالخلق حيث الجميع سواء فلا سيد ولا مسود ولا غني ولا فقير . ولا قوي ولا ضعيف ، رداء واحد ، ونداء واحد ، وعمل واحد . واتجاه واحد ، وتلك النظافة التي تتعلق بالمبادىء ، في التوحيد والتقديس لاله واحد لا شريك له ، وفي الاجتماع على كلمة الحق والاخلاص والمحبة بين الناس .

وثاني الاركان الطواف بالبيت :

وهو يمثل في شكله ووقته عمق التربية الاسلامية ، حيث يلتزم الحاج بمجرد وصوله إلى مكة أرض الله الطيبة ان يطوف بالبيت طواف القدوم فاذا أفاض من عرفات وأكرمه الله بمناجاته على جبل الرحمة طاف طواف الافاضة، حتى اذا اكتمل حجه وتمتع بأيام الله وأراد الرحيل طاف طواف الوداع . ومع كل طواف يغتسل ويطهر بدنه وثيابه ويستر عورته ويتوضأ ، وهذه الافعال في جملتها انما تربي في الانسان أدب اللقاء والوداع ، وتعلمه كيف يتعامل مع الاخرين وهو نظيف القلب والروح والبدن ، وتنقله من حالة الغافلين إلى دائرة الذاكرين الشاكرين .

وبعد الطواف يكون السعي بين الصفا والمروة :

ذلك السعي الذي يمثل في تاريخ الانسان قصة الصبر والتضحية والفداء والذي يتذكر المرء به قدرة ربه ، وانه وحده مالك أمره فيأتيه باليسر بعد العسر وبالفرج بعد الضيق ، وان رحمة الله قريب من المتقين ولا عجب في ذلك لان قصة السعي تمثلها تماما ، فهاجر ام اسماعيل حين أنجبته ملأت الغيرة قلب سيدتها سارة التي سعت لان يتزوجها ابراهيم وهي جاريتها لعلها تنجب له ما يؤنس وحدته . ولكنها حين حملت وولدت ، عادت طبيعتها الانثوية اليها تنفث سموم الحقد والبغضاء على ام الوليد الذي سوف يأخذ حب زوجها منها ، وأصرت على أن يبعدها ابراهيم مع ولدها إلى حيث لا تراهما ولا تسمع بهما ، وتقبل ابراهيم عليه السلام الامر صابرا محتسبا إلى الله موقفه فألهمه الله أن يذهب بهما إلى هذا المكان المقدس ، على الرغم من انه كان صحراء جرداء لا ماء فيها ولا غذاء ولا انسان ولا ديار ، لتكون آية من آياته ، وليعمر

هذا المكان الذي يعلم الله في الأزل أنه من أطهر أماكن الارض وأقدسها ، وانه سيكون موطن الحجيج إلى آخر الدنيا . ومنبع آخر رسالة يرسلها إلى الارض ، ومنبت خير نبي وأعظم رسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . وتقبلت هاجر الحكم صابرة ، واحتضنت وليدها في انتظار أمر السماء فيهما واهتز قلب الاب وراح يدعو ربه في خشوع وتضرع .

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧

وتعاقبت الايام على هاجر الصابرة ، وأخذ المكان الموحش يفزعها وارادتها القوية تهتز ، وما معها من زاد وماء ينفد ، وماذا تفعل لقد ضاقت بها الدنيا ولم يعد لها الا السماء أملا ، وطفلها الصغير يبكي جوعا وعطشا فيزيد ألمها تفجرا ، وتتخايل أمامها أسراب وأوهام فتجري اليها متصورة أنها ماء حتى تصل في سعيها إلى الصفا ذلك المكان المرتفع من الارض فلا تجد عنده بغيتها ، فترتد عائدة بعد أن تنظر خلفها فيخيل لها ان الماء في الجهة الثانية على جبل المروة ، وتسرع الخطى حتى اذا ما وصلت إلى هناك راعها انه سراب ، فتعود من حيث أتت عند الصفا ثم تقفل مرة أخرى إلى المروة وهكذا سبعة أشواط يمتد طولها وعرضها في أعماق النفس الانسانية ليبين حرص الام على وليدها ، واستعدادها الدائم لفدائه بنفسها ، وفي النهاية تنهار هاجر ويكل جسدها ، ولكن عزيمتها لا تضعف ، وصبرها لا ينفد ، تنادي من أعماقها يا رب ، واسماعيل الصغير يبكي ويبكي ويضرب الارض بقدميه واذا بالماء يتفجر من تحت قدميه ، ماء عذبا طيبا يملأ الأرض من حوله ،

---

(١) من سورة ابراهيم آية ٣٧ .

وينادي الملك هاجر يقول لها : زمي زمي . اي حوطي الماء بما يجعله عينا ، لذلك سميت العين التي ما تزال منذ هذه الالاف من السنين باقية تروي الحجيج وغيرهم من أهل مكة . سميت زمزم . وكان ذلك النبع مسرى الحياة والعمران لهذه الارض المقدسة . فقد قصده أول ما قصده الطير الذي يحوم في الفضاء باحثا عن الزاد والماء . وعن طريق الطير عرف الضاربون في الصحراء ان هناك حيث الطير ماء وحياة ، فقصدوا المكان وأقاموا هناك ، وتتابع القوم يرتوون عابرين أو مقيمين حتى أصبحت تلك البقعة الطاهرة أرض الحجيج ومولد الامين محمد عليه الصلاة والسلام .

وفي هذا المكان الطاهر وقعت قصة ذبح اسماعيل وفداء الله له بكبش من الجنة ، وهذا يدل على ان نبي الله ابراهيم كان يزور ولده من حين إلى حين ، واطمأن إلى ان الله استجاب دعاه وعمر المكان ، وان ولده أصبح في أمن وبين قوم وعشيرة يحبهم ويحبونه . ثم أتاه يوما بعد غيبة طويلة يفع فيها اسماعيل وأصبح رجلا ، ليخبر ولده ان الله أمرهما ان يرفعا قواعد بيت الله في هذا المكان من الارض وكما هي عادة اسماعيل قال لابيه لبيك أبي لك السمع والطاعة وعلي الجهد والصبر . وبعزيمة المؤمنين وصبر المجاهدين اتما ما أمر الله به وفي هذا يقول القرآن الكريم [1] .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾

تلك في إيجاز قصة بناء الكعبة وحادثة السعي بين الصفا والمروة وهما

---

(١) من سورة البقرة آية ١٢٧ .

يمثلان نوعاً من التجرد لله تعالى والتسليم لاوامره ، تلك الاوامر التي يجب أن يتمثلها المؤمنون في غدوهم ورواحهم ليكون لهم الامن في دنياهم ، والسلام مع أنفسهم ، والرضا بقضاء الله وقدره . ذلك القضاء الذي يخفي على الانسان سره ويعجزه في الحقيقة رده أو دفعه .

ويأتي بعد السعي الوقوف بعرفة

ذلك المكان الذي أعده الله ليكون مكان اجتماع المسلمين من مشارق الارض ومغاربها ، ليتعرفوا عليه ويناجونه بما يريدون في يوم كامل من الفجر حتى غروب الشمس ، يذكرون فيه شكواهم ويبثونه آلامهم ، ويرفعون اليه أحلامهم وآمالهم ، بلا تحديد لقول او فعل فالقلب لله يقلبه كيف يشاء . وله في تلك الساعات ان يهتف بما يريد ، وان يقول ما يشاء بشرط أن يستشعر الخشوع والجلال لله وحده . وان يتجه بروح صافية خالية من الاحقاد والبغضاء والهوى إلى ربه . وفي عرفات تمثيل ليوم الحشر ، حيث كل الناس سواسية ، حفاة عراة لا مال ولا أهل ولا ولد ، الكل يرجوه ويتوسل اليه لا فرق بين انسان وانسان .

وبعد عرفات يأتي رمي الجمار ذلك الفعل الذي يشعر الحاج بأنه قد طهر نفسه وروحه ، وألقى بذنوبه بعيدا كما يلقي الجمار وانه قد تخلص من شيطانه فلم يعد له عليه سلطان ، وكأنه بذلك يجدد العهد بينه وبين الله تعالى ، انه سوف يكون نعم العبد الصالح الذي يقاوم مغريات الحياة ، ويتغلب على شهواته وهواه ، فلا يترك بابا للشيطان اليه . لان رمي الجمار لا يعني فيما يعنيه غير هذا المعنى . وعلى المرء أن يستشعر ذلك حين يذهب إلى رمي الجمار .

واذا ما انتهت مناسك الحج حلق الرجل شعر رأسه او قصره بأي قدر يشاء ، ويحل له بعد ذلك ما كان محرما عليه في الاحرام الا النساء وفي هذا بيان للنفس الانسانية انها مطالبة بأن تتجرد من كل أحوالها الدنيوية في وقت من الاوقات لتصفو فيها لله وحده ، ولتقاوم النقائص البشرية التي تستهلك الانسان في صبحه ومسائه . وكان ذلك في الحج أولى وأشد لتتمكن شعائر الحج من نفوس الحجاج وتنقلهم بالفعل من ماديتهم إلى الروحانية المقصودة من تلك الفريضة . وما أعظمه من أدب ذلك الذي يلزم الحاج بأن يغتسل ويتطهر ويطوف طواف الوداع شاكرا الله على ما أولاه من نعمه ، وما تكرم عليه به من قدرة وصحة أعانته على اداء الفريضة ، وطرح ما عليه من غبار الحياة ، ومكنته من رؤية تلك البقاع الطاهرة التي شهدت الوحي وسار على رمالها خير الأنبياء وأعظم الرسل . وبطواف الوداع ينتهي المرء من حجه ، وبروح تلك الاداب عليه أن يسلك طرق الحياة وأن يخوض غمارها .

كيف ندرس الحج لتلاميذ المرحلة الإبتدائية

يجب على المعلم في المدرسة الابتدائية التي هي أساس التعلم ومنبعه أن يكون مدركا لاهداف التربية بوجه عام ، وأهداف التربية الاسلامية بوجه خاص ، لان ذلك يساعده على السير في دروسه بأسس واضحة تصل به في النهاية إلى تحقيق تلك الاهداف .

وأهداف التربية العامة كما هو رأي معظم علماء التربية ليست من الامور المفروضة والتي يجب التسليم بها كقضية مقدسة لا تحتمل التغيير او المناقشة ، وانما هي خلاصة ما يجب أن يكون .

ومن هذه الاهداف العمل على تكوين الطفل تكوينا يساعده على فهم

مجتمعه الذي هو منه واليه ، ومعرفة تراثه الثقافي وتعلقه به وادراك التنظيمات والمؤسسات القائم عليها البناء الاجتماعي من حوله . وان يكون ذلك كله في نمو دائم يساعدنا على بناء شخصية متكاملة ، يمكننا في النهاية أن نتعرف على قدراتها وامكاناتها الفاعلة داخل اطار المجتمع ، مع اعتبار القيمة الشخصية للفرد ، واحترام ذكائه والايمان به ، وبما يمكن ان يؤديـــه في موقف من المواقف الاجتماعية ، وعلى المعلم — بجانب مراعاته لهذه الاهداف — ان يتجنب فكرة اعداد الصغار من أجل حياة الكبار او على شاكلتهم . لانه لا هو ولا غيره يستطيع أن يعرف ماذا ستكون عليه الحياة عندما يصبح هؤلاء الصغار كبارا . فالمهمة اذن ليست طبع صورة الكبار على أذهان الصغار ليكونوا مثلهم ، انما المهمة الاعظم أن نبين لهم ان ا لحياة في تغير دائم ، وان التعليم وسيلة لفهم حياتهم الحاضرة والمستقبلة وتهيئتهم لقبول التغير الدائم في نظم الحياة ، ونحن بذلك نساعدهم على التقدم والرقي ، لان المجتمع الساكن الهامد الذي لا حركة فيه ولا تغير مجتمعا خاملا بعيدا عن طبيعة الحياة التي هي في حقيقتها دائمة الحركة والتغيير . ونحن اذا استطعنا ذلك نكون قد ساعدناهم على الالمام بالحركات الاجتماعية والتاريخية ، وأعطيناهم القدرة على الانطلاق مع الحياة نموا وتغيرا وحافظنا في الوقت نفسه على تراثهم الثقافي والحضاري .

وداخل هذا الاطار تكون مراعاة أهداف التربية الاسلامية التي هي في حقيقتها أهداف منطلقة إلى الامام دائما ومتسعة لأهداف الحضارة الانسانية كلها ماضيا وحاضرا ومستقبلا . وليس في هذا القول تغال لان التربية الاسلامية في ايجاز شديد تنشد بناء الانسان :

١) الدائم الاتصال بالله .

٢) المتوازن بين الروح والمادة .

٣) المتوافق بين نفسه ومجتمعه

٤) القادر على العطاء خلقا وعلما وعملا .

٥) المقدر لدور الآخرين في بناء الحياة ، وقيمته كفرد بين جماعات متعددة الأشكال والأجناس والأهداف .

٦) المؤمن بأن العمل الشريف هو الحياة ، وان غاية الايمان العمل الدائب القائم على التضحية والاخلاص واليقين بالله .

٧) النظافة في الجسد ، والروح والفكر .

٨) التدبر في القول والنظر والعمل .

٩) النظام والدقة فيما يقول ويعمل .

١٠) الثقة في النفس وتحريرها من عبودية المال والهوى .

والعبادات الاسلامية في جملتها تعمل على تكوين الانسان المتصف بهذه الصفات ، والطفل بطبيعته الفطرية مستعد لتقبلها بشرط أن يجد التطبيق والمثل ، فلو استطاع المعلم أن يكون هو المثل والنموذج أمام تلاميذه . كان تحقيقه لهذه الأهداف أمرا سهلا وميسرا . وتمكن بعد ذلك من خلال التطبيق العملي أن يجعل تلاميذه حاملين فعلا لروح التربية الاسلامية متمسكين بها سلوكا وعملا .

والحج من العبادات الاسلامية التي تمثل نموذجا كاملا لهذه الصفات التي أشرت اليها ، ويمكن للمعلم أن يبين لتلاميذه حكمة كل موقف من مواقف الحج عن طريق المناقشة والحوار وذكر الآيات والأحاديث التي وردت في في الحج ، وأن يقص عليهم قصصا مشوقة تتعلق بالحج منذ بدء بناء الكعبة حتى عصرنا الذي نحن فيه وأن يعرض على تلاميذه رسوما وخرائط تبين أماكنه مع التركيز على ما لهذه الأماكن من قدسية وحرمة شرفها الله بها . وعليه أن يبين

الهدف من كل عمل من أعمال الحج حتى يشعر التلاميذ بالقيمة الروحية التي ينشدها الاسلام من خلال هذه الفريضة .

ويمكن تصور خطوات درس في العبادات تقوم على الآتي :

١) **التمهيد للدرس** تمهيدا قائما على أساس من الفهم والمعرفة بابعاد دروس الدين . وذلك بأن يقصد المعلم من التمهيد الربط بين دروس العبادة والعقيدة التي هي مصدر هذه العبادة وسبب قيامنا بها . وكذلك الربط بينها وبين مشكلات الحياة وأثرها في علاج هذه المشكلات ، هذا مع الحرص على أن يكون كل درس من دروس الدين مرتبطا بما سبق من الدروس الأخرى ، لأن الدين وحدة متكاملــة .

٢) **عرض الدرس** : ولا يتم بصورة سليمة الا اذا استطاع المعلم أن يدير الحوار حول الموضوع ، وأن يضرب الأمثلة من حياة الرسول وعبادته وطريقة أدائه لها ، وكلما لاحت له فرصة ليقص عليهم قصة تتعلق بالعبادة التي هي موضوع الدرس ذكر تلك القصة وناقش تلاميذه فيها ليتمكن في النهاية من الوصول الى وجدان التلاميذ وتأثرهم به وبالموضوع الذي يتناوله . ويمكنه أن يهيىء نفسه لذلك بالرجوع الى كتب السيرة والتفسير والحديث . ومـــا يتصل بها من الكتب الاسلامية كاحياء علوم الدين للغزالي والترغيب والترهيب . وزاد المعاد وغير ذلك من الكتب الحديثة التي تظهر في المكتبة الاسلامية كل عام . المهم أن يكون المعلم دائما على صلة بموضوعات الدين المختلفة حتى يتمكن من جعل درسه درسا مؤثرا في بناء شخصية التلميذ وفي تكوين فكره وعقائده .

٣) الحرص على القيام بتطبيق العبادة عمليا ، والمناقشة في كل فعل وحركة من حركاتها ، والتركيز على الهدف منها ، ومحاولة التعرف على وصول هذا الهدف

الى التلاميذ بأن يتابع بعضهم وهم يطبقون عمليا في دائرة اتصالهم به وبزملائهم وبالمدرسة ككل .

٤) التقويم .

ويجب أن يشتمل على نماذج من الأسئلة والمواقف التي يمكن الاسترشاد بها للتعرف على مدى نمو التلاميذ في تحصيل وفهم الموضوعات الدينية واكتساب المهارات والاتجاهات والميول والقيم التي تعمل الفرائض والعبادات الاسلامية على تنميتها في نفوس التلاميذ .

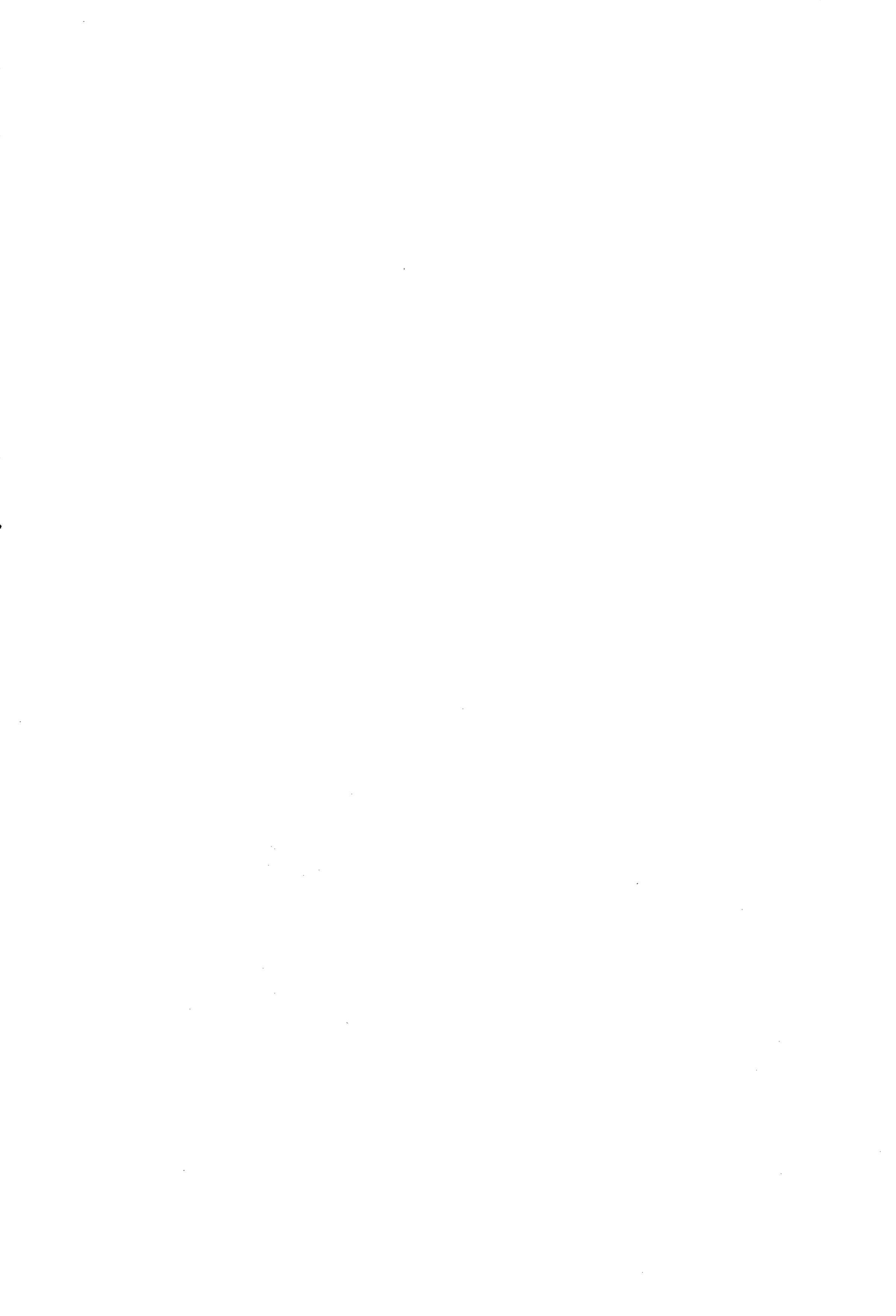
ويجب أن يكون هذا التقويم دائما ومتصلا طوال العام . وأن يكون شاملا ومخططا له . حتى يتناول كافة الأهداف الاسلامية التي تناولناها بالشرح والتحليل .

وأحب أن أشير الى أن التقويم لا يعني أبدا معرفة مدى تحصيل التلاميذ لمنحهم الدرجات ، وانما يعني إبراز الأهداف التربوية ، والوصول من خلال معرفتها الى الحكم على نجاح العملية التعليمية أو فشلها ، أي أن التقويم هو عبارة عن عملية تشخيص وعلاج ووقاية للمادة الدراسية التي يقوم المعلم بتأديتها وهو في مادة التربية الاسلامية ضروري وهام ، لأن هذه المادة لا تقوم على الوصف والتحليل واكتساب المعلومات ، وانما تقوم على بناء قيم وأهداف وابراز صفات . وهذا يجعل التقويم الدائم والمستمر هام بالنسبة لها .

الفصل الثالث

نظرة في العقائد

- طرق تدريس السّيرة والتهذيب والحديث
- أهميّة الوسائل والاتجاهات في تدريس الدّين



نظرة في العقائد

اقتضى الأمر فيما قدمناه من دراسة ، أن نتناول البناء الانساني في الاسلام . وأن نبين منهج العبادات الاسلامية الذي يساعد على اقامة هذا البناء شامخا وثابتا لا تدمره الأعاصير ولا تحطمه الزلازل . ولما كانت العبادات قائمة على عقائد يقينية لا يتطرق اليها شك ولا يعتريها خلل ، وجدت من الواجب أن أشير الى هذه العقائد اشارات موجزة تفيد وترشد في عملية التخطيط لدروس العبادة السالفة الذكر .

والعقائد في الاسلام تقوم على (الايمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والبعث ، والحساب) وبعض هذه الأشياء غيبي غير مدرك ، والبعض الآخر ملموس وان اختلف الناس حوله منذ فجر حياتهم . وقد جاء الاسلام ليقضي على هذا الاختلاف نهائيا ، ويبين كل هذه العقائد بصورة تجعلها كلها وكأنها ملموسة ومشاهدة . فعن الايمان بالله ، بين الاسلام **وحدة الله المطلقة** التي لا يتطرق اليها شك ولا شرك ولا تشبيه « قل هو الله أحد الله الصمد . لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ [1]

---

(١) من سورة محمد آية ١٩ .

وكل الأديان قبل الاسلام سواء كانت سماوية أو اجتهادية أقرت وحدانية الله المطلقة ، على الرغم مما نقرأه ونعرفه من تشويه بعضها أو ادخال فيها ما ليس منها ، وقد بين القرآن أنهم جميعا – أي المتمسكون بالتعاليم الحقة منها قبل الاسلام – على صواب وان لهم أجرهم يوم القيامة . قال تعالى في سورة البقرة آية ٦٢ :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾

ويوضح القرآن أنه لا اختلاف بين الأديان ، وأن تربية الله لعباده تتابعت حسب الظروف والحاجات الانسانية ، وان المختلفين ما أقاموا هذا الخلاف بينهم الا لغاية دنيوية ينشدونها . لذلك فأمرهم الى الله ، هو وحده يتولاهم ويحكم بينهم . قال تعالى [1] :

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

والاسلام خاتم الأديان كلها ، جاء معترفا بكل الأديان السماوية ومحللا لها ، ومتحدثا عن أنبيائها ، وملزما المسلمين بأن يؤمنوا بهم جميعا « لا نفرق بين أحد من رسله » ومبينا أن أحكامه الأساسية هي التي أمر بها كل الأنبياء والرسل قال تعالى [2] :

---

(١) من سورة البقرة آية ١١٣ .

(٢) من سورة الشورى آية ١٣ .

شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ

فاختلاف الأديان اذن هو اختلاف من ناحية الشرائع فقط .

لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا[1]

ولكن الكل مسلمون — أي مسلمون لله بوحدانيته وقدرته وبقائه وعلمه — وكل ما عدا الله هباء وفناء . وهذا نوح يقول (وأمرت أن أكون من المسلمين)[2] وابراهيم واسماعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم)[3] (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين)[4] ويوسف (أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين)[5] وكذلك عيسى والحواريون (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون)[6] .

ومن هنا كان الاسلام يعني الايمان **بكل الرسل ، والكتب المنزلة عليهم** ، فلا يكون المرء مسلما الا اذا آمن بهم جميعا ، وصدق بكل ما جاءوا به ، لأن الايمان لا يتجزأ ، ومن هنا أيضا كان الاسلام دينا عالميا للإنس والجن بلا اختلاف ولا تمييز .

وقد بين الله في كتبه أن له **ملائكة** هم جنوده لذلك كان الايمان بهم من

---

(١) من سورة المائدة آية ٤٨ .
(٢) من سورة يونس آية ٧٢ .
(٣) من سورة البقرة آية ١٢٨ .
(٤) من سورة يونس آية ٨٤ .
(٥) من سورة يوسف آية ١٠١ .
(٦) من سورة آل عمران آية ٥٢ .

مقتضيات التسليم له ، والاعتراف بوحدانيته وقدرته قال تعالى[1] :

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ (٢)

واليوم الاخر : أي يوم القيامة ، أو الساعة ، أو الحاقة ، أو غير ذلك من الأسماء التي أطلقت على اللحظة التي يأمر الله فيها بأن تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وهو من الأمور الغيبية التي لم يخبر الله به أحدا من أنبيائه ، وجعل علمه مقصوراً عليه وحده قال تعالى[3] :

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾

والايمان بهذا اليوم وغيره من الغيبيات هو دليل يقين الانسان بالله ، ومشهد تصديقه على القدرة الالهية التي صنعت الكون بحساب ، ورسمت نهايته بحساب ، وأعدت البعث والحشر أيضا بحساب وقد أمدنا الله بلطف من عنده بعض علامات لهذا اليوم تحدث في الدنيا قبل وقوعه قال تعالى[4] :

---

(١) من سورة البقرة آية ٢٨٥ .

(٢) من سورة النساء الايتان ١٥٠ ، ١٥١ .

(٣) من سورة الاعراف آية ١٨٧ .

(٤) من سورة الدخان من ١٠ إلى ١٦ .

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ⑩ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ⑪ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ⑫ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ⑬ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ⑭ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ⑮ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ⑯﴾

وفي تلك العلامة اشارة الى ابتعاد الناس عن الايمان وهجرهم لتعاليم الله ، فاذا ما جاءتهم هذه الظاهرة الطبيعية الرهيبة وامتلأت السماء بدخان يخنق الأنفاس ويحرق الأكباد ، نادوا ربهم انا مؤمنون ، ويكشف الله عذابه الى حين ثم تأتي الساعة التي لا مفر منها ولا خلاص .

وهناك علامة أخرى يقول الله فيها [1]

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾

ووقوع القول يعني صدور أمر الله بما سيحدث وقد أمر الله نبيه أن ينذر الظالمين بعذاب ذلك اليوم وأن يحذرهم من هوله الذي لن ينفع فيه صديق ولا شفيع مهما بلغ جاهه أو سلطانه قال تعالى [2] :

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ⑱﴾

وهذا اليوم الذي استأثر الله بعلمه ، وذكر لنا بعض علاماته سيأتي في أي لحظة ، لذلك الاعداد له بالعمل الصالح والتقرب الى الله غير محدد بزمن ، فكل الناس في كل عصر وعلى كل أرض يجب أن يعدوا أنفسهم له فانه آت لا ريب في ذلك « وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ » [3] ووصف هذا اليوم

---

(١) من سورة النمل آية ٨٢ .

(٢) من سورة غافر آية ١٨ .

(٣) من سورة النحل آية ٧٧ .

كما جاء في القرآن يوحي بقدرة الله الهائلة التي لا يمكن لعقل أن يحيط بها ، ولا لعلم مهما بلغ أن يصل اليها . فهو يحدثنا عن خسوف القمر وكسوف الشمس ، ونسف الجبال وانفجار البحار وزلزلة الأرض ، وتشمل الصاعقة كل من في الأرض والسماء الا من يحفظه الله من ذلك ليكون شاهدا لهذا اليوم العظيم . وفي هذا يقول تعالى [1] :

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾

وفي سورة التكوير :

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

وفي سورة طه ١٠٥ ، ١٠٦

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾

وفي سورة النبأ ١٩ ، ٢٠

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾

وفي سورة الزمر آية ٦٨ .

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ

والبعث : وهو عملية اعادة الأموات الى الحياة مرة ثانية ، الايمان به لا يفترق في معناه عن الايمان بغيره من الغيبيات . وان كان يقين المؤمن به يجب أن يكون متابعا له في الليل والنهار وفي كل حركة من حركاته . لأنه الذي عن طريق تصوره يعرف المرء موقفه بين يدي الله ، ويحاسب نفسه على قوله وفعله قبل أن يأتيه ذلك اليوم ، فهو بمثابة رادع للمرء عن ظلمه وجبروته وطمعه في

---

(١) من سورة الانفطار ١ ، ٤ .

دنياه ، ومنبه له ليتحسس طريق الخير الذي به ينجو يوم يعرض الله أعمال العباد عليهـــم .

ولا شك أن اعادة الموتى الى الحياة ثانية أسهل من بدء الخلق أولا ، فالايمان بالبعث لا يحتمل جدالا أو مناقشة ، وانما شكله وطريقته هو الذي لا نعرف منه شيئا واستأثر الله بعلمه ، ولم يذكر لنا منه الا بعض الأحوال التي ستحدث . وفي سورة الزمر يحدثنا المولى عن ذلك فيقول [1] :

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾

وفي سورة يس ٥١

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾

وفيها أيضا آية ٥٣

إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾

وفي سورة القمر ٧

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾

وفي سورة الكهف ٤٧ ، ٤٨

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾

---

(١) الزمر ٦٨ ، ٦٩ .

وفي سورة مريم ٦٨

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾

وفي سورة يس ٨١

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١﴾

ولا بد أن يكون هذا البعث للحساب ليأخذ كل انسان مكانه ، وليعرف جزاء ما قدمت يداه ، وهذا مركز الحركة ، ومدار الأفعال ، من عرفه وأدرك بعده خشي ربه وانتظمت الصلة بينه وبين خالقه .

والعبادات التي تحدثنا عنها وبينا طرق تدريسها في المرحلة الابتدائية يجب أن تكون مربوطة بتلك العقائد ، لأن العبادات هي مظهر الامتثال لهذه العقائد ، ودليل التعرف عليها ، لذلك كان من الضروري أن يبين المعلم أثر هذه العقائد في دروس العبادة ، وأن يصل من خلال الربط بينهما الى تنشئة التلاميذ تنشئة تقوم على مفهوم واضح يصل بين العقيدة والعبادة وبينهما وبين العمل والسلوك الذي ننشده في مستقبل حياة أبنائنا .

طرق تدريس السيرة

سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني مضمون حياته القيادية والفكرية والعملية ، ومنهجه في تبليغ الدعوة الى بني الانسان ، وطريقة عرضه لتلك الدعوة سواء من الوجهة الأخلاقية أو من الوجهة النفسية والسياسية وما واجه من مصاعب ومحن ، وكيف تغلب عليها بعزم الرجال وتأييد الله له . وكيف استطاع وهو الفرد اليتيم الأمي أن يتغلب على جبابرة قريش وفصحائها وبلغائها ، وأن يجذب اليه في أول أمره رجالا من أعظم رجالات التاريخ ليكونوا عونا له على أعدائه ودرعا له عند الخطر ، وكما أيده الله بهم ، استطاع هو أن يسكن في أعماق قلوبهم بخلقه وفكره وارادته وأسلوبه في المعاملة ، حتى اننا لنجد في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لا نجده في أي عصر من عصور التاريخ قديمه وحديثه ، كما لم نسمع عن رجال كانوا مثل هؤلاء القوم في الاخلاص والمحبة والتضحية والوفاء مما جعلهم مضرب المثل في كل عصر وفي كل موقف .

وكما كانت حياة الرسول نموذجا خالدا لحياة الرجال ، فقد كانت قصة طفولته نسجا رائعا لنشأة نبي وظهور معجزة ينحني الزمن لها إجلالا وتقديرا . ومن هنا كانت دراسة سيرة رسول الله وأصحابه في مدارسنا ، وفي المدارس

الابتدائية على وجه الخصوص ذات أهمية كبرى ، اذ عن طريقها نبني العزائم ، ونوحد الأهداف وننشىء الارادة ، ونجدد النفوس التي أبلاها الطمع في الدنيا ، والسعي وراء الشهوات والأهواء ، ونقوم الخلق الذي حاولت الأمم غير الاسلامية أن تميته أو تجعله في غفلة دائمة بعيدا عن أخلاق الاسلام الحقة وعن أخلاق رسول الاسلام ، والتلاميذ في المرحلة الابتدائية ، هم رجال الغد ، ومهمتنا كمربين أن نخلق منهم جيلا اسلاميا يتأسى برسول الله وبصحابته فيما يقولون ويفعلون ، وأن يتخذوا منهجهم في الحياة على أسس من الأخلاق التي تبني عزائم الرجال فلا تنهار عند الشدائد ، وتعلمهم أن الموت في سبيل الأهداف السامية هو الذي يهبهم الحياة والخلود .

أهداف تدريس السيرة

١ ــ تكوين نفسية الطفل وبنائها على حب العظمة وتقليد رسول الله وأصحابه . ولا شك أن الطفولة مجال خصب لغرس المبادىء والقيم التي ينشدها مجتمع من المجتمعات ، وهي محتاجة دائما الى القدوة التي تشهد من خلال تعاملها معها واتصالها بها دلائل العظمة والتضحية وصدق الارادة . وقد يجد الطفل في الأب والأم والمعلم أو المعلمة بعض رغباته ، ولكن طموحه وتطلعه الى الأسمى يجعلانه يشعر بالألم والحسرة ، عندما يلاحظ بعض أوجه النقص أو الضعف في هؤلاء الذين تعلق بهم وحاول أن يتخذهم قدوة .

وعندئذ سنجده قد اتجه إلى أشياء خيالية يراها في القصص والمسلسلات ، واتخذ من أبطالها الوهميين غاية له ، يحاول تقليدها وترسم خطاها . ليصل من خلال ذلك الى ارواء رغبته الجامحة في العظمة والقوة ، وتتعدد الروايات ، ويتعدد القراء وتختلف الاتجاهات ، وتتضارب الشخصيات . وينتج عن ذلك

جيل مختلف في كل شيء . فلا تتفق طباعه ولا تتوحد مناهجه ، وينشق على نفسه في صورة مخيفة تهدد المجتمع بالتمزق والانهيار ، وهذا ما شاهدناه في فترات مختلفة من حياة أمتنا الاسلامية ، وما نشكو منه الآن في حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولا علاج لذلك الا بجمع أبناء الأمة وتوجيههم نحو سيرة رسول الله وأصحابه العظماء ليرتووا منها بكل ما هم في حاجة اليه ، سواء في فترة الطفولة أو الشباب ، وهي مليئة بقصص البطولة والعظمة والاقدام والتضحية مما يجذب التلاميذ ويحقق رغباتهم .

٢ — السيرة طريق واضح سهل لفهم الاسلام ونظمه التطبيقية : — ومن المعلوم أن الله تعالى أنزل القرآن على محمد بأحكام كلية ومبادىء شاملة ، ولا يمكن لنا أن نتعرف على تطبيق هذه الأحكام وتلك المبادىء الا عن طريق ما كان يفعله الرسول ويقوله ويهدف إليه ، ودراسة السيرة تحقق لنا ذلك من أيسر طريق ، سواء كان الأمر متعلقا بالمثل في الخلق ، أو بالعبادات أو المعاملات ، أو الآداب ، أو الأحكام .

٣ — السيرة وسيلة لجمع كلمة الأمة الاسلامية وتوحيد اتجاهاتها : — ذلك لأن الأمة اذا اختلفت في الأفكار ، والمبادىء والاتجاهات تفرقت الى مذاهب وملل ونحل ، وأصبحت بعيدة عن منبعها الأصيل الذي نجده في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، والذي عن طريقها يمكن أن نحدد فضل أساليب تطبيق الاسلام ، وأن تتضح لنا معالم الطريق الوحيدة التي لا يجوز اختراع غيرها . وفي السيرة منهج محدد للفكر والأخلاق والمبادىء والغايات التي ينشدها الاسلام ، فاذا استطعنا ابراز ذلك لتلاميذنا ، نكون قد نجحنا في وضع أول لبنة لبناء أمة موحدة في جميع المجالات ، لأن أول قاعدة ترتكز عليها وحـــدة الأمم ، هي وحدة الفكر . ومما يروى عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم أن الأمة ستفترق بضعا وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة . واخبر عن الفرقة الناجية هذه بقوله « ما أنا عليه وأصحابي » [1] فاتباع ما كان عليه رسول اللهوأصحابه لا يأتي الا عن طريق معرفة السيرة معرفة يقينية والتمثل بها في الحياة العملية والأخلاقية .

٤ — العمل على أن يكون الشعار الاسلامي شعارا يعتز به الناشئة ، بدل أن يتمثلوا بأفكار وآراء من صنع الانسان سواء كان مسلما أو غير مسلم .

وهذا لن يكون الا بمعرفة السيرة معرفة توضح للناشئة شخصية الأمة الاسلامية ، وسماتها التي تميزت بها عن الأمم الأخرى ، ومن المعروف أن الأمة الاسلامية والعربية كانت قبل الاسلام أمة ممزقة الأوصال تحكمها طبائع شاذة ، وتنتشر في ربوعها مبادىء غير انسانية . فجاء الرسول وأصحابه ليوحدوا تلك الأمة ، ويقضوا على كل فساد فيها ، حتى أصبحت فيمبدء أمرها مضرب المثل في العدالة والاخاء والتسامح . وأقبل الناس يدخلون في دين الله أفواجا عن طواعية واختيار واقتناع ، وتعلق الناس من مشارق الأرض ومغاربها بأبطال الاسلام يحاولون تقليدهم وتتبع خطاهم . ولولا هجر سيرة الرسول وأصحابه العظماء ما تغيرت الشخصية الاسلامية ، ولظل بناء الأمة العظيم قائما متصلا يحرسه ويحميه جيل بعد جيل ، ولكن تغيرت النفوس فتبدلت الأفكار والاتجاهات ، وانحدرت الأمة لتصبح في وقت من الأوقات أمة مستعمرة ذليلة من أقصاها الى أقصاها . ويطمع فيها الطامعون حتى في تغيير عقائدها وأسس دينها ، ونحن الآن على صعيد آخر من دروب الحياة نكاد نمسك بزمام أمورنا كلها . وخير ما يحمينا ويصون وحدتنا ، ويدعم قوتنا وارادتنا هو العودة الى سيرة رسول الله

---

(١) راجع سيرة ابن هشام والسيرة النبوية لابن كثير

أوصحابه لنتمثل بها في كل ما نقول ونعمل . وأن نعلم أبناءنا الاعتـــزاز بالاسلام ونبي الإسلام وأصحابه ورجال الأمة الأفذاذ الذين بنوا خير أمة أخرجت للناس .

ولكي نحقق هذه الأهداف ينبغي أن نتبع في طرق تدريس السيرة ما يسهل على المعلم الوصول اليها . ويكون ذلك بتتبع هذه الخطوات :

١) عرض السيرة عرضا قصصيا منظما ودقيقا بحيث يستطيع المعلم ابراز جوانب الأخلاق والبطولة والتضحية في مضمون القصة . وأن يكون ذلك بأسلوب جذاب يناسب عمر الأطفال وخيالهم. ومن المستحسن أن تعرض عليهم في السنوات الأولى من الدراسة طفولة النبي وشبابه وما فيهما من جهاد ومثل وفي السنوات الأخيرة نعمد الى توضيح جوانب من نضاله وكفاحه وتحمله للأذى ، وصبره وحسن قيادته للمسلمين واتباع مبدأ الشورى وروح التعاون والمحبة بينه وبينهم ، وتفانيهم في طاعته والاخلاص له ، والتمسك بأوامره ، والحرص على تنفيذها في دقة وصبر ، والتركيز على جوانب العظمة الفريدة التي كان يتحلى بها صلى الله عليه وسلم ، وكيفية اتخاذ القدوة منها والسير على نهجهـــا .

٢) الوقوف عند الأشياء التي يبرز من خلالها تأثير القرآن وأخلاقياته سواء كان ذلك عند رسول الله أو من أصحابه ممن نقوم بدراستهم ، وذلك لكي نبين دور الإسلام في عملية البناء الرجولي والأخلاقي عند الرسول وأصحابه وكذلك عند المسلمين جميعاً الذين يتتبعون خطواته صلى الله عليه وسلم ويحاولون تقليده ومحاكاته .

٣) وعلى المعلم أن يحاول ربط دروس السيرة ، بعملية التطبيق في الحياة

الشخصية للتلاميذ ، وأن يركز لهم على أن المقصود من دروس السيرة . هو الإقتداء بأعمال الرسول وأصحابه ، والإهتداء بهديهم ، وأن يسوق الدليل والبرهان لهم حول أهمية إتباع هذه الطرق وذلك من خلال مواقف القصة وأحداثها التي استلزمت تصرفاً معيناً .

٤) ولكي تكتمل الفائدة لا بد من عقد مقارنات بين أفعال الرسول وصحابته ومواقفهم الإنسانية ، وبين ما يقابلها من أفعال ومواقف نراها في هذه الأيام فيها التكالب على المادة وإعراض الدنيا الزائلة من مراكز الحكم والسلطان والتسلط وذلك عند رجالات هذا العصر من مختلف الأجناس والأديان والملل ، وهذا يؤدي إلى إبراز السلوك الإنساني النبيل الذي تحلى به الرسول وأصحابه . والذي يجب أن يكون سلوك الفرد المسلم في كل زمـــان ومكان .

أساليب تدريس السيرة :

١) الطّريقــة الطّوليـّـة

وهي الطريقة التي نعرض فيها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه عرضاً يتفق والمراحل الزمنية من الميلاد إلى البعثة إلى الهجرة حتى وفاة الرسول والخلفاء من بعده وتقوم هذه الطريقة على تناول حياة الرسول ككل من غير حاجة إلى تحديد مواقف معينة . وكذلك حياة الصحابة .

٢) الطّريقــة العَرْضيـّـة

ونهتم فيها بإبراز أهم المواقف في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أو

الصحابي ، بصرف النظر عن التتابع الزمني . وذلك كأن نقصد إلى معالجة موقف الرسول من حلفائه ، أو موقفه من أعدائه . معاملته لزوجاته وأصحابه ، نظرته إلى الشورى رأيه وتصرفاته إزاء عمل من الأعمال وغير ذلك مما يبرز أهم المواقف في السيرة .

٣) طريقة القصة

وفيه يعرض المعلم الحدث على هيئة قصة تتلاءم مع الصغار ، وان كانت القصة في بنائها لا بد فيها من عقدة يبحث القارىء أو السامع عن حل لها . فان القصة في السيرة يجب أن نعمد فيها إلى المواقف والأحداث التي تكون تلك العقدة تكويناً طبيعياً لا إصطناع فيه ولا خيال ، وأن نثير التلاميذ نحو هذه العقدة ليبحثوا عن حل لها .

ويجب أن يبني المدرس قصته على عناصر ثلاثة :

أ ــ المقدمة وهي تمهيد قصير للفكرة التي في القصة يحاول المدرس عن طريقه أن يجذب التلاميذ اليه ، وأن يحرك مشاعرهم نحو المواقف التي سيعرضها عليهم ، وأن يشد إنتباههم نحو الموضوع ليحاولوا اكتشاف ما فيه عن رغبة وشوق .

ب ــ العقدة وهي في السيرة تمثل موقفاً من المواقف الصعبة التي واجهت الرسول صلى الله عليه وسلم أوأحد أصحابه . وتحتاج العقدة دائماً إلى حل ، والمدرس الناجح هو الذي يثير نفوس تلاميذه ليبحثوا معه عن الحل ، أو على الأقل يعيشون معه لحظة ترقب وشوق لمعرفة هذا الحل .

ج ــ الحل وهو في أي قصة معناه تحليل تلك العقدة وإنهاء المشكلة والخروج من المواقف الصعبة . وفي السيرة يكون الحل ببيان كيف تغلب الرسول

أو الصحابي على مواقفه الصعبة بياناً يتضح فيه الرمز الأخلاقي والنفسي والديني لدى الشخصية المتحدث عنها . وعلى المعلم أن يحيط بأبعاد القضية التي يرويها تاريخياً ونفسياً واجتماعياً ، والا يطيل في المقدمة ، أو يضخم في العقدة حتى لا يضيع منه الهدف الذي ينشده ، ومن المهم ملاحظة وحدة القصة وترابط عناصرها ، وعدم الخروج عن هذه الوحدة بالإنتقال إلى أحداث لا ضرورة لذكرها . وأن يتعرف على الشخصيات التي سوف يرد ذكرها مع رسول الله أو مع الصحابي الذي ستدور القصة حوله ، وأن يبين مواقف هذه الشخصيات ودورها في الأحداث التي يرويها .

ومن الأشياء التي يجب مراعاتها **اللغة والأسلوب** ، فاللغة يجب أن تكون عربية سليمة من غير إغراب أو تحوير ، والأسلوب يكون متلائماً مع أفكار التلاميذ ومستواهم . ومن الواجب أن يهتم المعلم بأحداث القصة قدر إهتمامه بشخصياتها ان لم يكن أكثر وأن يفكر في مواطن الإستجوابات التي قد توجه اليه من التلاميذ وأن يعتمد على وسائل الإيضاح ، ومن المستحسن أن يقلد بعض الأوضاع والحركات التي كان يقوم بها شخصيات القصة لينقل التلاميذ إلى جوهم الذي كانوا يعيشون فيه .

وكلما كان المدرس قريباً إلى نفوس تلاميذه ، كلما كانت قصته أوقع في نفوسهم ، لهذا يجب أن يتبسط معهم وأن يثير فيهم روح المرح والأنس وأن يتقرب منهم ويمكنه أن يدينهم منه حتى يكونوا كحلقة في مجلس سمر أو ناد. وزمن القصة في الصفين الأول والثاني يجب ألا يزيد عن ربع ساعة ، حتى يفسح المجال للاستجواب والمناقشة في الوقت الباقي من الحصة . واهتمام المعلم باستخراج الأفكار الأساسية وسماع القصة من التلاميذ لا يقل أهمية عن عرض

القصة نفسها . لذلك يجب عليه العناية بها وكتابتها على السبورة كلما أمكن ذلك .

٤) الأسلوب الذاتي

وفيه يعتمد المعلم على جهد التلاميذ ، بأن يرشدهم إذا كانوا في الصفوف النهائية من المرحلة الابتدائية إلي كتب مبسطة تناولت الموضوع الذي سيدرسونه ويطلب منهم قراءته وإعداده قبل الحصة بوقت كاف ، ثم يجري الدرس حوارا حول ما طالعوا . او يعد بطاقات بعدد الطلاب فيها الدرس المراد ، وتحت هذا الدرس اسئلة يطلب من التلاميذ الاجابة عليها . ويمكنه بعد ذلك ان يجعل الاهداف مركز الحوار بينه وبينهم . وهذه الطريقة من التدريس لا تصلح الا في الحلقة الاخيرة من المرحلة الابتدائية (الصف الثالث والرابع) او الخامس والسادس ، ويستحسن تطبيقها بالمرحلتين المتوسطة والثانوية .

٥) أسلوب المسرحية

المسرحية في الغالب تحتاج إلى جهد ووقت طويل للإعداد ، لذلك يمكن الاستعانة بها في تدريس الموضوعات الهامة من السيرة ويكون ذلك أيضاً في الصفوف الاخيرة من المرحلة الإبتدائية وهي تقوم على حوار بين التلاميذ . يمثل كل تلميذ شخصية من الشخصيات المراد دراستها ويحفظ دوره بعد كتابته من قبل المعلم وإعداده إعداداً يتلاءم مع مستوى التلاميذ وأعمارهم ، ثم يؤدونها في الصف بعد فهمها ومناقشة ابعادها .

ويمكننا أن نتصور درساً من دروس السيرة على هذا النحو :

١ ــ التمهيد للدرس تمهيداً مناسباً يهيىء أذهان التلاميذ ويحرك أفكارهم نحو موضوع الدرس .

٢ ــ عرض موضوع الدرس عرضاً قصصياً مشوقاً ، يبرز فيه المعلم مواطن العبرة في حياة صاحب السيرة من حيث مبادئه وأخلاقه ، وشخصيته ، وإرادته ، وتأثيره في المجتمع والناس . ومن المهم أثناء العرض أن يثير المعلم النواحي الوجدانية في التلاميذ . وأن يشيع الجو الروحي بينهم ، وأن يحرك في نفوسهم الرغبة في الإقتداء بصاحب السيرة ، وكلما استشهد المدرس بالآيات القرآنية والآحاديث التي تتصل بموضوع الدرس ، كلما كان ذلك أوقع في نفوس التلاميذ وأدعى إلى الاهتمام بالقرآن والسنة . ويجب أن يستشهد ببعض الأقوال المأثورة التي قالها صاحب السيرة التي يدرسها ،ولكن في حدود ضيقة تتفق وأفكار التلاميذ ومستوياتهم العقلية .

٣ ــ الاستنتاج :

ويحاول فيه المعلم أن يستنتج من التلاميذ جوانب العظمة والعبقرية التي اكتشفوها في الشخصية التي درسوها . وكذلك المبادىء والأهداف والعبر والعظات التي توصلوا اليها .

٤ ــ التطبيق :

ويكون بأسئلة واضحة وهادفة ، يراد منها اكتشاف مدى ما فهمه التلاميذ من الدرس . وأهدافه ، وتعميق المفهوم لديهم .

تدريس التهذيب

التهذيب : في معناه العام يعني « التربية » . وفيما نقصده هنا هو بناء الأخلاق وتقويم السلوك ، وإيقاظ الضمير ، وشحذ الهمم ، وتربية الإرادة على أسس إسلامية تؤدي نتائجها إلى وجود الإنسان المسلم الحق الذي يتحلى بأخلاق القرآن وآداب الإسلام ، ومبادئه في الاخوة والتسامح والعدالة والمحبة . وهكذا يوجد المجتمع المسلم الذي تهدف التربية الدينية بجملتها إلى بنائه وتكوينه .

أهداف التهذيب

١) تنمية الشعور الديني عند الطفل ، وتمسكه بالفضائل والأخلاق ، كما تنهاه عن الرذائل والعادات القبيحة والأمور التي تخالف الدين .

٢) تربي فيه روح الخير والتسامح ، وتعوده الثقة في النفس ، وقوة الاحتمال والصبر ، وضبط الانفعالات ، والتضامن مع الآخرين في سبيل الخير والتفاني في العمل ، واحترام الآخرين . لتتوفر له السعادة النفسية ، والأمن والرضا داخل مجتمعه .

٣) إبراز الاتجاهات القويمة أمام التلاميذ ليتمكنوا عن طريقها من تكوين علاقات إجتماعية سوية وناضجة ، أساسها الاخاء والتعاطف والتراحم

فيما بينهم ، وغايتها معرفة واجباتهم نحو الآخرين . من إحترام للحقوق ، وتقدير للمزايا ، ورعاية للصالح العام .

٤) تعلم آداب الزيارة والحديث ، وما يجب أن يتحلى به الفرد من أخلاق فاضلة سواء كان في البيت أو في المدرسة أو في الشارع ، وتعلّمه فضيلة الإستماع وحسن المناقشة والترفع عن الدنايا والقبيح من القول والفعل .

٥) المقارنة بين الأهداف والمبادىء التي يتمسك بها الناس في تعاملهم اليومي الآن ، وبين الأهداف المبادىء والمثل الإسلامية الحقة ، لنغرس في نفوسهم حب الدين والاتجاه اليه والارتواء من فيضه في العلم والعمل .

٦) إبراز ما في التراث الإسلامي من عظمة وحضارة وفكر . وما كان عليه رجاله من خلق وبطولة وفداء . ليعتزوا بهذا التراث ، ويحاولوا تقليد عظماء الإسلام والاقتداء بهم .

٧) بيان أن الحياة لا تستقيم إلا بالربط بين الروح والمادة . وأن الإسلام هو الدين الإنساني العام الذي جاء صالحاً للدنيا كلها ، ولكل زمان مهما اختلفت الأشكال والأجناس والألوان ، وبذلك ننمي في نفوسهم الجوانب الروحية ، والتمسك بتعاليم الدين .

والنفس الإنسانية بطبيعتها لديها الإستعداد للتكوين الخلقي لأن عامل المتعة والألم فيها موجود بالفطرة ، والأخلاق تحقق لصاحبها اللذة والمتعة حيث يكون مقبولا بين الناس مستعداً للقاء ربه . ولذلك لم تخل الشرائع الآلهية من التهديد بالنار والوعد بنعيم الجنة . والقوانين والشرائع الوضعية أيضاً تتضمن هذين الجانبين وعن طريق الأخلاق يتحقق الوعد الآلهي بالجنة ويأمن الإنسان سطوة القانون الوضعي فيصل إلى اللذة والمتعة . وبانتفاء الأخلاق أي خروجه على الأوامر الشرعية أو مخالفة القانون يتعرض للالآم والعذاب . والأطفال أكثر

إستعداداً للخضوع لهذين العاملين لذلك نادى جان جاك رسو ومنتسوري بمبدأ عقوبة الطفل ، العقوبة التي ترده عن المخالفة وتعود به إلى جادة الصواب ، والقصة في التهذيب يجب أن تشمل على بيان الثواب والعقاب وكيف ينال الطفل عطف المجتمع وتضامنه معه ، ولماذا يصبح البعض مكروهاً مبغضاً من الآخرين ومن خلال هذا السياق يعرض المعلم أوجه الثواب والعقاب عند الله وأسبابهما والطرق المؤدية اليهما . ولا يصح أن يكون العرض على هيئة أوامر ونواهي ، وإنما يجب أن يتضمن من الإيحاء مايؤدي إلى غرس هذه الأخلاق والمثل — التي أشرنا اليها في النقاط السابقة — في نفوس التلاميذ غرساً يجعلها تصدر عنهم بغير تكلف أو رياء ، لأنهم إذا أدركوا قيمتها الروحية ونسبتها إلى الله الذي هو وحده العالم بهم وبكل أعمالهم ، امتلأوا بحب هذا الخالق العظيم ، وشعروا بضرورة الرجوع اليه عند الشدائد . وأخضعوا نوازعهم لرقابة الله طمعاً في محبته ورضاه لا عن خوف ورهبة .

إذا استطاع المعلم إبراز هذين الجانبين ، حب الله ، وحب المجتمع ، فإنه بذلك يكون قد وصل إلى الغاية المرجوة من دروس التهذيب . وحقق مبدأ إسلامياً عظيماً وهو ربط العقيدة بالعمل .

وأرى من المفيد في هذا المقام أن أبين بعض الأشياء التربوية التي تساعد على جعل دروس التهذيب أكثر فائدة ، وأصدق وقعاً في تربية النشيء ، وتنظيم اتجاهاته الأخلاقية بعيداً عن الانفعالات اللاإرادية ، أو التقليد السيء لحضارات ونظم مستوردة لا تقترب ولا تتشابه مع الإسلام في شيء .

أولا إيمان المعلم برسالته ، ومعرفته للدور القيادي الذي يقوم به في بناء الأجيال حيث يشكل هو أعظم قاعدة أخلاقية وإنسانية في حياة أمته وفي نفوس تلاميذه ، فهو بالنسبة للأمة المخترع العظيم الذي في معمله تبنى الرجال ، وتفتح العقول ،

وتحدد الاتجاهات . وبالنسبة لتلاميذه فهو القدوة الفعالة والمؤثرة لفترة طويلة شاء ذلك أم أبى . لذلك يجب عليه أن يزن تصرفاته وأقواله بميزان الحكمة والصدق ، حتى يرى فيه تلاميذه صورة الإنسان الذي ننشد تكوينهم على مثاله ، وليعلم أن كل حركة وسكنة محسوبة عليه ، فالطفل أشد نقداً وأصدق نظرة لمعلمه من أي شيء آخر في حياته . فإذا ما ارتكب هذا المعلم حماقة أياً كان حجمها فان الطفل سوف يتأثر بها ، ويكون تأثره في الغالب ذا ابعاد لا تنحصر في دائرة المدرسة والمعلم ، وإنما تتعدى ذلك إلى المجتمع وإلى حياته العملية والخلقية ؛ فليحذر المعلم أن يكون سبباً في فساد إنسان وانحلال مجتمع ؛ وانهيار أخلاق . وليضع قاعدة لنفسه في الملبس ، والمأكل ، والمشرب والقول والفعل داخل المدرسة على الأقل . إن لم يكن في حياته كلها . وليس ذلك بعسير إذا ما عرف المعلم أنه صاحب رسالة ؛ وأصحاب الرسالات يمتازون بصفات أخلاقية معينة . وإذا ماعرف المعلم أيضاً أن الطفل الذي يربيه مفطور على المحاكات والتقليد . وأن أول من سيقلده هو معلمه. فعليه أن يوجه نفسه إلى كل ما يريد أن يربي عليه أطفاله من أخلاق وعبادات ومعاملات ومثل ، حتى يصدر درس التهذيب من صميم نفسه عن قناعة ويقين ، وحتى لا يكون أمام تلاميذه أشبه بالمهرج الذي يقول ما لا يفعل ، وبالتالي سيعود أطفاله الملق والنفاق والغش والخداع ، وعدم اليقين بأي شيء ، حتى تهتز في عيونهم صور اليقين نفسه ، وبهذا نشاهد مجتمع اللامبالاة والشك والحيرة . ولست أجد مسئولا عن ذلك إلا المعلم بالدرجة الأولى والأسرة بالدرجة الثانية ، وليس لغيرهما دور في ذلك إلا بدرجة تشبه اللقاء العابر في حياة الناس .

ثانياً تلك التربية التي تفسح المجال للطفل ليمارس بالفعل العادات والاتجاهات

والاخلاقيات والنظم والافكار التي يتعلمها في دروس التهذيب : وخير طريق لذلك النشاط المدرسي ، فقيام الطفل بالعمل في جمعية المدرسة يعلمه التعاون أفضل من عشرين درساً وكذلك اشتراكه في فريق من فرق الكرة بالمدرسة أو ممارسته رياضة ما من الرياضات التي تقوم على تعاون الجماعة ، وكذلك فان عشرات الدروس في الآمانة ومئات الأمثلة من الأمناء، لا تعادل قيام التلميذ بأمانة الصندوق لجمعية مدرسية من قبل الطلاب بشكل دوري ، وقيام بعض التلاميذ بجمع الزكاة أو الصدقة من أهل الخير والاشراف على توزيعها إلى من يستحق ، تربي روح الخير والعطف على الآخرين ، أفضل من مائة درس والف رواية عن فعل الخير وأثره . ويمكننا عن طريق المشاركة الفعلية للتلاميذ في مثل هذه الأمور أن نكتشف جوانب الخطأ في تربيتهم المنزلية ، وأن نعمل على معالجتها بزيادة الرعاية وحسن التوجيه إلى ما تهدف اليه المدرسة وينشده المجتمع ، وبإمكان المدرسة فعلا أن تمحو إساءة البيت . ان أخلص القائمون بالأمر ، وكانوا هم مثالا أفضل مما شاهد التلاميذ في منازلهم . وهذا يقتضينا أن نبين بعض المواقف التي تؤدي إلى عكس ماتهدف اليه التربية . مثل سوء الظن بالتلاميذ واعتبارهم دائماً غير أهل لتحمل المسئولية ، فان ذلك بطريق غير مباشر يحملهم على اليأس والاشمئزاز من العمل ، وبالتالي يربي فيهم روح التحدي والخيانة والعنف . فعلينا أن نمنحهم ثقتنا ، ونوليهم عطفاً يقربنا إلى قلوبهم ، ونأخذ المتهم منهم بالنصح الانفرادي في حزم لا يشعر فيه بالتحدي ، وبصبر لا يدرك من خلاله التهاون أو الضعف وبهذا يمكن علاج النفوس المرهفة بلا جرح لهـا ، واكتشاف النفوس الأخرى التي لا ينفع معها التلميح أو التصريح ، فننتقل معها إلى مرحلة الحرمان من النشاط ومن مساعدة الجماعة في بعض المواقف ويمكن أن يشتد العقاب أكثر من ذلك إذا لم تُجدِ هذه الطريقة وهذا رأي علماء التربية بالنسبة للأطفال منذ عصر « القابسي » . حتى عصرنا

هذا . ويجب أن نسير فيه على طريق من النضج يتفق وحاجات العصر ، وما تنشده التربية الاسلامية من بناء الروح والجسد . وما نعتبر الأمر فيه إلى التهذيب أوقع من أي درس آخر من دروس المدرسة .

ثالثاً التعليم المباشر والمعروف لدى المعلمين. وأفضل ما يكون في التهذيب عن طريق القصة التي تتخللها الآيات والآحاديث النبوية والأمثال والحكم والمواقف التي تقرب السلوك الأخلاقي الذي ننشد تعليمه للطفل من الواقع الذي يعيشه ويحياه ، وعلينا أن ننتهز الفرص والمناسبات ، كأيام شهر رمضان ، لنعلمهم الصدق والأمانة والعطف والرفق بالآخرين ، وأن نبين لهم أن الله وحده هو الرقيب علينا في كل قول وفعل . وان خفي على الناس أمرنا . وكذلك في الأعياد وفي الحج وفي المناسبات الوطنية كل موقف بما يتفق معه من الصفات والاخلاق التي نريد أن تصبح سلوكاً لدى تلاميذنا . ولا يخفى علينا أن ارجاع الأمور إلى أصلها وهو الله سبحانه وتعالى يؤدي إلى خشوع القلوب وتهذيب الأرواح لذلك يجب أن نركز على بيان حكمة الله في كل شيء وأن الخالق سبحانه ما خلق الكون إلا ليكون دليلا عليه . وأن كل فعل يخرج عن هذه الدائرة فهو ساقط وعبث . والطفل مولود على تلك الفطرة وتقبله لها أيسر من تقبله لأي أمر آخر .

طرق تدريس التهذيب

١) طريقة السرد في التهذيب

وهي طريقة يعمد فيها المعلم إلى شرح الدرس المقرر على التلاميذ شرحاً يتفق مع مقدمة الدرس ونهايته ، محاولا بيان الهدف منه ومظهراً للاخلاق الفاضلة التي جاءت به . فإذا ما إنتهى من شرحه بدأ في توجيه الأسئلة

إلى التلاميذ ومناقشهم في إجابتها ، ثم يسجل على السبورة الأهداف والقيم التي أدركها التلاميذ والتي استنتجها من أجوبتهم ، وهذه الطريقة وان كانت سهلة بالنسبة للمعلم إلا أنها لا تحقق المقصود من التدريب العقلي ومشاركة التلاميذ في استنتاج الأفكار والمعاني ، ولا تنمي فيهم جانب الخيال وأعمال الفكر .

٢) طريقة المناقشة والقراءة

وفي هذه الطريقة يعلن المدرس عنوان درسه ويطلب من التلاميذ — بعد التمهيد له تمهيداً يبين الغاية منه — يطلب قراءته إن كانوا في الحلقة الاخيرة من المرحلة الابتدائية ، ثم يدير المناقشة والحوار بينهم ليصل إلى أهداف الدرس وأفكاره ومعانيه من أفواه التلاميذ ، فإن كانوا في الحلقة الأولى ، قام هو بقراءة الدرس قراءة نموذجية وهم يتابعونه حتى إذا ما انتهى من القراءة بدأ في الحوار والمناقشة واستخلص النتائج التي يريدها من إجابات التلاميذ ، ومع ملاحظة أن يتوقف معهم عند كل قيمة أخلاقية ويجعلهم يرددونها لتثبت في أذهانهم . وعلى الرغم من أن هذه الطريقة أفضل من طريقة السرد إلا أن طريقة القصة تعد أفضل .
ويمكننا عرض درس من دروس التهذيب بهذه الخطوات :

١) التمهيد :

وفيه يلمس المعلم شيئاً من واقع الحياة يتصل بالدرس . أو يروي قصة صغيرة من قصص الأنبياء أو الشهداء أو الأبطال ، أو يذكر سبب نزول آية ثم يتلوها على التلاميذ ، وبعد ذلك ينتقل إلى جوهر الدرس . وان كان الدرس يتعلق بشيء عملي كالصدقة والبر بالوالدين والعطف على الضعيف ومساعدة المحتاج ، جعل التمهيد موضحاً لأهمية هذه الأعمال

وقيمتها عند الله والناس ، وذلك ليهيئهم لموضوع الدرس ، ويوجه اهتمامهم إلى الأهداف التي يريد إيصالها اليهم .

٢) موضوع الدرس .

ويكون كما ذكرنا في معظم دروس التهذيب عن طريق القصة ، ولكنه يجب أن يكون حافلا بالاسئلة والمناقشة فيها ، ومحاولة إعادة القصة من بعض التلاميذ ، والبحث عن عنوان لها أو لغيرها من القصص الشبيهة ، وكلما استعان المعلم بتسجيل بعض الأفكار والأهداف على السبورة وطلب من التلاميـــذ تسجيلها في دفاترهم ، كلما كان ذلك أثبت للمعلومات وأوفى للوصول إلى الغرض من الدرس ولو كان في سياق الدرس حديث أو آية أومثل أو حكمة فيجب أن يطلب من التلاميذ كتابتها والاحتفاظ بها ومراجعتهم في فهمها وحفظها كلما جاءت مناسبة تتصل بها .

٣) التطبيق :

وهو على قسمين : نظري وعملي :

اما النظري فيتعلق بوضع أسئلة تحرك الفكر وتخاطب الوجدان ، يتبين المعلم من خلال إجابات التلاميذ عليها مقدار فهمهم للدرس وتأثيره في أفكارهم واتجاهاتهم . وعليه أن يلاحظ أن تكون هذه الأسئلة لها صلة كبيرة بخبرة التلاميذ ومستوياتهم العقلية والتعليمية وأن يتدرج معهم فيها من الأسهل إلى الأصعب ، ومن الملموس إلى العقلي وهكذا حتى يتم له الوصول إلى المحتويات كلها .

واما العملي فيتمثل في ملاحظة سلوك التلاميذ في الصف وخارجه

وتذكيرهم بالأخلاقيات التي ساقها اليهم في آداب المعاملة والسلوك ومحاولته تقويم المعوج منهم تقويماً يشعر فيه التلاميذ بأنه مساق اليه بالمحبة والود والإنقياد للمثل والقدوة . ويالروعة ذلك المعلم الذي يعد مفكرة يكتب فيها أسماء تلاميذه ويدون فيها الملاحظات الأخلاقية والسلوكية على كل منهم ، ولا يجعلها مصدر تهديد وتخويف ، وإنما يجعلها بطاقة علاج وإشراف كبطاقة الطبيب لمتابعة مريضه ، وكلما حانت مناسبة ضرب الأمثلة بالقدوة منهم ليكون ذلك حافزاً على أن يقلده الآخرون ويحاولون محاكاته . ولا شك أن هذا الجهد إنما هو إلى الله ينتظر منه وحده الأجر والثواب ، ولا يعلق فعله هذا على رأي الإدارة أو المسئولين ، وإلافلن يكون إلا كمن يصلى ليراه الناس يصلي . وهو في النهاية لن يحصل على شيء لا من الله ولا من الناس . والتربية عموماً كالعبادة الروحية الخالصة التي لا سلطان لأحد على القائمين بها وإنما مردهم إلى الله وحده . فإذا ما أخلص المعلم واجتهد فيما يعمل كان كهذا المتعبد الأواب الذي يقول في كل شيء وعلى كل شيء يا رب . يا رب لك وحدك أوجه قولي وفعلي .

٤) التقويم :

وفيه يحرص المعلم على متابعة التلاميذ متابعة لا تتعلق بالمحفوظ والمفهوم. وإنما تتصل بالقيم والأهداف التي ينشدها المنهج ، ويخطط لهـا المعلم في كل درس من دروسه .

تدريس الحديث

أهمية دراسته :

١) اتفق علماء الإسلام على أن الحديث الشريف هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، أي يلي « القرآن » المصدر الأول مباشرة والمتتبع لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد أنها في جملتها ذكرت في مواقف تربوية وأخلاقية واجتماعية ، وأنها تمتاز بالسهولة والواقعية ، يدرك مغزاها العالم والجاهل ، الكبير والصغير . وأسلوبها بلغ من الفصاحة والدقة ما جعلها سهلة التناول والحفظ . وقد عالج فيها الرسول مشكلات الحياة بمختلف أنواعها. ففيها وصف دقيق لحياته وحياة أزواجه وصحابته والمسلمين من جند وتجار وزراع وصناع ، أغنياء وفقراء ، كبار وصغار ، رجال ونساء وأطفال . وهذا يجعل من الحديث وسيلة تعليمية سهلة لأحكام الشريعة الإسلامية . ولمنهج الرسول وأصحابه في المعاملة والسياسة والأخلاق .

٢) نرى في احاديث رسول الله كل ما يحتاجه الانسان لتربيته الروحية والخلقية والنفسية ، وذلك لأنه يخاطب العقل بالحجة والبرهان ، والروح بالعاطفة والاثارة والترغيب والترهيب . والنفس بما يدفعها نحو الكمال والأمان والإطمئنان للحاضر والمستقبل ، وهذه الجوانب هي ما يبحث عنها

كل إنسان سواء كان مؤمنا أو غير مؤمن ، يعبد الله على حرف ، أو يعبده على ثقة ويقين . والطفل أطوع المخلوقات لتقبل هذه الأشياء لأنها تتفق وفطرته التي فطر الله الناس عليها وجعلها في أصل تكوينهم قبل أن تصنع فيهم الحياة صنيعها من تغيير وتزييف ومكابرة . لذلك كان تدريس حديث رسول الله للطفل عملا يتفق ورغباته ويحقق في الوقت نفسه الربط بين العقيدة والعمل والأخلاق .

٣) القرآن الكريم دستور الله لبني الانسان ، لا يختص بقوم دون قوم ، ولا بزمان دون زمان ، لذلك كانت أحكامه مجملة تحمل من الاشارات والرموز ما يفسح المجال للعقل الإنساني للتفكر والتدبر والإبداع ، وحديث رسول الله يفسر لنا كثيراً من هذا المجمل ، ويوضح لنا ما ليس في قدرتنا إدراكه ومعرفته ويقوم بالترجمة العملية والواقعية لأحكام القرآن وتعاليمه فهو إذن في أغلبه شرح وتحليل للقرآن الكريم . لذلك كان تدريس الحديث محاولة معرفة التطبيق العملي لأحكام القرآن .

٤) ومع أن قضايا العصور تختلف باختلاف الناس واختلاف أحوالهم المدنية والصناعية والفكرية ، فاننا نجد أن حديث رسول الله في الأمور العامة يتفق مع عصره الذي كان يعيش فيه ومع العصور التي تلته حتى عصرنا الذي نحن فيه . وهذا يعطينا القدرة على بيان تلك المعجزة النبوية للأطفال مما يحملهم على تقدير الرسول وحبه والتعلق به عبادة وسلوكاً وخلقاً . ويحقق الأمر الآلهي باتباع الرسول في كل شيء كما جاء في قول الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) [1] وقوله (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب

(١) من سورة الحشر آية ٧ .

اليم)[٢] فاتباع الرسول شرط للايمان ، وتعليم الأطفال كيفية اتباعه كمال للايمان . لهذا يجب أن يدرك المعلم هذه الاهداف وأن يقصدها في درسه قصداً مشمولا بالمعرفة والاعداد والتنظيم .

٥) تعد أحاديث رسول الله موسوعة كاملة للتراث الاسلامي ولا يمكن أن يبني الفرد المسلم بناء سليماً إلا إذا أدرك قيمة هذا التراث وأثره في نفسه وفكره وحياته ومستقبله . وان كانت النظم الحديثة في الدول الغربية والشيوعية تضع شعارات وعبارات محددة ليحفظها أطفالهم وليتخذوا منها نموذجاً لحياتهم ، فأولى بنا نحن المسلمين أن نتخذ من أعظم قول ورد على لسان خير البشر أجمعين ، أن نتخذ من ذلك شعاراً لنا ولأبنائنا نعتز به ونقدسه ونجله في كل مناسبة وفي كل موقف . وحديث رسول الله يعد من جوامع الكلم ، والوقوف عليه لفظاً ومعنى يؤدي إلى بناء خلق الأطفال وفكرهم ولغتهم ، ويقوى أسلوبهم ويهذب أرواحهم ووجدانهم . لذلك كانت فوائد تدريس الحديث متعددة ، والاهتمام به في مدارسنا يحقق غايات كثيرة .

٦) يدرك الأطفال منذ الصغر قيمة الكلمة في حياتهم ، وفي مواقف كثيرة تراهم يثورون ويتمردون لأن كلمة ينفرون منها قد وجهت اليهم أو وصفوا بها ، كما نلمس سعادتهم وشعورهم بالرضا لأن البعض خاطبهم بما يرضي غرورهم ويرفع من قيمتهم أمام أنفسهم . ومن هنا نستطيع أن ندرك أثر الكلمة في التعلم وتربية الأخلاق وتوجيه السلوك إلى الوجهة

---

(٢) من سورة النور آية ٦٣ .

التي ننشدها في مجتمعنا الإسلامي وأفضل ما يمكن أن نستغله في هذا الجانب هو حديث رسول الله وخاصة فيما ورد منه في مواقف تتفق وحاجات الطفولة ومشاكلهم الأسرية والاجتماعية .

طرق تدريس الحديث

١) التمهيد :

ويكون بربط موضوع الحديث بواقع الحياة بصورة تتفق ومدركات الأطفال ، وجعله مع الدروس السابقة يشكل وحدة فكرية تتصل بفرع من فروع العبادات أو العقائد وكلما كان التمهيد على شكل قصة متضمنة أسباب ورود الحديث كلما كان ذلك أوقع في نفوس التلاميذ وأدعى لوضوح الموقف الديني الذي نريد تثبيته في أذهانهم .

٢) القراءة الصامتة في الصفين الثالث والرابع. ويجب فيها على المعلم أن يتيح الفرصة للتلاميذ ليتأملوا الحديث لفظاً ومعنى ، وأن يناقشهم في مفاهيمهم بعد القراءة الصامتة مباشرة ليثير فيهم النشاط الذاتي ، وليعودهم الاعتماد على النفس ومتابعة كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا في رأي علماء التربية – يؤدي إلى الفهم العميق القائم على الربط بين خبرات الطفل وتفاعله الذاتي . ويستحسن قبل بدء القراءة الصامتة أن يخبرهم المعلم أنه سوف يناقشهم في مضمون القراءة وما تحويه من المعاني والأفكار والأساليب والأهداف حتى يحرك فيهم دوافع الدقة والإتقان ويثير بينهم المنافسة .

٣) القراءة النموذجية من المعلم .

ويجب دائماً أن تكون قراءة متميزة بسلامة النطق وصحة الشكل وفصيح

الأداء ، والوقف عندما يجب الوقف عليه ، والفصل والوصل في موضعه ، حتى تكون قراءة المعلم فعلا متميزة على قراءة التلاميذ ليصح الإقتداء بها ، وليكون هو في نظر أبنائه القدوة والمثل .

٤) القراءة الفردية من بعض التلاميذ .

وعلى المعلم أن يتابع معهم بدقة ، وأن ينبه على الأخطاء التي يقعوا فيها ، ويعمل على تلافيها عن طريق المناقشة وبيان الصواب . حتى نحقق الغاية التربوية من القراءة (ضبط الألفاظ ، تقوية الأسلوب ، الحفظ ، التمرين الفهم) واستخدام السبورة في كتابة العبارات المصوبة في هذه الحالة يفيد كثيراً ، ويؤدي إلى تمرين الأطفال على اكتشاف الصواب بأنفسهم .

٥) المناقشة في مضمون الحديث ومعاني الكلمات والاساليب والأفكار التي نبه عليها المعلم عند القراءة الصامتة .

٦) الشرح :

ويبين فيه المعلم المعاني والأهداف والمقاصد التي يتضمنها الحديث وعليه أن يقسم الحديث إلى فقرات ، ويسأل التلاميذ عن كل فقرة ، ثم يدون ما يرشد اليه الحديث على هيئة عبارات واضحة وموجزة ، وكلما حرص المعلم على إعداد أسئلة هادفة تشمل كل جوانب الحديث ، كان ذلك أهدى له في الوصول إلى الهدف من الدرس عن طريق المناقشة والاستنباط من التلاميذ ، وكان الطريق أمامه واضحاً ليوسع مدارك التلاميذ ، ويجعلهم يعيشون مع صاحب الحديث عليه الصلاة والسلام ومع أفكاره وتعاليمه الإسلامية .

٧) المراجعة والتوجيه والإرشاد .

وعلى المعلم أن يعد أسئلة خاصة بها ، يكون القصد منها اثارة عواطف التلاميذ وتحريك مشاعرهم نحو العمل بما جاء في حديث رسول الله من مبادىء وأهداف ، ليتحقق لهم الثواب من الله والسعادة في الدنيا والآخرة .

٨) التعرف على ما يجب حفظه من الأحاديث .

ويكون بمراجعة ما يجب حفظه من الأحاديث التي تشتمل على بعض أركان الإسلام ، أو تتعلق بأحكام هامة في المعاملات والأخلاق ، والاهتمام بذلك في نهاية كل درس ، يساعد على تثبيت ما استحفظ منها ، ويفسح المجال للتفكير والتأمل في معانيها وأهدافها .

أثر الوسائل المعينة في تدريس الدين

إتفق علماء التربية على أن الحواس لها تأثير كبير في إدراك الأشياء وأن الشيء المحسوس يصل إلى الفهم من أيسر طريق، ولكن غير المحسوس يحتاج إلى جهد وعناء حتى يفهمه الانسان .

والطفل بطبيعته غير قادر على البحث والتنقيب وراء الخيال ، لذلك كان تعليمه كلما كان معتمداً على الحواس كان أيسر وأسهل في إيصال المعلومات اليه . وفوق هذا فان استخدام الوسائل يبعث في نفوس الأطفال الشوق والرغبة للدرس ، ويجسم المعاني أمامهم فيجعلها ملموسة ، ويساعد الطفل على تنمية خبرته وربط ما لديه من تصورات بالواقع المحس في الحياة .

ويمكن أن نعرف قيمة الوسائل التعليمية إذا تبينا طبيعة الادراك عند الانسان ، ذلك الادراك الذي يقوم على النشاط النفسي للفرد ولا دخل لملكة العقل أوالاحساس فيه ، بل هو في الغالب يمثل عملية تعرف الفرد على العالم الخارجي ليتمكن من التوافق مع البيئة التي يعيش فيها ، والمعرفة والتوافق نتيجتان هامتان للادراك . لأننا بالادراك نفهم الاشياء والاحداث . وحين ندرك نترجم الانطباعات التي تحدثها المثيرات من بيئتنا إلى وعي بالاشياء والاحداث . وفضلا عن ذلك فان الاشياء والاحداث التي نعيها وثيقة الصلة بحياتنا العقلية ، فنحن

تنشيء الاشياء والاحداث بواسطة عملياتنا الحسية؛ والحواس هي وسيلة اتصالنا المستمر بهذه الاشياء والاحداث؛ فالعين والاذن والنهايات العصبية تحت الجلد التي تستجيب للضغط والحرارة والبرودة ، والتي في اللسان وتستجيب للطعوم المختلفة ، والتي في الانف وتستجيب للروائح المختلفة هي الوسائل أو المنافذ التي يتم عن طريقها جميع أنواع التعلم . وهكذا فان إدراكنا للاشياء والاحداث من حولنا في النهاية تتابع لعملياتنا الادراكية الحسية ، ويتضمن ذلك كثيراً من الانتقاء والتنظيم لما ندركه على نحو معين . وتتميز كل الادراكات بوجود **الخبرة الحسية** . فالخبرة الحسية المرئية تتكون من آلاف الخصائص البصرية المتنوعة ، وتشتمل هذه الخصائص على الالوان المختلفة من أحمر وأصفر وأزرق وأخضر وغير ذلك من الالوان التي تنشأ من امتزاج بعض هذه الألوان أو غيرها بدرجات تتفاوت بين اللون الغامق والفاتح والزاهي والباهت . وبالمثل في حالة السمع توجد أنغام وضوضاء في صور عديدة تختلف في علوها وانخفاضها ، وتستطيع الاذن السليمة أن تميز أكثر من عشرة آلاف صوت مختلف ، وفيما يتصل بالذوق يوجد الحلو والمر والمالح والحامض والحريف ، بالنسبة للشم فهناك روائح الازهار والفواكه والتوابل ورائحة الدخان والروائح المميزة للاشياء الفاسدة وغير ذلك من الروائح المميزة الاخرى ، وكذلك بالنسبة للمستقبلات الحسية للجلد واعضاء الجسم الداخلية ، إذ نحصل عن طريقها على خبرات حسية معينة كالضغط والألم والدفء والبرودة . وتعتمد كل هذه الخصائص المتفاوتة للخبرة الحسية على أعضاء الحس وعلى الجهاز العصبي في الجسم ، وهذه الخبرات الحسية هي أساس معرفتنا للعالم من

حولنا ، وبغيرها لا يمكن أن ندرك أو نعي أي شيء ، والوسائل التعليمية البصرية والسمعية أدوات وطرق يمكن بواسطتها أن نوفر للتلاميذ مثل هـــذه الخبرات الحسية الضرورية للتعلم [1]

ولاشك أن الوسائل التعليمية تنمي الخبرة وتساعد على عمق الفهم واتساع دائرة التفكير ، وخاصة عند الاطفال الذين هم في الغالب يستقبلون الاشياء بصورة كلية غير واضحة الابعاد في أذهانهم ، فإذا إستطاع المعلم أن يحللها لهم ويربطها بعضها ببعض عن طريق الوسيلة ، فانه بذلك يساعدهم على بناء خبرة واقعية قائمة على ادراك الاشياء والاحداث في بيئتهم الخارجية ، وهذه الخبرة هي أساس التفكير والنشاط العقلي ، وأثرها في عملية التعلم متصل ودائم في جميع مراحل التعلم .

واستخدام الوسائل بمهارة يساعد في توفير خبرات غنية وخصبة تـــدفع التعلم وتجعله مثمراً . كما أنها تقوي جوانب الدافعية عند المتعلم وتتلاءم مـــع ميوله واتجاهاته . وهي تساعد على التركيز والانتباه ، وتثير النشاط العقلي الذي يحول دون تشتت أذهان التلاميذ وانصرافهم إلى أحلام اليقظة أو العبث وأثارة الشغب.

ومن الوسائل المفيدة في التربية الدينية

١ ــ التسجيلات الصوتية :

وقد بينت في موضوع تدريس القرآن الكريم . أن الفاظ القرآن وأساليبه وطريقته في الاداء من اعظم وادق ما عرف من اساليب الكتابة ، لذلك كانت القراءة الصحيحة لآيات القرآن الكريم هي وحدها التي توضح معناه وتبين

---

(١) انظر الوسائل التعليمية ص ٥٤ وما بعدها للدكتورين احمد خيري كاظم ، جابر عبد الحميد جابر .

أعجاز أسلوبه ، وهناك علم قائم بذاته يسمى (علم القراءات) أنشأه العلماء للتعرف على الاوجه الصحيحة لقراءة القرآن. فإذا ما قام المعلم بتسجيل الآيات من المصحف المرتل مثلا واستمع هو وتلاميذه أثناء الدرس إلى التلاوة فانه بذلك يساعد الاطفال على التعرف على كيفية القراءة مع المد والوقف والفصل والوصل وغير ذلك . وعلى المعلم قبل البدء في إذاعة الآيات المسجلة أن يكتبها بخط واضح على السبورة ، أو على لوحة ويعلقها في مكان بارز أمام التلاميذ ، ثم يقرأها قراءة نموذجية أكثر من مرة وبعدها يبين المعنى الإجمالي والتراكيب الصعبة والمفردات الغريبة عليهم ، ثم يطلب إلى المجيدين منهم قراءتها وأثناء متابعته للقراءة عليه أن يلاحظ أخطاءهم وأن يرشدهم إلى الصواب ، وهنا يأتي دور المسجل فينبههم المعلم أنهم سوف يستمعون إلى قراءة ممتازة وأن عليهم أن يتابعوا المسجل بقراءة صامتة دون أن يحركوا شفاههم فإذا ماانتهوا من الاستماع وضح لهم قواعد القراءة الجيدة على ضوء ما سمعوا من التسجيل .

٢ — المصورات الجغرافية .

وهي مفيدة في دروس السيرة والغزوات ، حيث أنها تبين الاماكن التي جرت فيها المواقع الحربية والتي كانت مهد الرسالة المحمدية ونزول الوحي وعاش بهاأبطال الاسلام. وعلى المعلم أن يجعل من الوسيلة أداة للتشويق والترغيب في مادة الدرس . ويكون ذلك بأن يطلب منهم التعرف على بعض الاماكن المشهورة في الخريطة المعروضة عليهم . ثم ينتقل معهم إلى المكان المقصود وعنه يبدأ الحديث في الدرس نفسه . وللمصور الجغرافي أهمية في موضوع مثل أعمال الحج ومناسكه . فانها لا تتضح في أذهان التلاميذ إلا إذاارتبطت بما يدل

عليها واقعياً ، وكذلك بالنسبة للغزوات ولهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ ــ النماذج المجسمة :

وهي في الغالب تقوم على نشاط التلاميذ واستغلال ميولهم ورغباتهم ، وعن هذا الطريق يمكن أن نأتي لهم بنماذج تتعلق بمناسك الحج كالكعبة والصفا والمروة وجبل عرفات ونشرحها لهم ثم نطلب منهم أن يصنعوا مثلها ، ويا حبذا لو اشترك أساتذة التربية الفنية في مساعدة الأطفال على القيام بذلك ، ويمكن أيضاً عمل نماذج تبين أعمال الصلاة والوضوء ومساعدة الضعفاء ومعاونة المحتاجين .

٤ ــ الصور والرسوم :

ويمكن عن طريقها عرض أركان الوضوء كأن نأتي بصور مختلفة تعبر كل صورة منها عن عمل من أعمال الوضوء ونرقم هذه الصور ونكتب عليها العبارة الموضحة لما في الصورة كالنية أو غسل الوجه وغير ذلك مما تتضمنه عملية الوضوء، وتعرض الصور متتابعة على التلاميذ . وبعد العرض يمكن للمعلم أن يستغل الصور أيضاً في معرفة ادراك التلاميذ لاركان الوضوء بأن يخفي الكتابة عنهم ويسألهم على ما تدل عليه الصورة . وكذلك يمكنه نزع الارقام ووضع الصور غير مرتبة ويطلب منهم ترتيبها . وتكرار هذه العملية يساعد على التعرف على عملية الوضوء، كما يمكن اتباعه أيضاً في دروس الصلاة . وفي بيان معاني القرآن ، وموضوعات التهذيب كالنظافة ، والاحاديث النبوية .

فلو أردنا توضيح معنى قول الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) وأحضرنا صورة لسنابل القمح وبينا عليها أن الله يزيد أجر المنفق في سبيله إلى سبعمائة مثل كما

أنبت من الحبة سبعمائة حبة لكان ذلك أوقع في نفوس التلاميذ وأدل على المعنى . وكذلك لو أحضرنا صورة تمثل المغتاب وهو يأكل لحم إنسان ميت فاننا نبين مقدار ما في الغيبة من بغض ونفور الله والانسان منها . وغير ذلك من الامثلة الكثير الذي يمكن التعبير عنه بالصور والرسوم. والمدرس النابه الذي يؤدي مهنته بحب وشغف يستطيع أن يبدع الكثير في هذا المجال .

٥ ـ السينما :

وعن طريقها يمكن تدريس كثير من دروس التربية الدينية كدروس العبادات اذ يمكن أن تصور أعمال المصلي أو الحاج أو المتوضىء خطوة خطوة ، ويعرض ذلك كله بواسطة شريط سينمائي ، ويمكن للمعلم أن يبدأ الدرس بشرح نظري لاعمال الصلاة يعتمد فيه الى حد ما على معلومات بعض الاطفال ثم يكمل ما ينقصهم من معلومات عن طريق التوضيح والمناقشة معهم ، وبعد ذلك ينتقل الى قاعة العرض السينمائي فيشاهدوا معا كل ما يتصل بالدرس وبعد العرض يقوم باستجوابهم عما شاهدوه ويناقشهم فيه من الوجهةالتحصيلية والفكرية . ولا شك أن هذا يساعد التلاميذ على ادراك أركان العبادة التي يشاهدونها ادراكا يجعلهم وكأنهم يمارسونها بالفعل .

٦ ـ التمثيليات :

وهي من أقوى الوسائل في التربية الدينية ، لأن التلاميذ يعشقون تقليد الآخرين ، والمحاكاة عندهم فوق انها طبيعية في هذا السن فانها محببة الى نفوسهم ، واستغلال هذه الرغبة فيهم تؤدي الى وصول المعلومات اليهم وثباتها في أذهانهم من غير عناء ولا تعب ، ويجب أن تكون هذه التمثيليات قصيرة خالية من التعقيد والاغراب في العقدة ، وأن يحرص المعلم على أن تكون

المواقف فيها دالة على ما يريد ايصاله اليهم من أهداف وأن تحتوي على النقاط الهامة في الدرس . ونحن نعلم أن التمثيل يعلم الاطفال الشجاعة والقدرة على مواجهة المواقف ، ويدرب لسانهم على الفصاحة ، ويثير في نفوسهم الرغبة ، ويبعث نشاطهم ، ويجعلهم يتمثلون مواقف التمثيلية باندماجهم في ادوارهم أو في المشاهدة ومتابعة الممثلين فيما يقومون به .

٧ — القصص :

وقد سبق الحديث عن ذلك بالتفصيل في أساليب تدريس السيرة وفي التهذيب وأحب أن أشير هنا الى أن المدرس يمكنه أن يجعل أشخاص القصة من التلاميذ وأن يدير الحوار بينهم ليصل الى ما يريد ، بشرط ألا يسيء الى أحدهم أو يضعه في موقف يلتصق به ويكون سببا في اتهامه أو وصفه بما لا يحب . وبعد أن يعرض المدرس القصة بأسلوب واضح لا يرتفع فيه فوق مستوى التلاميذ ، ولا يتدنى الى مخاطبتهم بأسلوب العامة . يعود فيسألهم أسئلة تتعلق بأهم مواقف القصة ، ويتدرج معهم بهذه الاسئلة ليصل من خلالها الى الاهداف التي ينشدها من الدرس ، وعليه أن ينظم أسئلته من قبل وأن يعدها اعدادا يحقق الغاية المرجوة من الموضوع الذي يدرسه . وكلما كانت الاسئلة قصيرة ومباشرة ، كلما كانت الفائدة أعم وأشمل .

٨ — البطاقات :

وهي وسيلة متبعة في تعليم القراءة والكتابة ، ولكنها هنا تستخدم استخداماً يختلف عما تستخدم فيه في القراءة والكتابة لاننا هنا نريد أن تكون البطاقات أشبه بلوحات الاعلانات والشعارات التي يحاول المعلم عن طريقها أن يجعل أهدافاً معينة تلاحق التلاميذ في غدوهم ورواحهم كما تلاحقهم الاعلانات والشعارات على قارعة الطريق .

لذلك يجب أن يحدد المعاني و الاهداف والمبادىء الهامة في الدرس وأن يكتبها على بطاقات بخط واضح وجميل ، وأن يعرضها على التلاميذ في الوقت المناسب ، بمعنى أن يبرز البطاقة التي تتعلق بهدف معين بعد حديثه عنه وشرحه شرحاً يجذب التلاميذ اليه ويبين قيمة هذا الهدف وأثره في حياتهم ، ويستحسن أن يطلب منهم كتابته في دفتر خاص بالتربية الإسلامية وهكذا حتى تتجمع لدى التلاميذ جملة من الأهداف والمقاصد والتعاليم الاسلامية ويمكن أن تكون البطاقة وسيلة لايصال المعلومات أو تعميق المفهوم منها . كأن يكتب عليها أركان الصلاة أو الحج أو الوضوء ويطلب من التلاميذ ترتيبها أو يكتب عليها نصف عبارة تتعلق بحكم من الاحكام أو رأي من الاراء أو هدف من الاهداف ويطلب من التلاميذ اكمال مابها من نقص . وهناك طرق كثيرة يمكن استخدام البطاقات فيها و كلها ترجع إلى اجتهاد المعلم وحسن تصرفه .

٩ ـ الجمعيات الدينية المختلفة .

واهتمام المعلم بهذه الجمعيات لا يقل قيمة عن اهتمامه بدروسه وأعماله المدرسية بل هي بالنسبة للمعلم الذي يعرف دوره في تربية جيل وبنائه بناء يتفق والمبادىء والاخلاق الاسلامية تعد أهم وأعظم خطراً ، إذ عن طريق هذه الجمعيات سوف تمارس الاخلاق والتربية الاسلامية ممارسة عملية ومن أمثال هذه الجمعيات . جمعية البر والاحسان ، جمعية الصداقة والتعارف ، جمعية النظافة والسلوك الحسن ، جمعية الاصلاح بين المتخاصمين ، جمعية الزكاة وجمع الصدقات . ويكون إشراف المعلم على هذه الجمعيات هو وزملاؤه من المدرسين قائماً على التواضع والانصهار مع التلاميذ حتى تكون النتيجة المرجوة ملتمسة من التطبيق العملي ، لا من مجرد الشكل والاطار الذي تكون فيه هذه الجمعيات .

١٠ ـ القدوة الصالحة :

وهي لا شك تعد من أهم الوسائل في غرس الفضائل في نفوس التلاميذ ، لان الاطفال يلتقطون الاشياء وخاصة من معلمهم كما تلتقط آلة التصوير الصور والمناظر فإذا لم يراع المعلم الحكمة في اقواله وأفعاله وتصرفاته انتقلت منه إلى التلاميذ وتبدل النفع الذي نرجوه من درسه إلى سيئات يحملها الاطفال عنه ولذلك فان معلم الدين بل وكل معلم للاطفال يجب أن يكون نموذجاً للفضائل والاخلاق السامية ، لانه بذلك يحقق نفعاً لابنائه ولامته أفضل من الف درس . وكلما كان المعلم مهذباً مع تلاميذه ، عطوفاً عليهم ، راقياً في معاملته ، صادقاً في قوله ، معتدلا في رأيه . كلما كان ذلك أدعى لحب تلاميذه له وتعلقهم به في القول والفعل . ونتج من خلال ذلك تعديل سلوك التلاميذ وتنمية الجوانب الخلقية في نفوسهم .

١١ ـ الرحلات .

وليس كالرحلة شيء يجعل الطفل يرى بعينه مايقرأه ويسمعه من الدروس الدينية ، والرحلة إلى الاماكن المقدسة فوق أنها توضح المعلومات لدى الاطفال فانها تضفي عليهم جواً روحياً يحببهم في دروس الدين ، ويجعلهم يتعلقون بها .

١٢ ـ الزيارات واللقاءات بين الجماعات الدينية بالمدرسة.

ليس هناك من ينكر على الاسلام جماعيته وقيامه على المحبة والسلام ، وتحقيق ذلك في جو المدرسة ميسر لو توفرت النية الصادقة والاخلاص لله من معلمي التربية الاسلامية ، لذلك يجب أن تكون لقاءات المعلم بتلاميذه دائمة وهادفة ، يقصد من خلالها التعرف على مشاكلهم وحاجاتهم النفسية

والاجتماعية ، وكلما وجد مناسبة قام بزيارتهم في منازلهم ، كعودة مريض ، أو السؤال عن سبب غيابه عن المدرسة ، أو مشاركته في أفراحه وأعياده وأحزانه . كل هذا لا يتطلب عناء كبيراً من المعلم لو كان صادق العزم ، ويحقق أكبر النتائج في الوصول إلى تمثل التعاليم والاخلاق الاسلامية بين الاطفال وأسرهم بل والمجتمع المحيط بهم . ومن هنا كانت الزيارات واللقاءات من أهم الوسائل لغرس الفضائل الدينية بالاسلوب العملي من غير حاجة إلى موعظة أوتوجيه .

والاطفال بفطرتهم مزودون بعاطفة دينية ، ولكنهم محتاجون إلى مـــن يساعدهم على تنظيمها وإبرازها في مجال السلوك والتطبيق ، وليس هناك من وسيلة ، لذلك أفضل من القدوة الصالحة والمثل الطيب ، فإذا ما استطعنا نحن المعلمين أن نقوم سلوكنا وأن نتمثل القيم والمبادىء الاسلامية في أقوالنـــا وأفعالنا ، استطعنا أن ننفذ إلى قلوب التلاميذ ، وأن نستثير عاطفتهم الدينية ونذكيها في نفوسهم مما يحملهم على الانتقال بفطرتهم إلى الواقع ، ويدفعهم إلى تقويم المعوج من سلوكهم ، بل وحتى نقد ما يخالف تلك الفطرة من نوازع شتى تسود مجتمعهم المحيط بهم . والذي كثيراً ما تطغى عليه جوانب المنفعة ، وتتدني به الشهوات والرغبات والاهواء إلى مسارب بعيدة عن تلك الفطـــرة الدينية التي فطر الله الناس عليها .

الإسماع ووسائله

يميل الطفل الى الجديد والمثير في حياته ، لذلك كلما كان مدرس الدين واعيا ومتفهما لابعاد درسه ، كلما كان من السهل عليه استخدام الوسيلة المناسبة التي تشوق الاطفال الى الدرس وتدفعهم الى العنـــاية به وترقب مواعيده ، والوسائل المستخدمة كثيرة وقد مرت الاشارة إليها ؛ ولكن ما يهمنا هنا هو استخدام الوسائل السمعية في تدريس القرآن الكريم ومعرفة ما هي الوسائل السمعية وما أثرها ومتى نستخدمها في دروس القرآن الكريم .

وسائل الاسماع غير الاذاعة المدرسية نوعان : الاسطوانـــات وأشرطة التسجيل .

أما الاسطوانات فعملية التسجيل عليها وملاحظتها والعناية بها تحتاج الى مهارات فنية ورعاية شديدة مما يصعب على المدرس القيام بهما ، لذلك فان استخدامها قليل وغالبا ما يكون باسطوانات جاهزة ومعد عليها المادة المراد تدريسها من قبل فنيين في التسجيل . وهي يمكن استخدامها في كثير من موضوعات الدراسة ، كالقصص والاناشيد والعاب التسلية وأصوات الحيوانات وغيرها مما يتعلق بتلاميذ الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية ، وفي دروس الدين يمكن أن تسجل عليها آيات القرآن وسوره المقررة على تلاميذ هذه المرحلة ، وكذلك

أركان العبادات ، وقصص عن السيرة وعن الفضائل التهذيبية وبعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

والاسطوانات مع صعوبة التسجيل عليها ، فانها سهلة الكسر أيضا وفي حالة حدوث أخطاء وقت التسجيل يصعب محو هذه الاخطاء وتصحيحها وكذلك تقل جودة الصوت المسجل ووضوحه بعد استخدام الاسطوانة عدة مرات . أما التسجيل على أشرطة فهو عملية سهلة ، ويمكن للتلاميذ عمل بعض التسجيلات بعد تدريب بسيط على استخدام الميكروفون وآلة التسجيل ، مما جعل استخدام أشرطة التسجيل أكثر انتشارا وأوفى بالغرض . ويمكن أيضا محو ما على الشريط وتبديله مئات المرات من غير أن يحدث للشريط تلف أو فساد في الصوت .

وتستخدم أشرطة التسجيل في مجالات كثيرة أذكر منها [1] :

١) تسجيل البرامج التعليمية الاذاعية لاستعمالها ضمن النشاط التعليمي في حجرات الدراسة .

٢) تسجيل الأحاديث والمناقشات التي يشترك فيها بعض التلاميذ ثم الاستماع اليها ثانية مع بقية التلاميذ في الفصل ، وتقويمهم لأنفسهم لمعرفة نواحي القوة ونواحي الضعف في أحاديثهم ومناقشاتهم والاستفادة من نتائج هـذا التقويم .

٣) تُوفِر للتلاميذ فاقدي البصر خبرات سمعية في مجالات مختلفة .

٤) وهي تستخدم في دروس القراءة واللغة وخاصة مع تلاميذ مدارس الحضانة والمدارس الابتدائية وذلك في المجالات الآتية :

أ) التدريب على الاستماع والتمييز بين الاصوات والكلمات .

---

(١) انظر الوسائل التعليمية والمنهج ص ٢٢٦ وما بعدها للدكتورين احمد خيري ، وجابر عبد الحميد .

ب) القراءة الجهرية .

ج) العناية بالتلاميذ بطيئي القراءة .

د) القراءة العلاجية وعلاج عيوب الكلام والنطق .

هـ) تنمية القدرة على التعبير الخلاق .

و) دروس الاملاء .

ز) تعليم اللغات الأجنبية .

٥) تسجيل الكلمات والخطب التي يلقيها القادة في المناسبات القومية الهامة وتسجيل الأحاديث التي تجري أثناء المقابلات الشخصية معهم ، وتسجيل صور صوتية للحياة خارج المدرسة في المتجر أو المصنع أو السوق أو في غيرها من الاماكن ونقلها إلى حجرات الدراسة .

وأثر هذه الاشياء واضح بالنسبة لكل قائم بعملية التعليم وهي بالنسبة للتربية الدينية بالذات تعد ذات أثر فعال ، لانها تساعد على مراجعة الاحكام والمبادىء والاهداف الاسلامية والتثبت منها قبل عرضها على التلاميذ ، وكذلك تعاون التلاميذ على فهمها ووعيها نتيجة للتكرار الذي يمكن أن يفعله المعلم لسهولة ذلك بالمسجل . وأما بالنسبة لآيات القرآن الكريم فان استخدامها أكثر حاجة . إذ من المعروف أن القرآن الكريم لعظمة أسلوبه ودقته يحتاج إلى مهارة فائقة في القراءة والاداء فإذا ما سجلت الآيات على شريط من قبل المعلم أو من أحد المقرئين المشهورين فان ذلك يساعد التلاميذ على ادراك هذه الآيات ادراكاً صحيحاً ، فوق أنه يؤدي إلى حفظ هذه الآيات بسهولة أكثر من عرضها بدون جهاز التسجيل ، ويستطيع المعلم أيضاً أن يسجل معاني الكلمات وبعض الاحكام التي يريد إبرازها للصفوف النهائية من المرحلة

الابتدائية وأن يستمع هو وتلاميذه اليها ويناقشهم فيها . ويمكن أن يسجل المناقشة بينه وبين تلاميذه . وأن يعرضها عليهم في نفس الحصة أو في حصة أخرى ليدفعهم إلى الانتباه والدقة ويثير في نفوسهم الرغبة في المنافسة الشريفة والتعلق بالقرآن الكريم وأحكامه ، ومرجع ذلك كله إنما يتوقف على مهارة المعلم وعلى حسن استخدامه للوسيلة في الوقت والغرض المناسبين .

لمحات تربوية إسلامية

أتبع الرسول صلى الله عليه وسلم طرقاً مختلفة لتعليم المسلمين القرآن والاحكام الشرعية ، وكان في كل طريقة هو نفسه مضرب المثل حتى يقتدي به الناس في اعمالهم، وحتى يكون نموذجاً يحتذى للمربين والمعلمين في مختلف العصور .

ومن الطرق التي أتبعها طريقة (المحاولة والتجربة) فهو يترك المسلمين يحاولون عن طريق الاجتهاد الوصول إلى الصواب في أقوالهم وأعمالهم ، ويسلكون في محاولاتهم مختلف التجارب الفكرية والعملية ، فاذا ما وصلوا من خلالها إلى الصواب أقرهم على ذلك ، والا قام هو بالتطبيق وبين لهم أوجه الخطأ ، وفي الحديث الشريف ان صحابيا دخل المسجد فصلى في ناحية منه ثم جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يجلس مع بعض أصحابه . فقال : السلام عليك يا رسول الله ، فقال الرسول (وعليك السلام . ارجع فصل فانك لم تصل) فصلى وعاد فراجعه الرسول ، ثلاث مرات ... فقال الرجل في الثالثة . والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمني . فعلمه الرسول ، وتركه يعيد صلاته حتى أتقنها . والمسلمون يشاهدون ما يحدث ؛ وعلى هذا النحو كان صلى الله عليه وسلم يستحفظ الصحابة الايات والادعية وقد روى بعض الصحابة ان الرسول كان يعلمهم الاستخارة كما يعلمهم

السورة من القرآن . أي انه كان يهتم بتعليم المسلمين بطريقة تساعدهم على حفظ الاشياء وفهمها وتدبر معانيها .

وهذه الطريقة تكاد تتفق مع (طريقة المشروع) التي نادى بها (جون ديوي) الفيلسوف الامريكي . لان طريقة المشروع تهدف إلى تكوين شخصيات التلاميذ وتعويدهم الاعتماد على أنفسهم في بحث المشكلات وحلها . وخطواتها مسايرة للخطوات التي يترسمها العقل في الادراك الفكري . وهي الاحساس بوجود مشكلة ، ثم تحديدها بالضبط ثم فرض ما يمكن من الفروض التي تحل بها المشكلة ، ثم الشروع في حل المشكلة بعد ترجيح أحد الفروض حتى يتوصل إلى الحل النهائي لهذه المشكلة .

وما سقته كمثال تربوي في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج في غايته عن هذه الاهداف ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على تقدمية الاسلام ، وعلى انه الدين الحق الصالح لكل زمان ومكان ، وانه في تطبيقه العملي يكفل للناس جوانب التقدم الفكري والتطبيقي .

وكما استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم طريقة (التجربة) استعمل أيضاً الطريقة (الحسية) تلك الطريقة التي ينتقل فيها المرء من المحسوس إلى المعقول ، والتي يقرب بها المعنى البعيد بتشبيهه بالمحسوسات التي تمتلىء بها الدنيا ، فقد روى الامام أحمد عن جابر قال (كنا جلوسا عند النبي (ص) فخط خطا هكذا أمامه وقال : (هذا سبيل الله) وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال (هذه سبل الشيطان) ثم وضع يده في الخط الاوسط وتلا قول الله (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . ذلك وصاكم به ، لعلكم تتقون) . وحين سأله الصحابة (يا رسول هل نرى ربنا يوم القيامة) أجاب : (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر)

قا لوا لا يا رسول الله . فضرب مثالا آخر فقال (هـــل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب) قالوا لا يا رسول الله قال : (فانكم ترونه كذلك) . وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تقرب المعنى لاذهان الناس — بالمحسوسات التي يدركونها (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) وفي وصف نعيم الجنة بصفات تشبه نعيم الدنيا أكبر دليل على ذلك يقول تعالى (متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين) (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تتعلق بالبعث والنشور والحساب (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ، فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) وبهذه الطريقة استطاع المسلمون أن يتفهموا أمور دينهم ودنياهم ، وأن يربطوا حاضرهم الدنيوي بمستقبلهم الاخروي ، وكانت قدراتهم على تفهم الاشياء تمتاز بالعمق والدقة .

وطريقة (منتسوري) المربية الايطالية الشهيرة لا تخرج عن ذلك في شيء . فهي تعتمد على تقوية الحواس وجعلها أبواب المعرفة وقد جربت طريقتها في تعليم ضعاف العقول من الاطفال في أول الامر فنجحت نجاحا باهرا ، واستطاع هؤلاء الضعاف اللحاق باخوانهم العاديين ويمكن الاستفادة بهذه الطريقة في تعليم الاطفال مبادىء القراءة والكتابة ، وايصال مفاهيم الاشياء إلى أذهانهم ، كما أنها تساعد الكبار على الربط بين المرئي وغير المرئي .

فعلينا أن نلاحظ ما كان يصنعه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما دربنا عليه القرآن ، وجاءت به النظريات الحديثة ، في تعليم أطفالنا فنستخدم من الوسائل ما يقرب إلى افهام التلاميذ معاني القرآن وننقل لهم صورا ورموزا من الطبيعة التي يعيشون فيها تتعلق بالمعاني الواردة في الآيات ، حتى نعلم أطفالنا كيف يربطون دينهم بدنياهم ، وكيف يتوصلون إلى فهم المعنى بملاحظة المحسوس والمدرك . وقد استخدم الرسول أيضا طريقة الحوار والتكرار .

وهي طريقة تربوية عرضها الفلاسفة منذ القدم ويسمونها الطريقة (السقراطية) لان سقراط الفيلسوف الاغريقي أول من استعمل الاسئلة الحوارية لقصد تعليمي وأخلاقي . وهي طريقة تصلح لتعليم الصغار لانها تقوم على أسئلة تحاورية من المدرس إلى تلاميذه وتكون الاسئلة في الغالب قصيرة سهلة متصلة بشيء يسهل على التلاميذ ملاحظته وادراكه ، ومن فوائد هذه الطريقة انها تتيح للتلاميذ فرصة التعبير الحر عما يجول بخواطرهم ، والكشف عن الحقائق بأنفسهم .

وقد كثر استعمال هذه الطريقة بين الرسول وأصحابه . فقد روى عن معاذ ابن جبل ان الرسول صلى الله عليه وسلم سأله (هل تدري ما حق الله على العباد يا معاذ) وكررها ثلاثا ومعاذ يجيب في كل مرة (الله ورسوله أعلم) وبعد الثالثة قال الرسول (ان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) وأسئلة جبريل للرسول عليهما الصلاة والسلام عن الايمان ، والاسلام والاحسان ، والحياء مشهورة معلومة . والقرآن الكريم استعملها كثيرا (قل يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) وغير ذلك مما لا يمكن حصره، وقد اكتفيت بالاشارة إلى ذلك ليتعرف المعلم

على نهج الاسلام في التعليم والتثقيف . وعلى المعلم أن يختار ما يلائم تلاميذه من الطرق ، وأن يسلك مختلف السبل ليحقق أقصى الغايات في التربية الاسلامية ، وفي تثبيت أهدافها في عقول التلاميذ .

وأحب أن أشير هنا إلى ان تعاليم الاسلام تعني أول ما تعني بتربية الاخلاق وتهذيبها ، والاخلاق ليست دروسا تلقن ولا كلمات تستحفظ ، انما هي عادات وعواطف يمتلىء بها وجدان الطفل ، حتى تصبح جزءا من ذاته وكيانه ، فاذا مارسها جاءت منه عن قناعة ورغبة ، وتركت في نفسه راحة وطمأنينة وليس في امكان المعلم تحقيق ذلك ، الا اذا ضرب المثل بنفسه ليقتدى به ، والا اذا تخير الوقت المناسب ليحرك وجدان الاطفال للمعنى الذي يريد أن يغرسه في نفوسهم . والوقت المناسب يأتي عرضا أثناء الدرس « فلو افترضنا ان الدرس عن سورة « الكوثر » والدرس يقوم على الحوار والمناقشة بين المعلم والتلاميذ . فان الوقت الملائم هنا لغرس المبدأ الحقيقي المراد من السورة يكون عند سؤال التلاميذ عن معنى « النحر » وهنا بعد بيان المعنى . يعلمهم « شكر الله » على منحه وعطاياه ، ويبين لهم فضيلة الشكر وأثرها في حياة الانسان ويا حبذا لو كان هذا الدرس في مناسبة عيد الأضحى . وكذلك يجب أن يبين لهم رذيلة البغض وما تجره على الناس من ويلات عند بيان معنى (شانئك) ومعنى (الابتر) . ولا يكون الدرس مجرد شرح الكلمات وتوضيح معناها واستعراض الافكار الموجودة فيها . لان ذلك لا يتناسب مع دروس الدين ، التي هي في جوهرها عملية اخلاقية . تربي الفضيلة ، وتمحو الرذيلة ، وتطهر الروح . وترقق الوجدان .

وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في تعليمه لأصحابه على الربط بين أمورالدنيا التي تدور بها حياة الناس ، وبين آمال الآخرة التي اليها المستقر وفيها البقاء الدائم ، فجاءت كلماته موازنة بين الخيرين ورابطة بينهما ، مما يجعل المرء

وكأنه يشاهد الحياتين معاً . ولنقرأ معا تعبيره عن مظاهر رحمة الله وتقديره للعلم وأهله في قوله صلى الله عليه وسلم « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (١) .

فالحديث يبين أن الاسلام يعني بتعليم أبنائه وتعويدهم على التعاون وبذل ما يستطيعون من المعونات للآخرين ، صغرت هذه المعونات أو كبرت ويحثهم على العلم والجهاد في سبيله ، لأن في ذلك كشف لقدرات الله وعظمة مخلوقاته . وهي تربية جهلها المسلمون حقبة طويلة من الزمان مما أدى الى تأخرهم وتراجعهم عن ركب التقدم والانطلاق في معرفة أسرار الكون وخفاياه ، مع أن القرآن الكريم الذي يضم بين دفتيه (٦٢٣٦) آية (٢) حث على العلم والعمل في سبيله في ثلاث وستين وسبعمائة آية منها (٣) وهو مقدار كبير اذا ما قورن بالقضايا المتعددة التي شملها القرآن الكريم في التشريع والآداب والسلوك وقصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة وذكر الجنة والنار والحساب وغير ذلك ، وليس بين الكتب السماوية الأخرى ما حفل بالعلم وأهله عشر معشار ما حفل به القرآن الكريم ، ولكن الجهل الذي خيّم على المسلمين أجيالاً طويلة وقف حائلا بينهم وبين ادراك هذه

---

(١) انظر صحيح مسلم جـ٤ ص٢٠٧٤ طبع دار احياء التراث العربي بيروت . ١٩٧٢ وصحيح البخاري المجلد الرابع الجزء الثامن ص٧١ المكتبة التجارية بدون تاريخ .

(٢) الدليل الكامل لآيات القرآن الكريم ، إعداد د. حسين محمد فهمي الشافعي المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية – مصر ١٩٧٢م .

(٣) دستور الأخلاق في القرآن الكريم د. محمد عبدالله دراز ص٥ . دار البحوث العلمية – الكويت ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .

الحقائق والعمل بها . ولن يستطيع المسلمون ادراك ذلك والعمل به الا اذا قامت التربية في مدارسهم وجامعاتهم ومعاهدهم على الأسس الصحيحة لهذا الدين ، وأخذت من ينابيع الأحكام والقضايا الاسلامية مناهجها وطرقها في التعليم والتعلم وحول هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير ، أصاب أرضا ، فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) (١) فهو يبين أن رقي الإنسانية وتقدمها وسعادتها في تعلم هذا الدين والعمل به ، وأن أفضل الناس من كان عالما عاملا نافعا لنفسه ولغيره وأن شر الناس من لم ينفع نفسه ولا غيره ، وأن الدين حق ثابت لا يتغير وصراط الله مستقيم لا ينحرف ، وانما الناس هم الذين يتغيرون وتتبدل أحوالهم وعقولهم ومعارفهم ، وأن أمل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في العمل بهذا الدين ، والقيام على مبادئه وأحكامه دون نقص أو تغيير ، وأن البشرية ستظل في متاهتها تدور في حلقات مفرغة حتى تهتدي الى نور هذا الايمان فتعمل به فيعم الأرض الأمن والسلام والمحبة ، والله تبارك وتعالى يقول

« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين » (٢) .

ولا نريد أن نكون كمن حملوا التوراة ، فنعيش في دنيانا مسلمين بشهادات الميلاد والموطن والنسب وكل أعمالنا ومواقفنا وأحكامنا وقضايانا بعيدة كل البعد عن الاسلام ومناهجه ، والمدرسة الابتدائية تعد ميدانا خصبا لغرس هذه

(١) انظر صحيح البخاري جـ٨ ص٥٧ .

(٢) سورة الجمعة آية ٥ .

المبادئ ورعايتها لأن تلميذ هذه المرحلة على استعداد فطري لتقبل المعلومات التي تطرح عليه سواء كانت متصلة بحياته وعمله اليومي وممارساته للعب وفي نطاق الأسرة ، أو كانت متصلة بالغيبيات والأمور التي يجهلها جهلا كليا ولا يستطيع أحد أن يجد لها رابطا من مشاهداته ومعارفه بشرط أن تنقل اليه بطريقة يتقبلها عقله ويشعر في ذاته أن لها مردودا يعود عليه وعلى المحيطين به في الاسرة والمجتمع .

والمنهج الاسلامي بأصوله الأساسية (القرآن ، والحديث) ثابت في مقوماته ومبادئه لأنه كما أراد الله متفق وطبيعة الانسان ، وللانسان كينونة ثابتة ، لا ينتقل منها الى كينونة أخرى . وما يحدث له عبر العصور من تحولات وأطوار تلابس حياته لا تغير من طبيعته ولا تبدل من كينونته ، ولا تحوله خلقا آخر ، وانما هي تغيرات سطحية كالأمواج في الخضم ، لا تغير من طبيعته المائية – ، بل لا تؤثر في تياراته التحتية الدائمة المحكومة بعوامل طبيعية ثابتة ، وقبل نزول القرآن وبعده عرف الناس أحوالا كثيرة من التغيير والتبديل في الآراء والأفكار والاتجاهات ولكنها لم تعرف تغييرا مماثلا في بنية الانسان وذاته . بل ظل الانسان هو الانسان ، وظلت حاجته الدائمة الدائبة الى منهج رباني يصونه ويحميه من كل ما هو دائر فيه من ماض وحاضر ومستقبل وظلت فطرة الانسان تدعوه الى الايمان سواء كان ايمانا صحيحا مرده وملتمسه التنزيلات الالهية أم كان من صنع البشر واختراعاتهم وأوهامهم .

والقرآن كمنهج الهي واجه بوضوح تلك الكينونة البشرية الثابتة ، لأنه من صنع المصدر الذي صنع الانسان ، فهو يواجه حياته بظروفها المتغيرة ، وأطوارها المتجددة بنفس المرونة التي يواجه بها الانسان ظروف الحياة المتغيرة ، وأطوارها المتجددة وهو محافظ على مقوماته الأساسية ، مقومات الانسان . وفي الانسان هذا الاستعداد وهذه المرونة ، والا ما استطاع أن يواجه ظروف الحياة وأطوارها ،

وهي ليست ثابتة من حوله . وفي المنهج الرباني الموضوع لهذا الانسان ، ذات الخصائص ، بحكم أنه صادر من المصدر الذي صدر منه الانسان ، ومودع خصائصه ذاتها ، ومعد للعمل معه الى آخر الزمان . في البيئة الزراعية والصناعية ، العلمية وغير العلمية التي تبحث عن الحقيقة والتي تفلسفها ، الغنية ، والفقيرة ، الجاهلة والعاملة . لهذا يستطيع هذا المنهج وتستطيع نصوصه من القرآن والحديث أن تلتقط الفرد الإنساني ، وأن تلتقط المجموعة الانسانية . من أي مستوى ومن أية درجة من درجات المرتقى الصاعد ، فتنتهي به وبها الى القمة السامية ، انه لا يرده ولا يردها أبدا الى الوراء ولا يهبط به أو بها أبدا الى درجة أسفل في المرتقى ، كما أنه لا يضيق به ولا بها ولا يعجز عن رفعه ورفعها أيا كان مكانه أو مكانها من السفح السحيق . المجتمع البدائي المتخلف كالمجتمع العربي في الجاهلية القديمة والمجتمع الصناعي المتحضر ، كالمجتمع الشيوعي والأوربي والأمريكي في الجاهلية الحديثة ، كلاهما يجد في المنهج الرباني والنصوص القرآنية مكانه ، ويجد من يأخذ بيده من هذا المكان ، فيرقى به في المرتقى الصاعد ، الى القمة الساحقة ، التي حققها الاسلام في فترة حية من فترات التاريخ الإنساني .

ان الجاهلية ليست فترة ماضية من فترات التاريخ . إنما الجاهلية كل منهج تتمثل فيه عبودية البشر للبشر . وهذه الخاصية تتمثل اليوم في كل مناهج الأرض بلا استثناء في كل المناهج التي تعتنقها البشرية اليوم ، يأخذ البشر عن بشر مثلهم : التصورات والمبادئ والموازين والقيم ، والشرائع والقوانين ، والأوضاع والتقاليد . هذه هي الجاهلية بكل مقوماتها ، الجاهلية التي تتمثل فيها عبودية البشر للبشر ، حيث يعبد بعضهم بعضا من دون الله .

والاسلام هو منهج الحياة الوحيد ، الذي يتحرر فيه البشر من عبودية البشر لأنهم يتلقون التصورات والمبادئ ، والموازين والقيم ، والشرائع والقوانين والأوضاع والتقاليد ، من يد الله – سبحانه – فاذا أحنوا رؤوسهم فإنما يحنونها لله وحده ، واذا أطاعوا الشرائع فإنما يطيعون الله وحده ، واذا خضعوا للنظام

فإنما يخضعون لله وحده ومن ثم يتحررون حقا من عبودية العبيد للعبيد ، حين يصبحون كلهم عبيدا لله بلا شريك . وهذا هو مفترق الطريق بين الجاهلية – في كل صورة من صورها – وبين الاسلام (١) والرسول صلى الله عليه سلم يقول : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ، ولا يزيغ عنه) (٢) ويقول : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي) (٣).

وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه والمسلمين في ربوع دولته كيفية التعامل مع الأفكار والآراء والمواقف التي تعرض لهم ، وناقش معهم أبسط الأمور وأعقدها . واتخذ من نفسه مثلا للقضايا التي تخالف طباع العرب وأهواءهم حتى يقضي على كل خلاف فيها . وكان أسلوب الحوار والاستنتاج أحد الأساليب التي اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعليم من حوله ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ولكني سأحاول عرض بعضها فيما يتصل بأمور وقضايا مختلفة .

روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن قال له : « كيف تصنع ان عرض لك قضاء » ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله قال : « فان لم يكن في كتاب الله » ؟ قال : فبسنة رسول الله قال : « فان لم يكن في سنة رسول الله » ؟ قال : أجتهد رأيي لا ألو . قال معاذ : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله » (٤) .

---

(١) انظر في ظلال القرآن للاستاذ سيد قطب جـ١ ص١٥ – ١٨ ، ٥٥٥ – ٥٥٧ طبع دار الشروق بيروت سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م .

(٢) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة جـ٩ ص١٢٢، كتاب الشعب سنة ١٣٧٩هـ .

(٣) جامع بيان العلم (لابن عبدالبر) ٢/ ١٨٠ القاهرة ، ادارة الطباعة النيره .

(٤) انظر اعلام الموقعين جـ١ ص٢٤٣ .

وروى أبو داود عن المقدام بن معد يكرب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا واني قد أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد الا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه » (١) .

فأما الموقف الأول فالحوار فيه يتعلق بأخطر القضايا التي يمكن أن يواجهها انسان اسندت اليه مسؤولية الحكم بين الناس والقضاء بينهم ، وقد حرص فيه الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يبين أن الأمر لله ولرسوله ، وأن العقل الانساني له دور خطير في الاستنتاج واستخلاص الأحكام ، وأن الاجتهاد باب مفتوح يلجه القادرون من علماء الاسلام المخلصين ، وعلى الأمة اتباع آرائهم والأخذ بما توصلوا اليه من أحكام وقضايا وان كانت غير واردة بالنص الصريح في القرآن والسنة ، وأما الموقف الثاني فقد جاء مؤيدا للموقف الأول وزاد عليه توضيح الرسول صلى الله عليه وسلم للناس ، كيف - وهو الملتقى عن ربه - أصدر أحكاما ليست بالنص الصريح في كتاب الله . والناس مطالبون باتباعها والعمل بها ، فليس الأمر في قضايا الاسلام والمسلمين تحجرا وتعصبا ، وانما هو بحث وفكر واجتهاد ، وكل ما يجب الالتزام به الا يخرج هذا البحث أو ذاك الاجتهاد على نص صريح من نصوص كتاب الله وسنة رسوله . وكان التزام المسلمين بذلك في عصر صدر الاسلام التزاما مبدعا خلاقا ، أدى الى بروز جماعات علمية لم يعرف العالم لها نظيرا في أي عصر من العصور وفي أي أمة من الأمم ، حتى أخذت البشرية كلها تنهل من هذا الفيض قرونا متعددة ، وأصبحت الفلسفات اليونانية والرومانية الهندية والفارسية التي كانت سائدة قبل الاسلام ،

(١) انظر تفسير القرطبي جـ١ ص٣٧ ، ٣٨ .

في الدرجة الثانية من فكر بني الانسان ، بعد أن ارتقى عليها وفاقها الفكر الاسلامي في جميع مجالات الحياة ، وقد رأينا عمر بن الخطاب يتبع خطوات رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فهو يقول : « لشريح » حين ولاه قضاء الكوفة « انظر ما يتبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحدا ، وما لم يتبين للك فاتبع فيه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما لم يتبين لك في السنة فأجتهد في رأيك ، وأستشر أهل العلم والصلاح » (١) . وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في مواقفه التعليمية على أن يبين للمسلمين أن التعصب والمغالاة أمران مرفوضان في الاسلام ، وأنه لا ينشد الصعب أو المستحيل فيما يقول ويعمل ، وانما يريد الأمان بينه وبين ربه ، وبيئته ونفسه ، والطريق لذلك لا يحتاج الى خروج على المألوف أو التزام طرق المحال وانما يحتاج الى الصدق مع الله ومع النفس والعمل الدائب من أجل الحق والعدل والمحبة . وهو في سبيل توضيح ذلك ترخص في أمور كثيرة وهجر أصعبها الى أيسرها ، ولكن بعض الصحابة والمسلمين ظن أن ذلك لا يجوز الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتركوا هذه الرخص ولم يعملوا بها وكان من الممكن أن يحضرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وأن يؤنبهم على ذلك ويطلب منهم العمل بها ولكنه على عادته من الرفق بالمخطئ وعدم مواجهته باللوم أمام الناس ، وقف خطيبا بين المسلمين ووجه لهم جميعا القول فيما روت عائشة رضي الله عنها قالت (٢) : « صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا فترخص فيه ، فبلغ ناسا من أصحابه ، فكرهوه وتنزهوا عنه ، فقام خطيبا فقال : ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه ؟ فوالله لأنا أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية » . ويفسر لنا هذا الموقف أيضا ما روته السيدة عائشة في موضع آخر قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر اعلام الموقعين جـ١ ص ٧١ ، ٩٧ ، ٩٨ ، وما بعدها .

(٢) انظر صحيح البخاري الاعتصام بالكتاب والسنة جـ٩ ص١٣ ، ١ ، ١١٣ .

بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما [1] . والتخيير في حالات كثيرة كان يأتي من قبل الله عز وجل ليكون مثالا تعليميا يدركه المسلمون ويعملون به .

قال تعالى مخاطبا رسوله :

« **يا أيها المزمل ، قم الليل الا قليلا ، نصفه أو أنقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** » (٢) .

وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم أيسر المطلوب ، فكان يقوم أقل من نصف الليل . وخيره بين الافطار في رمضان اذا كان على سفر مجيز لذلك (وهو موضح في كتب الفقه) وبين عدم الافطار فأختار الأيسر وأفطر . روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى في أحد أسفاره زحاما من الناس حول رجل يظلونه من الشمس – فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا ؟ فقالوا : صائم . فقال : « ليس من البر الصيام في السفر » (٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة ، فصام ، حتى بلغ عسفان ، ثم دعا بماء ، فرفعه الى يديه ليريه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة ، وذلك في رمضان ، فكان ابن عباس يقول : « قد صام رسول الله وأفطر ، فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر (٤) والروايات على ذلك كثيرة (٥) .

قال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من**

---

(١) انظر فتح الباري جـ٦ ص ٣٧١ .

(٢) سورة المزمل الآيات ١ – ٤ .

(٣) انظر البخاري – كتاب الصوم – باب ٣٥ .

(٤) انظر البخاري – كتاب الصوم – باب ٣٧ .

(٥) انظر سيرة بن هشام وسيرة الحلبي والبخاري ومسلم .

أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » (١) .

وكان الرسول حريصا على توضيح ذلك للناس حتى يعملوا به من بعده . وقصة الذين كانوا يقومون الليل ويصومون النهار وانكار الرسول عليهم ذلك مشهورة ومتفق عليها . وان كان هذا موقفه في العبادات فان موقفه في المعاملات كان أكثر وضوحا في التمثيل للمواقف التعليمية . فقد روى أن أعرابيا جاءه يطلب شيئا فأعطاه ، ثم قال له : أأحسنت اليك ؟ قال الأعرابي لا ، ولا أجملت . فغضب المسلمون وهموا به ، فأشار الرسول اليهم أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله ، وأرسل الى الأعرابي وزاده شيئا ثم قال له : أأحسنت اليك ؟ قال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال صلى الله عليه وسلم : « انك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء ، فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي ، حتى يذهب ما في صدورهم عليك » قال : نعم ، فلما كان الغد وفي العشى جاء الأعرابي ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه ، فزعم أنه رضي . أكذلك ؟ » قال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثل هذا الرجل مثل رجل له ناقة شردت عليه ، فاتبعها الناس ، فلم يزيدوها الا نفورا ، فناداهم صاحبها اخلوا بيني وبين ناقتي فاني أرفق بها منكم وأعلم ، فتوجه لها بين يديها ، فأخذ لها من قمام الأرض ، فردها حتى جاءت واستناخت ، وشد عليها رحلها ، واستوى عليها ، واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه – دخل النار » . فلم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم في حاجة الى رد الأعرابي واستنطاقه بما نطق به الآ ليبين للمسلمين في موقف تعليمي ان العفو والصفح يأسران القلوب وأن الحسنة تذهب السيئة ، وأن الانفعالية عند الانسان اذا لم يكن لها ضابط يردعها فانها تؤدي به وبغيره الى الهلاك . كما في حالة الناقة وصاحبها .

---

(١) سورة البقرة ١٨٣ ، ١٨٤ .

وهذا يبين أن الاسلام بمصدريه الأساسيين القرآن والسنة يتعهد الناس بالتربية التي تكفل لهم ولمجتمعاتهم الأمن والاستقرار والمحبة ، والتي توجههم الى تصور الأمور وقياسها على غيرها لينتج من ذلك واقع يؤدي الى استمرارية الحياة في طريق صحيح . وكان حرص الاسلام شديدا على أن يبدأ التوجيه السليم من أول سنوات الطفولة ، فيعود الطفل على ضبط رغباته لا كبتها . وذلك لأن الطفل - كما أشارت نظريات علم النفس - على قدر من الوعي أعظم بكثير مما يظن أغلب الناس . وفي امكان المربي بحذقه ومهارته - أن يبين للطفل الحكمة في منعه من اتيان عمل من الأعمال بطريقة لا يتعذر فهمها على مداركه . وكما أخذ الله عباده بالتدريج في كل أحكام الدين وقضاياه ، فاننا نلاحظ ذلك مع الطفل . فاذا كان من المتعذر ادراكه لكل الموانع في زمن الطفولة ، فان الفرصة موجودة دائما لرفعها الى عالم الشعور الواعي فيما بعد ، حين تنضج أفكار الطفل الى حد يسمح لها بالاستيعاب ، فاذا فرضنا جدلا أن بعض الأطفال - في ظل النظام الاسلامي - قد أصيبوا بشيء من الكبت المبكر فان اليقظة الدائمة المفروضة في الضمير الذي يبنيه الاسلام ، ويتعهده بعرض الحقائق التي يتقبلها ويؤمن بها على أسس سليمة واضحة ، كفيلة بتخفيف أعراض الكبت وشفاء آثاره ، بل وتحويله الى عمل خلاق ينتفع به الانسان والبشرية من بعده . وفرويد يقرر أن قدرا معينا من الكبت ينشأ بطريقة ذاتية لا ضرر فيه ، ولولا وجود الكبت لظل الانسان في عذاب دائم من رغبات لا يمكن تحقيقها أصلا ، لا لأن المجتمع أو الدين أو الأخلاق تحول دونها ، ولكن لأن الطاقة البشرية تقف دونها عاجزة كالرغبة في الطيران في الجو كالطيور ، والرغبة في السيطرة المطلقة على قوى الطبيعة ، ورغبة بعض الأطفال في الحصول على القمر ، ولعل كبت هذه الرغبات المستحيلة هو الذي يوجه النشاط العلمي لمحاولة تحقيقها من طريق آخر ، ويوجه الفن لتحقيقها في الخيال . وليس هناك أخطر من تصور بعض المفكرين أو القائمين على التربية أن أوامر الدين وقضاياه أكبر من أن تعرض

على الطفل فيحجمون عن جهل أو خشية من عرضها بصورتها الحقيقية التي وضحها الاسلام وبين أبعادها . لذلك فاني أرجو من المسؤولين عن التربية في كل أنحاء العالم الاسلامي أن يهتموا بمعلم التربية الاسلامية وأن يتعهدوه بتربية خاصة وأن يختاروه ذا نوعية مميزة عن باقي المعلمين ، وأن يمنحوه من المزايا ما يتفق والرسالة الانسانية الخطيرة التي يقوم بها . وليس هذا بدعا من القول فكل هذا معمول به عند اتباع الأديان الأخرى من قساوسة وأحبار ورهبان ومبشرين . ونحن وحدنا الذين جعلنا ديننا وتعاليمه السامية في مؤخرة العلوم وجعلنا القائمين عليه بلا ضابط أو تمييز ، مع أن الله تبارك وتعالى حدد لنا صفات المؤمن الحق ، وهي ما يجب أن تتوفر في معلم التربية الاسلامية .

وهذه الصفات في ايجاز هي :-

(١) طهارة النفس :

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾
قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ (١)

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾
مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ (٢)

(٢) التحكم في الأهواء :

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى النَّفْسَ
عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ (٣)

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ (٤)

---

(١) الشمس ٩ - ١٠ .
(٢) ق/٣١ - ٣٣ .
(٣) النازعات/ ٤٠ - ٤١ .
(٤) ص/٢٦ .

(٣) العفة وغض البصر .

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ (١)

(٤) كظم الغيظ :

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ (٢)

(٥) الصدق :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ (٣)

وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ (٤)

(٦) التحفظ في الأحكام :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ (٥)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ (٦)

---

(١) النور / ٣٠ - ٣١ .
(٢) آل عمران / ١٣٤ .
(٣) التوبة / ١١٩ .
(٤) الزمر / ٣٣ .
(٥) الحجرات / ٦ .
(٦) الحجرات / ١٢ .

(٧) الثبات والصبر :

﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ ﴾ (١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ (٢)

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ﴾ (٣)

(٨) القدوة الحسنة :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾ (٤)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ۝١٤ ﴾ (٥)

(٩) الاعتدال :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ ﴾ (٦)

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ (٧)

---

(١) المدثر/٧ .
(٢) آل عمران الآية الأخيرة .
(٣) البقرة/١٥٥ .
(٤) الأحزاب/٢١ .
(٥) الصف الآية الأخيرة .
(٦) الفرقان/٦٧ .
(٧) الاسراء/٢٩ .

(١٠) التنافس الشريف :

لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ (١)

(١١) حسن الاستماع واتباع طريق الخير :

فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ (٢)

(١٢) البعد عن الكذب :

وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ (٣)

إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ (٤)

(١٣) البعد عن النفاق :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ (٥)

---

(١) المائدة/٤٨ .

(٢) الزمر/١٧ – ١٨ .

(٣) الحج/٣٠ .

(٤) النحل/١٠٥ .

(٥) البقرة/٢٠٤ – ٢٠٦ .

(١٤) البعد عن البخل :

ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ (١)

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ (٢)

(١٥) البعد عن الرياء :

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ (٣)

(١٦) البعد عن الاختيال :

وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ (٤)

(١٧) لا يتكبر و لا يتعاظم على الآخرين :

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ (٥)

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ (٦)

هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ (٧)

---

(١) البقرة/٢٦٨ .

(٢) النساء/٣٧ .

(٣) النساء/٣٨ - ٣٩ .

(٤) الاسراء/٣٧ .

(٥) النحل/٢٣ .

(٦) النساء/٤٩ .

(٧) النجم/٣٢ .

(١٨) عدم التفاخر بالقدرة وبالعلم :

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ (١)

---

(٥) الكهف / ٣٢ - ٤٢ .

وقد حرصت على عرض هذه الصفات بما يتفق وما جاء في القرآن الكريم دون شرح أو تحليل ، لأنها واضحة لا تحتاج الى فلسفات أو تقنين كما هو الشأن في مواد القوانين البشرية التي يصنعها الانسان ، وفي الغالب يكون هو أول المتمردين عليها .

ولا شك أن تحقيق أهداف التربية الاسلامية ، لا يمكن أن يتم إلا عن طريق من يتحلون بهذه الصفات ، وقد وقع ذلك فعلا في عصور السلف . ولا أدري ما هي الأسباب التي تحول دون أن يعمل المسؤولون في الأمم الاسلامية على تحقيق ذلك مرة أخرى .

القيم والاتجاهات

وأهمية تركيز المعلم عليها

القيم في سيكولوجية نظرية المجال ، هي اتجاهات للسلوك او للعمل او اتجاهات في السلوك او العمل ، او هي السلوك الفعلي للافراد في تفاعلاتهم مع بيئاتهم كما يدركون أنفسهم وهم يؤدون في مواقف حياتهم . وكل فعل لكل فرد يمثل تفضيلا لمسلك على الآخر .

والمسلك المختار هو الاحسن والاكثر قبولا ، والاكثر أهمية الذي يصطنعه الفرد وقت سلوكه طبقا لتقديره وادراكه للظروف القائمة في الموقف .

ولكن السلوك الظاهري هو وجه واحد فقط من القيمة . أما الوجه الاخر فهو الادراك الباطني والحكم اللذان يؤديان وظيفتيهما من البداية ثم يستمران بصورة معدلة حتى تتسبب تغييرات الموقف في وقف العمل الذي انبعث من القيمة .

فكل اتجاه للعمل أو السلوك يمكن ملاحظته او رصده هو مجرد المظهر الخارجي المعبر عن أحكام القيمة الداخلية التي تنشأ في نفس الوقت مع السلوك البادي .

وكل حدث في العمل ، وكل جزء في المسلك يتضمن حكما مرده إلى

قيمة ، سواء أكانت على المستوى الجزافي اللاارادي الذاتي أم على المستوى الادراكي ، إذ يوجد في كل كائن حي انسان صورة ما او شكل ما من أشكال او صور العمل الهادف المفصل الراجع إلى قيمة ما [1] .

وبنظرة موضوعية إلى التربية الاسلامية نجد أنها في مناهجها وموضوعاتها الالهية والبشرية تحقق جانبي القيمة الظاهرية والباطنية . فهي تعني بسلوك الفرد مع نفسه ومع الناس ، وتحثه بأداء العبادات على طهارة القلب والنفس والجوارح . وتمنحه الوازع الذي يدفعه إلى التضحية والفداء والصبر . وتقترب به في مثاليتها إلى جوانب الحق والجمال والخير . وتصل به في بعض مواقفها إلى سمو يرفعه فوق ترابيته ويدنيه من عالم الروح . فهي اذن تربية أخلاقية ، تنشد الوصول إلى الخلق الكامل عند الفرد المسلم . وتساعده بهذا البناء الاخلاقي على الاهتمام بالجسم والعقل والعلم والعمل . والطفل في حاجة إلى قوة هذه الجوانب جميعها ، كما هو في حاجة إلى تربية الخلق والوجدان والارادة والذوق والشخصية . ولا يمكن أن يحقق المعلم غايته في ذلك . الا اذا اهتم بالقيم الاسلامية وأبرزها في دروس الدين . وجعلها أمام التلاميذ قيما تتعلق بحياتهم ومستقبلهم حتى يقبلوا عليها برضا وحب ، يجعل منها جزءا من وجدانهم وأفكارهم . وقد أشرت إلى ذلك في موضوعات العبادات وتدريسها . وبينت أن الغرض من التربية الاسلامية ليس حشو أذهان التلاميذ بالمعلومات ، وتعليمهم من الاشياء ما يعلموا ، بل الغرض ان نهذب أخلاقهم ، ونربي أرواحهم ونبث فيهم الفضيلة ، ونعودهم الاداب السامية ، ونعدهم لحياة طاهرة قوامها الاخلاص والعدل والصفاء .

فالهدف الاسمى من التربية الاسلامية هو تهذيب الخلق ، وتربية الروح ،

---

(١) انظر النفس المنبثقة في المدرسة والبيت ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ ل . توماس هوبكنز ترجمة الدكتور محمد علي العريان .

وكل قول وفعل وحركة من معلمي التربية الاسلامية يجب أن تكون درس أخلاق .

وتنظيم الاتجاهات وتعديلها لدى الاطفال يجب أن يكون مقصودا في كل درس لان القيم وان كانت واضحة في كل تعاليم الاسلام ، الا ان اتجاهات الافراد والمجتمع ربما تكون متأثرة بعوامل اخرى من مذاهب وأفكار لا تتصل بالاسلام في شيء . ولكي نجعل من القيمة شيئا جوهريا في نفوس التلاميذ . لا بد من تعديل هذه الاتجاهات ومحاولة القضاء على مؤثراتها التي تطرق على الطفل بابه في أجهزة الاعلام والصحافة . ودور التعليم . ومهمة معلم التربية الاسلامية نحو ذلك واضحة . اذ بمقدوره المقارنة بين هذه الاتجاهات الدخيلة والاتجاهات الاسلامية السامية ، وبيان الفرق بينهما في حياة الانسان وفكره وعقيدته . وان يعتمد في ذلك على الحقائق الاسلامية في القرآن والحديث والسيرة ولا يكون كل همه عرض الموضوعات المقررة على التلاميذ . والانتقال منها إلى عملية تقويم المحفوظ والمفهوم لديهم . لانه بذلك يلغي أثر التربية الاسلامية نهائيا .

وقد اهتم علماء التربية الاسلامية بهذه الجوانب .

فالفارابي وابن سينا واخوان الصفا يرون ان الكمال الانساني لا يتحقق الا بالتوفيق بين الدين والعلم . ذلك التوفيق الذي يجعل من القيم الاسلامية شيئا متصلا بحياة الفرد في كل مجال وعمل .

والغزالي يرى . ان محور التربية الحقة هو التقرب إلى الله ، والا يقصد المتعلم بالتعلم الرياسة والمال والجاه ، ومباهاة الأقران . وهذا يعني التربية الخلقية قبل كل شيء .

وفي كشف الظنون قال الحاج خليفة [1] .

ليس الغرض من الدرس تحصيل الرزق في هذه الدنيا ، لكن الغرض الوصول إلى الحقيقة وتقوية الخلق وهو يعني الوصول إلى الحقيقة العلمية والخلق الكامل .

فالتربية الاسلامية التي ننشدها الآن في مدارسنا يجب أن تقوم على هذه الحقائق التي أدركها علماؤنا الاسلاميون في عصور السلف ، واستطاعوا عن طريقها أن يربوا أجيالا كانت في ايمانها وقوتها وصلابة ارادتها ، موضع احترام العالم وتقديره . وعلى المعلمين أن يعتنوا بتلك القيم والاتجاهات ، وان يخاطبوا الاطفال على قدر عقولهم بعبارات يفهمونها ، ولغة جيدة ترتقي بألفاظهم وأساليبهم ، وأن يضعوا كل طفل في الموضع اللائق به ، وأن يتسع حلمهم لهم جميعا بلا تفرقة أو تمييز . وفي هذا يقول الرسول الكريم (نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ، ونخاطبهم على قدر عقولهم) . ويقول أيضا (ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم) . والتربية الحديثة تهتم بذلك . وتدعو إلى مراعاة المستوى العقلي والعلمي للتلاميذ حتى يدركوا ما يقال لهم .

واهتمام المعلم بأهداف التربية الاسلامية وبثها في نفوس التلاميذ ليس أمرا عسيرا لانهم مفطورون على حب الحق والفضيلة والخير . وغايتنا لا تخرج عن ذلك لانها بث الاخلاق الكريمة ، وغرس الفضائل ، والتمسك بها ، والميل إلى الحق والعدل . واجتناب الظلم والشر ، والتفكير في النواحي الروحية والانسانية ، وتفريغ القلب من الشهوات والاهواء ، والاهتمام بالدين والعلم والعمل .

---

(١) كشف الظنون ص ١٦ .



الفَصْلُ الرَّابِعْ

نماذج تدريبية
لإعداد دروس التربية الإسلامية



نظرة حول طرق التدريس

قبل ان أعرض عليك شيئا من هذه النماذج أحب أن تعرف بعض المفاهيم التي اوردها علماء التربية عن طريقة التدريس ، والتعاريف التـي حاولـوا أن يطلقوها وأن يدخلوها في نطاقها . ولا يقتضي الامر منـا أن نفـرق من تاريخ التربية عبر العصور لنتعرف على ذلك وإنما يكفي أن نشـير إلى بعض ما أورده علماء التربية في العصر الحديث .

فقد اتفقوا الى أن طريقة التدريس يجب أن تؤدي إلى :

١) **إثارة الميل .**

أي أن تقوم طريقة التدريس على إثارة ميل في التلميذ . وإثارة الميل كما يقول الدكتور أبو الفتوح رضوان[1] « هي تنبيه رغبة من نفس التلميذ أي حفزه الى أن يرغب في شيء ، أو في أن يعمل شيئا في نتيجته أن يتعلم أي ان يغـير سلوكه ، والرغبة ، إحساس داخلي يظهر نتيجة لموقف يخرج هذه الرغبة من حيز القوة إلى حيز الفعل ، هذا الموقف المثير لا تعنينا طريقته ولا كيف يتفق . قد يكون حادثة حدثت في البيئة وقـد يكون خبـرا في جريدة ، وقـد يكون موقفا أوجده المدرس وهندسه وحبك أطرافه فلا يكون للتلميذ مناص من ان يتنبه اليه

---

(١) منهج المدرسة الابتدائية ص ١٣٨ دار القلم الكويت ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م

ويرغب في العمل فيه ومنه ثم يتعلم ، وعلى ذلك فالمهم أن يتوافر موقف تعليمي سواء أكان طبيعيا أم صناعيا يثير رغبة التلميذ ويؤدي الى خبرة أو تجربة ومن ثم الى تغيير في السلوك . فالمسألة ليست مسألة التلميذ وحده ، وإنما هي عملية تفاعل بين المدرس والتلميذ والموقف الخارجي ، ويترتب على هذا إيقاظ رغبة التلميذ في أن يتعلم » .

٢) بروز الهدف :

اي جعل التلميذ يشعر بأن العملية التعليمية سوف تحقق له هدفا يسعى هو إليه ، ويحس من خلاله براحة نفسية وسعادة ليس في استطاعته الحصول عليها بغير عملية التعلم ، ومن أجل ذلك يسهل الصعب ، وتمتد الحوافز ، وترتفع الهمم ، ويقف التلاميذ من عملية التعلم موقف القبول والرضا .

لهذا كانت طريقة الإلقاء والحفظ طريقة عقيمة وغير مجدية في عملية التعلم . فالمعلم الذي يهتم بالإلقاء ويحرص على أن يحفظ تلاميذه الآيات القرآنية ، والحديث الشريف بدون غرض واضح وهدف محدد لديهم . سرعان ما ينسون هذه الآيات وهذه الأحاديث علاوة على عدم فهمهم لمضمونها وما يتصل منها بحياتهم وحياة الناس .

أما إذا أبرز المعلم الهدف منها ، وساقها بحيث تلتقي والغرض الذي ينشده التلميذ من موقفه التعليمي ، فإنه فوق إدراكه لها وفهم معناها تصبح عملا حياتيا له ، وتؤثر في سلوكه وانفعالاته تأثيرا ايجابيا ، ويكون ذلك في الغالب بربط الدرس بمشكلة اجتماعية ، بل جعل المشكلة محورا تدور المعاني المراد إبرازها حوله .

٣) وضع الخطة :

الخطة المثلى هي تلك التي يضعها المدرس والتلاميذ معا فتكون مفهومة للتلاميذ ، وتضمن أن يسير النشاط التعليمي بذكاء من جانب التلاميذ ، لذلك يجب أن يشرك المعلم تلاميذه في وضع خطة الدرس بأي صورة من الصور .

وهناك عدا الخطة التي يضعها المدرس مقدما ثم يصل اليها مع التلاميذ بطريقة الحوار عن طريق توجيههم في عملية تفكير سليمة يعرف نتيجتها مقدما ، ويحرص من خلالها أن يصل إلى الفرص الذي يحفز التلاميذ على قبول عملي النعلم والحرص عليها والاهتمام بها .

٤) تنفيذ الخطة :

سواء أكانت موضوعة من قبل المعلم والتلاميذ او كانت موضوعة من قبل المعلم وحده . المهم أن تنفيذ الخطة بحيث تحقق الغرض من الموقف التعليمي بالصورة التي يحس فيها التلاميذ بأن هذا الفرض جزء من حياتهم يحرصون عليه ويهتمون به ويشعرون بالسرور لمناقشته والعمل من أجله .

٥) المراجعة :

أي مراجعة النفس ومحاسبتها ونقد الخطة ومحاولة التعرف هل حققت أغراضها ؟ هل وصلت بنا الى الأهداف المرجوة ؟ هل تفاعل معها التلاميذ ووصلت بهم إلى الفرض من العملية التعليمية ؟ هل أثرت في السلوك وعملت على تعديل الاتجاهات ؟ . والمراجعة بالطبع تقتضي تعديل الخطة اذا لزم الأمر ، والإسراع أو الإبطاء في التنفيذ ، والإضافة أو الحذف من الموضوعات المقررة على التلاميذ .

٦) التقويم :

ويشترك فيه المعلم مع تلاميذه ، ويرجى منه الإجابة على الأسئلة التي تطرح نفسها دائما . هل نجحت العملية التعليمية ؟ هل حققنا غرضنا منها ؟ هل تغير سلوكنا نتيجة الدرس عدا فن التهذيب أي أننا يمكن أن نقول : هل الصداقة والمحبة والتعاون والإيثار والتضحية والوفاء والصدق والعدل أصبح سلوكنا كما هي أهداف دروس الدين ؟ هل بعد ان درس التلاميذ ما درسوا تغيرت اتجاهاتهم وتعدل سلوكهم ؟ إذا كان هذا قد حدث فقد تعلم التلاميذ وثمر لتعليم . والتحقق من هذا هو معنى التقويم ، والمراجعة والتقويم عمليتان متصلتان ، أو هما جزءان لعملية واحدة تتم أولاهما أثناء النشاط التعليمي وتتم الأخرى في نهايته .

وأحب أن أبين للمعلمين والمعلمات أن مراعاة هذه الشروط ليست بالأمر العسير ، فهي لا تتعدى وقفة تأمل عند نهاية كل موضوع ، أو عند الانتهاء من وحدة تعليمية كاملة (كالصلاة أو الزكاة مثلا) ومحاولة جعل التلاميذ يؤدون مضمونها عملا وقولا مع الحوار والمناقشة ، إن هذا حقا يجعل الدروس مثمرة ، ولا تعنينا بعد ذلك طريقة بعينها ، وإن كان من المستحب أن ينتقل المدرس بين الطرق حسب الظروف والمواقف ، أي لا يتعصب لطريقة بعينها مهما قيل عنها إنها حديثة أو قديمة ، ويكون معيار اختياره للطريقة هو مدى قدرتها على تحقيق الأسس الستة السابقة ومتى تحققت هذه الأسس فكل الطرق سواء .

أما تعريف الطريقة كما جاء في بعض كتب التربية الحديثة فهو :

عرفها :

« إدجار بروس ويزلي » فقال : هي سلسلة من النشاط الموجه للمدرس الذي ينتج عنه تعلّم لدى التلاميذ أو هي العملية أو الإجراء الذي يؤدي تطبيقه

الكامل إلى التعلم ، وهي الوسيلة التي عن طريقها يصبح التدريس فعالا[1] .

ويعرفها الأستاذان : على الجمبلاطي وأبو الفتوح التوانسي بأنها الأساليب التي يتبعها المدرس في توصيل المعلومات الى أذهان التلاميذ[2] .

وعرفها : الأستاذ محمد عطية الإبراشي « بأنها الوسيلة التي نتبعها لتفهيم التلاميذ أي درس من الدروس في أي مادة من المواد أو هي الخطة التي نضعها لأنفسنا قبل أن ندخل حجرة الدراسة ونعمل لتنفيذها في تلك الحجرة بعد دخولها » . أما المربي الأمريكي « كلباترك Kilpatric-k» فيرى أن الكلمة طريقة التدريس معنيين : معنى محدودا ويقصد به إيصال المعلومات إلى التلاميذ : ومعنى شاملا : ويقصد به إكساب المعلومات والمهارات مضافا إليها وجهات نظر وعادات من التفكير وغيره »[4] .

ويرى الأستاذ محمد عبد الرحيم غنيمة : أن طرق التدريس تعنى الوسائل العملية التي بها تنفذ اهداف التعليم وغاياته[5] وهي نظرة شاملة تندرج تحتها الإدارة التعليمية ، والفكر التربوي ، وطريقة التدريس والنشاط النفسي والاجتماعي والرياضى المتصل بعمليات التعليم .

---

(١) Edgar Bruce, mesly. Teaching Social Studies in High schools « The third Edittion » Boston U.S.A 1950 PP 421 - 422

(٢) الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية ص ٢٣ دار نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٧١ م .

(٣) روح التربية والتعليم ص ٢٦٧ ط عاشرة . القاهرة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .

(٤) التربية وطرق التدريس ط ثالثة للأستاذين صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد ص ٢٤٢ دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

(٥) تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ١٧٧ وما بعدها . تطوان المغرب . دار الطباعة المغربية ١٩٥٣ م .

ويرى كثير من علماء التربية أن طريقة التدريس تعني التخطيط الدقيق للمادة العلمية وتنظيمها تنظيما ميسرا يجعلها في متناول إدراك تلاميذ كل مرحلة من مراحل التعليم ، وأن المعلم وحده هو المسؤول عن هذا التخطيط وتنفيذه بالطريقة التي يراها ملائمة له ولمستويات تلاميذه ، مع محاولة التأثير في سلوكهم وتغيير عاداتهم .

وهذا يجعلنا ندرك أن طريقة التدريس هي وسيلة المدرس لتحقيق أهداف العملية التربوية بكل مشتملاتها التعليمية والسلوكية والأخلاقية والنفسية .

لذلك فإننا نستطيع أن نقول إن طريقة تعني أكثر من مجرد أداة لتوصيل المعلومات والمعارف إلى ذهن المتعلم .

إنها بالدرجة الاولى أداة لمساعدة المتعلم على اكتساب المهارات والعادات والاتجاهات والميول والقيم المرجوة لأي مجتمع من المجتمعات ، لأننا نعلم أن هذه الأمور جميعها قابلة للاكتساب والتغيير والتعديل ، والعملية التربوية هي التي تقوم بذلك ، وطريقة التدريس جزء من العملية التربوية بل تعد الأساس الأول لها .

إن المعلم الجيد يجب أن يدرك أن التغير المطلوب من سلوك المتعلم هو الهدف الأساسي لعملية التدريس . وأن نجاح التدريس وطريقته إنما يقاس بمقدار ونوعية التعلم الذي ينتج عنه لدى المتعلم ، والذي يُرى من سلوكه وقيمته قبل أن يُرى من معارفه .

وقد تبين بعد الدراسات التربوية الدائمة والمتصلة أن نشاط التدريس وموقف المدرس وعمله متعدد الجوانب : فهو يشمل التحدّث والشرح ، والوصف ، والتصوير ، والتوضيح ، وضرب الأمثلة وإجراء التجارب ،

والإشارة ، والإملاء والكتابة والتوجيه ، والإرشاد ، والمقارنة ، والموازنة ، والتحليل والتعديل ، والاستقراء ، والاستنباط ، والقياس والتقويم وغير ذلك .

وليس في مقدور معلم أن يلم بكل هذه الجوانب وأن يصل فيها إلى الغاية المرجوة بطريقة تدريس واضحة المعالم .

فإذا كان هذا هو مفهوم طريقة التدريس ، وكانت هذه هي وظيفتها ، وهذا هو دورها في العملية التربوية ، فإننا لا نتصور أن هناك من يشك في أهميتها وضرورتها للعملية التربوية ، لأنه بدون طريقة التدريس الواضحة المعالم ، المحددة الأهداف لا يمكن أن تنتقل الأفكار والمعارف والمهارات والاتجاهات والقيم والخبرات من المعلم الى المتعلّم . فطريقة التدريس هي الوسيلة التي بها يستطيع المعلم أن ينظم أفكاره وأن يرسم طريقه للوصول إلى ما يريد تحقيقه مع تلاميذه .

ومن هذا المنطلق سوف أعرض عليك بعض النماذج لإعداد دروس التربية الإسلامية في المرحلة الابتدائية :

« تدريس القرآن الكريم »

لتدريس القرآن الكريم في المرحلة الابتدائية أهداف أساسية يجب أن يدركها المعلم إدراكا واضحا وأن يركز عمله لتحقيقها بكل الوسائل الممكنة . وأن يجعل دروس القرآن كلها في كل صف وفي كل حصة تدور حول هذه الأهداف وتتصل بها اتصالا وثيقا حتى يمكن في النهاية الوصول الى الغاية المرجوة من تدريس القرآن الكريم .

وهذه الأهداف باختصار هي :

١) تدريب ألسنة التلاميذ على أسلوب القرآن الكريم ، وارتباطهم به ، والتعود على قراءته بصورة صحيحة .

٢) ارتباطهم بالفصحى وجعلها لسانا لهم في حياتهم بدلا من اللهجات المنتشرة في كل إقليم من أقاليم العالم العربي .

٣) فهم المعنى الأجمالي لآيات القرآن الكريم ، والتعرف على قضاياه وأحكامه ومدى اتصالها بحياتهم اليومية .

٤) زيادة مهارتهم في الحفظ والفهم بالتدريب المستمر على قراءة القرآن الكريم وحفظه .

لهذا فإن المعلم حين يريد أن يعد درسا في القرآن الكريم للحلقة الأولى الابتدائية « الصف الأول والثاني » فإن عليه أن يتبع هذه الخطوات ليحقق عن طريقها هذه الأهداف .

تدريس سورة النصر

١) الهدف العام :

تقويم ألسنة التلاميذ على أسلوب القرآن الكريم وجعلهم ينطقون ألفاظه نطقاً صحيحا ، ويدركون المعنى الإجمالي للسورة إدراكا واضحا .

٢) الهدف الخاص :

تدريس سورة النصر مع بيان لماذا طلب الله من رسوله أن يحمده على هذا النصر وأن يستغفره في كل وقت .

٣) التمهيد :

وهو في العادة يكون بأسئلة تشد انتباه التلاميذ الى الدرس وتبرز قدراتهم

الذكائية وذلك مثل :

١) متى تذاكر دروسك ؟

٢) كيف تحقق النجاح في حياتك وفي المدرسة ؟

٣) هل ينتصر الانسان اذا كان مع الحق ؟

٤) ماذا يجب على الإنسان إذا وقف الله معه في أموره ؟

٥) لماذا نصر الله محمدا صلى الله عليه وسلم ؟

٦) متى تشكر أباك أو زميلك أو صديقك ؟

٤) الوسيلة :

وهي ميدان واسع تتضح فيه قدرات المعلم وملكاته الابداعية ومنها على سبيل المثال :

استخدام المسجل ، والبطاقات ، والصور والمجسمات واللوحات وغيرها .

وفي هذه السورة :

يستخدم المعلم أولا : لوحة للكعبة الشريفة يناقش فيها تلاميذه حول مكانة البيت الكريم ، وتعظيم الله له ، وحنين الرسول اليه بعد هجرته ، وكيف حقق الله له النصر والفوز بفتح مكة ، ودخول الناس في دين الله أفواجا .

وثانيا : يستخدم المسجل في مكان من الدرس للتأكد من صحة النطق وسلامة الأداء .

٥) العرض :

١) إعلام التلاميذ بدرس اليوم وكتابة عنوانه على السبورة بعد كتابة التاريخ .

٢) مناقشة التلاميذ بأسئلة التمهيد .

٣) تنشيط التلاميذ باستخدام الوسيلة « اللوحة » .

٤) قراءة السورة قراءة نموذجية .

٥) إعادة القراءة عدة مرات مع ملاحظة انتباه التلاميذ ومتابعتهم .

٦) تقسيم الصف الى مجموعات كل مجموعة تردد السورة خلف المعلم .

٧) تقسيم السورة إلى أجزاء وكل مجموعة تردد جزءا حتى الانتهاء من السورة .

٨) إدارة آلة التسجيل ليستمع التلاميذ إلى تلاوة دقيقة للسورة عدة مرات مع التوقف عند الكلمات التي تحتاج إلى إيضاح في النطق أو يجد التلاميذ فيها صعوبة .

٩) أبين المعنى الإجمالي للسورة .

١٠) توضيح القيمة الأخلاقية والاجتماعية والتربوية التي تتضمنها السورة .

١١) الاستماع الى بعض التلاميذ الذين قد حفظوا السورة .

١٢) معالجة المشكلات التي لاحظها المعلم خلال الدرس « من النطق ، أو من الفهم ، أو الاستيعاب » .

٦) التقويم :

وهو عبارة عن قياس نجاح خطة الدرس ، ومدى إدراك التلاميذ له .

أما قياس نجاح خطة الدرس فيدركه المعلم من تحقيق أهداف درسه وخطواته في الزمن المحدد للحصة .

وأما قياس مدى إدراك التلاميذ للدرس . فيكون بالحوار حول ما تضمنه الدرس من مفاهيم وما قصد اليه المعلم من أهداف . مثل :

١) لماذا نصر الله رسوله وأيده بالمؤمنين الصادقين ؟

٢) ممن نطلب المغفرة والتوبة ؟

٣) متى نزلت سورة « النصر » على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

٤) بماذا بشرت السورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

٥) ماذا طلب الله من رسوله في هذه السورة ؟

٦) ماذا يجب عليك نحو ربك حين يمنحك النجاح في المدرسة أو في عمل تقوم به ؟

إعداد درس في القرآن الكريم

للحلقة الثانية الابتدائية (الصف الثالث والرابع) الهدف العام . والهدف الخاص ، والتمهيد ، والوسيلة ، خطوات أساسية في كل درس للحلقتين الأولى والثانية وليس هناك اختلاف يذكر إلا في العرض ، والتقويم . لأن قدرات تلاميذ الحلقة الثانية تختلف عن قدرات تلاميذ الحلقة الأولى من حيث القدرة على القراءة والكتابة والإلمام بالمهارات المختلفة والتدريب على المقاطع وغيرها .

لذلك فإن عرض الدرس في الحلقة الثانية يجب أن يراعى فيه ذلك . وخطواته المقترحة كالآتي :

١) يخبر المدرس تلاميذه عن درس اليوم وموقعه من صفحات الكتاب .

٢) يكتب تاريخ اليوم ، ثم عنوان الدرس على السبورة .

٣) يقرأ السورة قراءة واضحة والتلاميذ يتابعونه في الكتاب .

٤) يعيد القراءة عدة مرات حتى يتأكد من أن جميع التلاميذ قد أدركوا النطق الصحيح للكلمات .

٥) يستخدم الوسيلة فيدير المسجل ليستمع التلاميذ إلى تلاوة صحيحة أكثر من مرة مع التوقف عند الكلمات التي تحتاج إلى دقة في النطق ، ثم يعرض بطاقاته التي سجل عليها الكلمات الصعبة ويطلب من التلاميذ نطقها وذكر معناها .

٦) يطلب من بعض التلاميذ قراءة السورة من الكتاب .

٧) يعيد القراءة ببطء مع التوقف عند الكلمات التي لم يستطع التلاميذ نطقها نطقا صحيحا .

٨) يقسم السورة إلى وحدات يقرأ الوحدة الأولى ويطلب من التلاميذ قراءتها ، ثم ينتقل إلى الوحدة أو الفقرة الثانية فالثالثة حتى نهاية السورة .

٩) يوضح المعنى الإجمالي للسورة مع ربطه بقضايا الحياة وما يدور في بيئة التلاميذ وعصرهم الذي يعيشون فيه .

١٠) يطلب من التلاميذ التوجه بالأسئلة حول ما فهموه من الآيات وما يثور في وجدانهم من معان .

التقويم :

ويستخدم فيه المعلم أسئلة تتلاءم مع قدرات التلاميذ العقلية والمعرفية .

والمنهج المراد دراسته في القرآن الكريم للمرحلة الابتدائية هو :

للصف الأول :

سورة الفاتحة ، والناس ، الفلق ، الإخلاص ، المسد ، النصر ، الكوثر ، الماعون ، قريش ، الفيل ، العصر ، القدر ، التين ، الشرح .

للصف الثاني :

الأعلى ، الغاشية ، البلد ، الشمس ، الليل ، الضحى ، العلق ، الزلزلة ، العاديات ، القارعة ، التكاثر ، الهمزة ، الكافرون .

للصف الثالث :

الحفظ : عبس ، التكوير ، الانفطار ، الانشقاق ، البروج ، الطارق ، الفجر ، البينة .
التلاوة : الجزء التاسع والعشرون .

للصف الرابع :

الحفظ : المدثر ، القيامة ، النبأ ، النازعات ، المطففين .
التلاوة : الجزء الثامن والعشرون .

دروس العبادات

أهداف تدريس العبادات :

١) تهذيب النفس والعمل على ترقيتها سلوكيا واجتماعيا وربطها بالخالق .

٢) صيانة الإنسان من الوقوع في كثير من الزلل .

٣) تعليم الإنسان النظافة البدنية والخلقية والإجتماعية والنفسية .

٤) تقرب بين بني الانسان فتجعلهم جميعا على سواء في الحقوق والواجبات الدينية والدنيوية .

٥) توحد أبناء الأمة الإسلامية وتجعلهم جميعا على ضعيد واحد من الاتجاهات الفكرية والعلمية والاجتماعية .

٦) تجعل المرء ينسى عصبيته وقبلّيته وشعوبيّـته الإقليمية وينصهر في بوتقة الأمة بجميع ألوانها وأشكالها .

إعداد درس في الوضوء والصلاة

١) الهدف العام :

بيان حقيقة الصلاة وأنها لقاء بين العبد وربه يعرض فيه قضاياه وأعماله على خالقه كل يوم خمس مرات ، وتوضيح أهمية الصلاة بالنسبة للتلميذ في حياته ومستقبله .

٢) الهدف الخاص :

تدريس الوضوء وبيان كيفيته ، مع التركيز على أهمية نظافة البدن والثياب .

٣) التمهيد :

وهو عبارة عن أسئلة تثير التلاميذ وتشد انتباههم وتحرك ذكاءهم . من مثل .

١) ما العبادة التي يؤديها المسلم والمسلمة كل يوم ؟

٢) كم صلاة يؤديها المسلم في يومه وليلته ؟

٣) أين يؤدي التلاميذ هذه العبادة في المدرسة ؟

٤) كيف يستعد المسلم لهذه العبادة ؟

٥) ما أجمل وقت تسعد فيه بلقاء والديك ؟

٦) ماذا يفعل المسلم قبل الذهاب الى الصلاة ؟

٧) الوضوء طهارة ونظافة . هل يقبل الله صلاة بغير وضوء ؟

٨) متى يكون الوضوء كاملا ؟ ومتى يكون ناقصا ؟

٤) الوسيلة : وهي هنا قسمان

آ) لوحة عليها صور تبين كيفية الوضوء بالترتيب .

ب) وسيلة عملية : وهي الخروج بالتلاميذ الى المصلي وأداء الوضوء أمامهم ، وجعلهم يؤدونه مثلما أديت .

٥) العرض :

١) يكتب المعلم عنوان الدرس على السبورة بعد التاريخ .

٢) ينبه التلاميذ الى أن درس اليوم درسا عمليا هو الوضوء أو الصلاة إن كان درس صلاة .

٣) يوضح لهم أن الصلاة رياضة بدنية ونفسية يتعلم الإنسان عن طريقها النظافة والصبر والنظام والتواضع .

٤) يبين لهم أن الوضوء ضروري قبل الصلاة .

٥) يتجه بهم الى مصلي المدرسة ويتوضأ أمامهم مع التشخيص لكل خطوة يؤديها لهم تشخيصا يعينهم على تمثلها وفهم الغاية منها .

٦) يطالب بعض التلاميذ باعادة الوضوء وهو يتابعهم مع باقي التلاميذ .

٧) يعرض عليهم الوسيلة ويناقشهم حولها مع التركيز على .

آ) أهمية غسل كل عضو من أعضاء الضوء غسلا كاملا ، والفائدة من ذلك .

ب) توضيح أن الوضوء جزء من الصلاة فلا تصح الصلاة بدونه .

جـ) جعْلُ التلاميذ هم الذين يستخدمون الوسيلة .

٨) إعادة تمثيل الوضوء بالطريقة المزدوجة التي تجمع بين التقرير والحوار على النحو التالي :

عند غسل اليدين الى الرسفين ثلاثا يقرر قائلا : أغسل يدي الى الرسفين ، ويثنى محاورا . ماذا فعلت الآن ؟ كم مرة أغسل يدي الى الكوعين ، وهكذا حتى ينتهي من الوضوء .

٩) يطلب من بعض التلاميذ أن يفعلوا مثلما فعل ويدير الحوار والمناقشة حول فعلهم مع زملائهم .

١٠) يعود المعلم الى الوسيلة للمناقشة حولها ، ويمكن أن يعد صورا تمثل حركات الوضوء بمساعدة التلاميذ .

التقويم :

وهو عبارة عن قياس نجاح خطة الدرس ومدى إدراك التلاميذ له .

ويمكن أن يستخدم فيه مثل هذه الأسئلة .

١) لماذا كان الوضوء جزءا من الصلاة ؟

٢) ما أهمية النظافة بالنسبة للإنسان ؟

٣) لماذا اهتم الإسلام بنظافة أعضاء الوضوء ؟

٤) ماذا نقول حين نبدأ الوضوء ؟

٥) متى يتوضأ المسلم والمسلمة ؟

٦) كيف تتوضأ للصلاة ؟

٧) ما الأعضاء التي يكفي مسحها ؟ وما الأعضاء التي يجب غسلها ؟

٨) رتب خطوات الوضوء التالية ترتيبا صحيحا .

غسل الرجلين ـ غسل اليدين ـ غسل الوجه ـ مسح الرأس ـ النية .

مع ملاحظة أن تقويم نجاح الخطة يرجع الى إدراك المعلم لأهداف درسه ، والمدة الزمنية التي حقق فيها هذه الأهداف والطرق والوسائل التي اتبعها لنقل هذه الأهداف الى تلاميذه وللمعلم حرية التصرف في الحذف أو الإضافة لخطوات الدرس بما يتلاءم مع قدرات التلاميذ والمدة الزمنية المحددة للحصة وقد أشرت الى أن هذا الدرس للوضوء والصلاة ، وذلك لأن الخطوات التي أوردتها يمكن أن يتبعها المعلم في إعداد دروس الصلاة . كما يجوز له أن يدمج بين الوضوء والصلاة في درس واحد بعد أن يكون التلاميذ قد تعرفوا على الوضوء وأصبح مألوفا لديهم ، وذلك حتى يحقق الربط بين الشيء وما هو له أصلا .

مع ملاحظة أن دروس الصلاة ممتدة ومتتابعة طوال المرحلة الابتدائية .

ففي الصف الأول :

يتدرب التلاميذ على الوضوء والصلاة تدريبا عاما .

وفي الصف الثاني :

يتعرفون على : نواقص الوضوء ، الآذان والإقامة شروط صحة الصلاة ، الصلوات المفروضة ، أوقاتها ، كيفية أداء الصلاة ، أركان الصلاة ، النوافل ، مبطلات الصلاة .

وفي الصف الثالث :

يتعرفون على الصلاة خلف الامام ، حكم صلاة الجماعة فضيلة الصلاة في بيوت الله ، صلاة الوتر ، دعاء القنوت ، صلاة الجمعة والعيدين .

وفي الصف الرابع :

يقوم المعلم باستعراض عام لدروس الصلاة التي مر بها التلاميذ في الصفوف السابقة ، كما يدرس للتلاميذ صلاة المسبوق ، سجود السهو .

وفي جميع الصفوف وفي معظم الدروس يجب أن يتوجه المعلم بتلاميذه الى المصلى لتكون دروسه على الطبيعة ، وليرتبط القول بالفعل في المكان الصحيح .

« إعداد درس في الصوم »

أولا :

أهداف عامة لتدريس الصوم :

١) الوقوف على أن الصوم أحد أركان الإسلام وأن الله أمر به عباده منذ خلق بني الإنسان قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »[١] .

٢) بيان أن الصوم وسيلة للتربية الروحية والتهذيب النفسي ، والقدرة على ضبط النفس . وأن الإسلام حريص على أن يتحلى أبناءه بهذه الصفات .

وكان حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبراز هذه القيم واضحا حيث قال : من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وقال أيضا : الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » وقوله : للصائم فرحتان يفرحهما : « إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا القى ربه فرح بصومه » صدق رسول الله .

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٣

٣) الصوم يوجه الأبناء الى التحلي بالأخلاق الحميدة واكتساب العادات الطيبة واتباع السلوك الحسن ، والصبر على المواقف الصعبة ومواجهة المحن بثبات وقوة .

٤) يجعل التلاميذ يحرصون على طاعة الله ، والرجاء في ثوابه والخوف من عقابه ، والتبصر بأمور الدين الغيبية التي يجب الإلتزام بها والحرص عليها إرضاء لخالقهم .

٥) يؤكد حقيقة المساواة بين المسلمين ، وتعادلهم بين يدي الله إذا حرصوا على اتباع أوامره واجتناب نواهيه ، لما يبث في نفوسهم العطف على الفقراء والمحتاجين ، ويرشدهم إلى جوانب المحبة والتسامح والإخاء .

٦) يعمل على تربية الضمير الذي يعصم الإنسان من الزلل ويستثير فيه نوازع الخير ويكفل له أسباب النجاح ويقربه من ربه ومن الناس ، وييسر له أمور دنياه كما يسهل عليه أمور دينه .

ثانيا :

إعداد درس في الصوم

١) الهدف العام :

إبراز جوانب الخير والمحبة والتسامح والرحمة في الدين الإسلامي وتحقيق ذلك كله في الصوم .

٢) الهدف الخاص :

تدريس فريضة الصوم بوجه عام : وبيان فضل شهر رمضان ، ونزول القرآن فيه ، وتكريم الله له بليلة القدر خير من ألف شهر ، وجزاء الصائم عند الله تعالى .

٣) التمهيد :

ويكون بمثل الأسئلة الآتية :

١) بماذا تشعر حين تجوع أو تعطش ؟

٢) ما واجبك نحو الفقراء والمحتاجين ؟

٣) كيف تعود نفسك على الصبر واحتمال المشاق ؟

٤) ما اسم الشهر الذي يصومه المسلمون كل عام ؟

٥) هل تصوم رمضان مع أبيك وأمك ؟

٦) لماذا يحتفل المسلمون بقدوم شهر رمضان ؟

٤) الوسيلة :

فيلم يعرض على التلاميذ يشاهدون من خلاله عادات المسلمين من الصوم ، وقد أصبح ذلك متوفرا بعد أن عرض (تلفاز) الكويت وكذلك بعض الدول الإسلامية ـ طوال شهر رمضان سنة ١٤٠٠ هـ . ١٩٨٠ م أفلاما عن عادات وتقاليد المسلمين في الصوم في جميع أنحاء العالم تقريبا .

ويمكن استخدام صور توحي بالمراد من الدرس . كرجل يتعبَّد وآخر يتلو القرآن وغير ذلك .

٥) العرض :

١) يكتب المعلم عنوان الدرس على السبورة ثم يخبر تلاميذه عن درسه وأهميته .

٢) يناقش التلاميذ بأسئلة التمهيد .

٣) يعرض وسيلة ويدير الحوار مع التلاميذ حولها لاستنتاج الأحكام الشرعية حول الصوم . ويمكن أن يكون الحوار كالآتي :

١) متى يصوم المسلمون ؟ وفي أي وقت من اليوم يباح لهم الفطر ؟

٢) إذا امتنع المسلم عن الطعام ولكن شرب ماء فهل يصح صومه ؟

٣) لماذا فضل الله تعالى شهر رمضان على بقية شهور السنة ؟

٤) في أي شهر بدأ نزول القرآن الكريم ؟ وما أول ما نزل منه ؟

٥) في شهر رمضان ليلة مباركة كرمها الله . ما اسمها ؟ ولماذا كرمها الله ؟

٦) ماذا تفعل اذا كنت صائما ، هل يصح أن تأكل أو تشرب أو تقول قولا غير مقبول أو تعمل عملا غير محبب ؟

٧) ما فائدة الصوم للإنسان صحيا ؟

٨) بماذا يكافىء الله الصائم يوم القيامة ؟

وهكذا يستمر المعلم في تنمية الحوار مع تلاميذه حتى يصل إلى المعارف التي يريد إيصالها إلى التلاميذ . ويفضل أن يستشهد بآيات القرآن الكريم التي أنزلت في الصوم وبأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرها في فضل الصوم ومكانة الصائمين عند ربهم .

٦) التقويم :

وفيه يحاول المعلم التعرف على مدى إدراك التلاميذ لدرسه ويمكن أن يستخدم فيه مثل الأسئلة الآتية :

١) لماذا كان شهر رمضان شهرا مباركا ؟

١) متى يتسحر المسلمون في رمضان ؟

٣) لماذا يحرص المسلمون على الإكثار من قراءة القرآن في رمضان ؟

٤) كيف يؤدي الصائم حق الفقراء في رمضان ؟

٥) لماذا فرضت علينا زكاة الفطر ؟ وما مقدارها ؟ وما أثرها في المجتمع ؟

٦) يقرأ بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالصوم ويطلب من التلاميذ ذكر ما فهموه منها .

٧) لماذا أمرنا الله بكف الجوارح والنفس عن كل ما حرم الله ؟

إلى آخر ما يبدعه المعلم من مناقشات وأفكار ، مع ملاحظة أن دروس الصيام مقررة في (الحلقة الثانية الابتدائية) وما ننشده من خلال هذه الدروس يتصل بالمفاهيم الآتية :

تكريم الله لشهر رمضان ، نزول القرآن فيه ، فضل ليلة القدر ، وجوب صيام هذا الشهر ، جزاء الصائمين ، أثر الصيام في الصحة والنفس والروح والمجتمع .

معرفة بم يثبت اول رمضان ، وبم يثبت آخره ، المفطرات ، زكاة الفطر وأهميتها وأثرها الاجتماعي .

« إعداد درس فـي الزكاة»

أولا :

أهداف عامة لتدريس الزكاة :

١) بث روح التعاون والتعاطف والمحبة بين التلاميذ .

٢) جعل التلاميذ يدركون أن الإسلام جعل من مال الغنى حقا معلوما للسائل والمحروم .

٣) يغرس في نفوسهم الثقة بأن المال مال الله وأن الناس مستخلفون فيه ، ولا بقاء لمال من غير زكاة وإن بقي فهو شقاء وبلاء في الدنيا ، وعذاب وحساب في الآخرة .

٤) يجعل الفقير يشعر بالأمان وإنه مكفول اجتماعيا بأمر من اللـه بلا منٍّ ولا إذلال .

٥) الثقة بالله وأن ما أمر به من عبادات إنما هو لصالح عباده ولاصلاح نفوسهم وحياتهم ومعاملاتهم .

ثانيا :

إعداد درس في زكاة المال

١) **الهدف العام :**

بيان أن الزكاة فريضة كتبها الله على عباده المؤمنين وأنها حق معلوم في أموال الأغنياء للفقراء لإصلاح المجتمع وتنظيمه وإزالة الحقد والحسد بين الناس .

٢) **الهدف الخاص :**

تدريس موضوع زكاة المال ، وبيان مقادير الزكاة ، ومتى تخرج ، ولمن تؤدى ؟

٣) **التمهيد :**

ويكون بمثل الأسئلة الآتية :

١) ما أركان الإسلام الخمسة ؟

٢) هل يصح أن يفرق المسلم بين ركن وركن من أركان الاسلام ؟

٣) إذا ترك المسلم ركناً من أركان الإسلام هل يكون مسلما ؟

٤) لماذا أمرنا الله بالزكاة ؟

٥) ماذا يجب على الأغنياء نحو الفقراء ؟

٦) من الذي رزق الناس المال ؟ وفي أي شيء يجب أن ينفقوه ؟

٧) إذا منحك الله مالاً وفيرا فماذا تفعل به ؟ وكيف تؤدي حق الفقراء منه ؟

٤) الوسيلة :

وسائل حسابية (عدادات) وغيرها لحساب قيمة الزكاة والتعرف على مقادير الزكاة بطاقات توضح قيمتها في المال والأنعام والزروع وعروض التجارة .

٥) العرض :

ويحسن أن يتم على هيئة مناقشة للوصول إلى المفاهيم المراد إيصالها إلى التلاميذ ولاستنتاج الأحكام الشرعية وذلك مثل .

١) ماذا تعرف عن أركان الإسلام ؟

٢) هل الزكاة ركنا منها ؟

٣) لماذا أمر الله الأغنياء أن يعطوا جزءا من أموالهم للفقراء والمحتاجين ؟

وبعد إيضاح هذا المفهوم يتلو المعلم قول الله تعالى :

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقوله تعالى : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم »

٤) بماذا يسمى المال الذي يعطيه الغني للفقير ؟

٥) هل يجوز أن يمتنع الغني عن دفع الزكاة ؟

٦) اذا امتنع غني عن دفع الزكاة فماذا تتوقع له ولماله وأولاده في الدنيا ؟ وما جزاؤه في الآخرة ؟

٧) متى يجب على الغني أن يخرج زكاة ماله ؟

٨) ما مقدار الزكاة ؟

٩) إذا كنت تملك ٤٠ دينارا ومر عليها عام كامل وهي عندك فما الواجب عليك فيها ؟ وما قيمة ما تخرجه منها للفقراء ؟

١٠) اذا كنت تملك مائتي دينار ومر عليها عام فما مقدار الزكاة التي تجب فيها ؟

١١) ما أصناف الناس الذين نعطيهم الزكاة ؟ ولماذا نعطي هؤلاء الناس ؟

وهنا يستشهد المعلم بقوله تعالى : إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم . . . الخ الآية

١٢) للزكاة أثار نفسية واجتماعية فماذا تعرف عنها ؟

١٣) هل تحب أن تعطي من مالك لترضي ربك ولتكسب ود الناس ؟

١٤) يرجع الى الكتاب لقراءة الموضوع وإدراك ما به من أحكام ومفاهيم .

٦) التقويم :

وهو كما ذكرنا عبارة عن قياس نجاح خطة الدرس ومدى إدراك التلاميذ له .

أما معرفة نجاح الخطة فمرجعه الى تقدير المعلم تحقيق (المادة × الزمن = الأهداف) .

وأمّا قياس مدى إدراك التلاميذ للدرس ، فيكون في الغالب بالحوار والمناقشة وتطبيق استعمال الوسائل ، والاستخدامات العملية المختلفة من مختبرات وغيرها .

ويمكن أن يستخدم فيه المعلم والمعلمة مثل هذه الأسئلة .

١) لو أخرج كل غني زكاة ماله ماذا يكون حال الفقراء ؟

٢) المجتمع يكمل بعضه بعضا . فلو عاون الأغنياء الفقـراء ماذا يكون حال المجتمع ؟

٣) من الذين يسهل للناس طريق المال الحلال ؟ وفي أي شيء يجب ان ينفقوه ؟

٤) لمن يجب أن نخرج زكاة المال ؟

٥) لماذا جعل الله تعالى بعض الناس أغنياء وبعضهم فقراء ؟

٦) ليس الفقر عيبا ، ولكن التكاسل والتخاذل وحب السؤال هو العيب . فماذا يجب على المحتاجين ؟

٧) الزكاة مصلحة للغنى والفقير معا ما رأيك في هذا ؟

٨) هل المال الذي يعطيه الغني للفقير حق للفقير فرضه الله له أم هو تفضل من الغنى عليه ؟

٩) أذكر ما تعرفه عن مقادير الزكاة .

إلى آخر هذه الأسئلة التي تتوقف على إبداع المعلم وحسن إدراكه للمفاهيم والقضايا والأحكام التي يريد إيصالها إلى التلاميذ .

مع ملاحظة أن دروس الزكاة (زكاة الفطـر وزكاة المال) من مقـررات الصف الرابع وأن المراد إيصاله من المعلومات إلى التلاميذ يدور حول :

١) أهمية التمسك بأركان الإسلام .

٢) الزكاة ركن من أركان الإسلام .

٣) حكمة الزكاة ، على من تجب ؟ ومتى تجب ؟

٤) الأموال التي تجب فيها .

٥) مقدارها . من يستحقها من الناس ؟

وبالنسبة لزكاة الفطر يحرص المعلم على :

١) إبراز جوانب الحب والتعاطف الذي قصده الشارع من إخراج هذه الزكاة قبل العيد لإدخال السرور على المحتاجين .

٢) بيان على من تجب ؟ مقدارها ، متى تخرج ؟

٣) الربط بين الصيام الذي هو تطهير للنفس وبين الزكاة التي هي تطهير للمال .

« الحج »

أولا :

أهداف عامة لتدريس الحج

١) إبراز جوانب المساواة والإخاء والتواضع بين المسلمين .

٢) التمسك بأركان الإسلام جميعها وبيان رحمة الله في أن جعل الحج على المستطيع وليس على كل مسلم بالضرورة .

٣) الوقوف على ما في الحج من تجميع المسلمين من بقاع الأرض وتضامنهم وتعارفهم وأن في ذلك وحدة الأمة وتقاربها .

٤) الاعتزاز بالكعبة المشرفة والأماكن المقدسة ، ومن بينها بيت المقدس الذي يجب على المسلمين تطهيره من رجس اليهود .

٥) التعود على بذل المال في سبيل الله ، والوقوف على بابه طلبا للحرمة والمغفرة .

٦) التمرس على جهاد النفس ، وتحملها للمشاق إرضاء له وترقية للنفس والروح ، وتطهيرا للبدن والمال .

٧) التعرف على مناسك الحج ، والاهتمام بيوم عرفة كعيد للمسلمين ، والتعود على صومه ودعاء الله فيه والاخلاص له ، والابتعاد عن معصيته ، ورجاء مغفرته .

ثانيا :

إعداد درس في الحج

١) الهدف العام :

إبراز جوانب المحبة والتواضع والتجرد بين المسلمين في مناسك الحج ، ووقوفهم جميعا على صعيد واحد بلا تفرقة بين صغير أو كبير ، عظيم أو فقير ، وهذا مضمون الإسلام ، والحج رمز عليه .

٢) الهدف الخاص :

تدريس موضوع الحج وبيان مناسكه وأماكنه وأعماله وأثره على الأفراد والجماعات .

٣) التمهيد :

ويستحسن أن يكون عن طريق الوسيلة لتشويق التلاميذ وإثارتهم نحو الدرس . فيعرض عليهم الخرائط والصور ويناقشهم حولها للتعرف على أماكن الحج ومواقعها بالنسبة للجزيرة العربية .

٤) الوسيلة : متعددة

خرائط ، صور ، لوحات ، أفلام ، بطاقات ، وغير ذلك مما يراه المعلم مناسبا .

٥) العرض :

يكتب المعلم أو المعلمة عنوان الدرس على السبورة ، ويضع وسائله على جانب منها ، ثم يبدأ بمناقشة التلاميذ بمثل هذه الأسئلة للوصول الى أهداف الدرس .

١) ماذا تعرف عن أركان الإسلام ؟

٢) هل الحج ركن منها ؟

٣) على من يجب الحج ؟

٤) أين تقع الكعبة المشرفة ؟

٥) لأى مكان كان يتجه الرسول صلى الله عليه وسلم بالصلاة قبل أن يأمره ربه بالاتجاه الى الكعبة ؟

٦) حدد على الخريطة أماكن الحج ، وبين عرفات من بينها .

٧) ما الواجب على الحاج في أيام الحج ؟

٨) للحج ركنان اساسيان لا يصح بدونهما . ما هما ؟ ومتى يكون كل ركن منهما ؟

٩) يستخدم المعلم صورا توضح مكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبين أهمية زيارته ، ويمكن أن يعرض فيلما عن ذلك .

١٠) يبين المعلم أهمية اجتماع المسلمين في موقف واحد بعرفات ، ثم يستمر في تنمية المعلومات بالحوار .

١١) هل تعرف في اي شهر وفي أي أيام يؤدي الناس فريضة الحج ؟

١٢) ما أول عمل يعمله الحجاج ؟

١٣) كيف يحرم الحاج ؟ ومن أين يحرم الكويتيون ؟

١٤) اين يقع الصفا والمروة ؟ وماذا يفعل الحجاج عندهما ؟

١٥) متى يذهب الحاج الى منى ؟ ولماذا يذهبون اليها ؟

١٦) أين يرمى الحجاج الجمرات ؟ ولماذا يرمونها ؟

١٧) متى يحلق الحجاج شعورهم أو يقصرونها ؟

١٨) متى يطوف الحجاج بالكعبة الطواف الواجب ؟

١٩) لماذا يذهب الحجاج الى المدينة المنورة ؟

٢٠) ما هي المنافع التي يحصل عليها المسلمون من الحج ؟

وللتثبت من المعلومات يقف المعلم عند ذكر الأماكن ويحددها على الخريطة وبالصور .

٦) **التقويم** :

ويستخدم فيه المعلم أسئلة من مثل :

١) ما فوائد المسلمين من الحج ؟

٢) لماذا جعل الله هذه الفريضة مرة واحدة في العمر ؟

٣) كيف يكون الحج صحيحا ؟

٤) أين يوجد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

٥) اذكر أعمال الحج على الترتيب .

تدريس العقائد

أولا :

أهداف عامة لتدريس العقائد

١) غرس العقيدة الدينية الصحيحة في نفوس التلاميذ .

٢) توضيح جوانب العظمة الإلهية في ذاته وفي مخلوقاته .

٣) الايمان عن يقين بإرسال الرسل وبالملائكة والكتب السماوية واليوم الاخر وما فيه من ثواب وعقاب .

٤) تنقية النفوس من الخرافات والأوهام ، والثقة في الله والتعلق بأحكامه واجتناب نواهيه .

٥) جعل العقيدة الإسلامية وما يندرج تحتها من مفاهيم طريقا للسلوك في الحياة ومنهجا في الفكر والعمل .

٦) التمسك بما في كتاب الله والاقتداء بأقوال وأعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا :

إعداد درس فــي العقيدة

١) الهدف العام :

بيان أوجه العقيدة الإسلامية وإبراز صدق هذه العقيدة واتفاقها مع ظواهر الكون والحياة وأثرها في تهذيب النفوس ورقيها واعتدالها .

٢) الهدف الخاص :

تدريس موضوع (أنا مسلم ـ أنا مسلمة) والتركيز على جوانب الإيمـان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

٣) التمهيد : ويكون بمثل هذه الأسئلة .

١) من خلق الإنسان والحيوان والنبات ؟

٢) أيستطيع أحد غير الله أن يخلق إنسانا ؟ ولماذا ؟

٣) بم يمتاز الإنسان عن الحيوان ؟

٤) أيستطيع أحد أن يحي الموتى ؟ ولماذا ؟

٥) من رب السماء والأرض وما بينهما ؟

٦) ماذا خلق الله لنا في السماء ؟ وماذا خلق في الأرض ؟

٧) لماذا ينزل الله المطر ؟

٨) لماذا أنزل الله على عباده كتبا ؟

٩) من الذي أوجدنا في هذه الحياة ؟

١٠) من الذي يشفينا اذا مرضنا ؟

٤) **الوسيلة :**

١) كل ما يتصل بالكون من عجائب وغرائب ومخلوقات يصلح وسيلة للدلالة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته .

٢) من الوسائل العملية المفيدة أن يذهب المعلم مع تلاميذه الى حديقة المدرسة وحظائرها ويناقشهم حول جميل صنع الله ويصل من خلال ذلك إلى ما يريد .

٥) **العرض :**

١) يعلن المدرس درسه على التلاميذ ، ويكتب عنوانه

٢) يبدأ في الإثارة بأسئلة التمهيد .

٣) يعرض وسيلته ويبدأ في الحوار حولها للوصول إلى أهداف الدرس .

٤) يستدرج التلاميذ بمثل هذه الأسئلة لإيصال ما يريد من المعلومات .

١) من الذي أوجدنا في هذه الحياة ؟

٢) من الذي يرزقنا الطعام والشراب ؟

٣) من يستطيع ان يجعل الحلو حامضا ، والحامض حلوا غير الله تعالى ؟

٤) ماذا تفعل لتكون مؤمنا بالله سبحانه ؟

٥) هل تعرف أن لله جنداً ؟ وماذا نسميهم ؟

٦) اذا رأيت عملا فنيا رائعا فهل تتصور ان هذا العمل ظهر إلى الحياة صدفة أو بدون صانع ؟

٧) إذا وجدت بستانا أشجاره مثمرة بأنواع مختلفة من الثمار (عنب ، تفاح ، برتقال) وغير ذلك من نعم الله التي لا تحصى ، فهل يمكن أن يصنع احد مثل هذه الثمار أو أن يغير طعمها ؟

على أي شيء يدل ذلك؟

وهكذا يستمر المعلم في الانتقال من موقف إلى آخر ومن ظاهرة إلى غيرها حتى يجعل اليقين بالله أمرا ثابتا في وجدان التلاميذ ، وعلى المعلم ان يستشهد بالقرآن الكريم في مواقف الاستشهاد وذلك كقوله تعالى :

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب »[1] .

وقوله تعالى : « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت »[2] .

وغير ذلك من الآيات الكثيرة .

٦) **التقويم** :

ويمكن استخدام فيه مثل هذه الأسئلة

١) بماذا يؤمن المسلم ؟

٢) ما الذي يجب علينا الايمان به ؟

٣) ماذا نستفيد من الإيمان باليوم الآخر ؟

---

(١) سورة ق الآيات ٦ ـ ٨

(٢) سورة الغاشية الآيات ١٧ ـ ٢٠ .

٤) ما جزاء المؤمنين والكافرين يوم القيامة ؟

٥) من الذي نعبده ونطيعه ؟

٦) لماذا نحب الله سبحانه وتعالى ؟

٧) لماذا نحب القرآن الكريم ؟

٨) ماذا تفعل ليحبك الله ورسوله ؟

٩) هل تحب أباك وأمك ؟ ولماذا ؟

١٠) أيكون مسلما حقا من يكذب أو يسرق أو يشتم الناس ؟ ولماذا ؟

١١) بم تصف من لا يصلي ومن لا يتصدق على الفقراء ؟

١٢) كيف تقوم بواجباتك الدينية لترضي ربك ؟

١٣) اذكر بعض مظاهر قدرة الله .

١٤) اذكر اسماء الكتب السماوية وعلى من كان نزولها ؟

وغير ذلك من الأسئلة التي يبدعها المعلم ويقتضيها الموقف التعليمي .

مع ملاحظة أن المراد تعلمه من العقائد في جميع المرحلة الابتدائية هو :

١) الإيمان بالله وملائكته وكتبه رسوله واليم الآخر .

٢) الإيمان ببعض الصفات الواجبة لله تعالى .

وتتدرج المعارف بتدرج السنوات الدراسية وترتقي فيها .

والمعلم المبدع هو الذي يستطيع أن يتمثل أهدافه وأن ينقلها إلى تلاميذه في يسر وسهولة وأن يلاحظ أعمارهم وقدراتهم ومهاراتهم وما حصلوا عليه من معارف .

تدريس السيرة

أولا :

أهداف عامة لتدريس السيرة

١) ربط التلاميذ بأصول الدين والتعرف إلى شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢) اتخاذ القدوة وتمثل أفعالها وأقوالها والتعلق بها .

٣) توحيد الأمة على منهج واحد هو منهج قائدها ورائدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤) وضوح شعار المسلمين وهو « لا إله إلا الله محمد رسول الله » والتعلق به والعمل من أجله .

٥) وضوح الجوانب التطبيقية لأحكام الدين من خلال أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الأكرمين .

ثانيا :

إعداد درس في السيرة

كما اوضحنا قبل ذلك فإن دروس السيرة تدرس بطرق مختلفة هي :

١) الطريقة الطولية :

٢) الطريقة العرضية :

٣) طريقة القصة :

٤) طريقة السرد :

٥) طريقة التمثيل :

ومنهج الصف الأول والثاني والثالث الابتدائي في السيرة موضوع على الطريقة الطويلة ، أي أنه يتناول سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطول بدءا من الميلاد حتى قيام الدولة الإسلامية .

يستطيع المعلم أو المعلمة أن يعد درسه فيها على الطريقة الطولية أو طريقة القصة ، أو الأسلوب الذاتي « السرد » أو التمثيل وسوف أعرض لك درسا على الطريقة الطولية في أحد الموضوعات المقررة على الصف الثاني الابتدائي وليكن :

« رحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف »

١) **الهدف العام :**

إبراز جوانب الصبر والثبات والتضحية والعفو والرحمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل التلاميذ يتعلقون بهذه الصفات ويعشقون السير على منوالها .

٢) **الهدف الخاص :**

تدريس موضوع رحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ليعرض دعوته على أهلها ، وصبره على أذاهم ، وموقفه منهم بعد طرده واتجاهه بالدعاء لله تعالى .

٣) **التمهيد :**

ويكون بمثل هذه الأسئلة .

١) كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام في أول أيام الدعوة ؟

٢) لماذا عانده المشركون ووقفوا في طريقه ؟

٣) من الذي كان يناصره ويشد من أزره ؟

٤) بماذا شعر رسول الله بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجته السيدة خديجة رضي الله عنها ؟

٥) لماذا ذهب الرسول إلى الطائف ؟

٦) ماذا فعل الكفار بالرسول بعد أن علموا بوفاة عمه ؟

٤) **الوسيلة :**

آ) خريطة للجزيرة العربية تبين عليها موقع الطائف . ومدى المسافة التي بينها وبين مكة .

ب) لوحة عليها دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أذاه أهل الطائف وأخرجوه منها .

٥) العرض :

١) إعلان الدرس على التلاميذ وكتابة عنوانه على السبورة بعد التاريخ .

٢) أستخدام أسئلة التمهيد لتشويق التلاميذ وتفتيح أذهانهم للدرس .

٣) عرض الوسيلة وبدء الحوار حولها للوصول إلى أهداف الدرس .

٤) اتباع أسلوب الحوار مع التلاميذ والانتقال من خطوة إلى أخرى لتنمية الفهم وتثبيت المعلومات .

ومن أمثلة الحوار :

١) أين توجد بلدة الطائف ؟

٢) لماذا ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم إليها ؟

٣) هل ذهب الرسول إلى الطائف للتجارة أم لشيء آخر ؟

٤) بماذا قابله أهل الطائف ؟

٥) هل اعتدى عليهم رسول الله أو أذا هم حتى يسلطوا عليه العبيد والسفهاء ؟

٦) ماذا فعل الرسول حين آذوه ؟

٧) لأي شيء كان يدعوهم الرسول ؟

٨) هل كانت دعوته لصالحهم أم لضررهم ؟ ولماذا ؟

٩) بماذا دعا الله حين وجد نفسه وحيدا بعد أن طردوه من الطائف ؟

وهنا يبرز المعلم اللوحة التي كتب عليها دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ،

أنت أرحم الراحمين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم الى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك ، أو يحل بي سخطك لك العتب حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

ويبين للتلاميذ جوانب عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحمله للأذى والتوجه إلى الله بمثل هذا الدعاء في مثل هذا الموقف ليرضى الله عنه ويقف بجانبه ولا يغضب عليه .

وهكذا يستمر الحوار حتى يطمئن المعلم للوصول إلى أهداف درسه :

٦) التقويم :

وهو عبارة عن قياس نجاح خطة الدرس ، ومدى إدراك التلاميذ له .

ويمكن أن يستخدم فيه المعلم أو المعلمة مثل هذه الأسئلة .

١) من يستطيع أن يذكر اسم عم رسول الله الذي كان يحميه من أعدائه ؟

٢) لماذا سمى الرسول صلى الله عليه وسلم العام الذي مات فيه عمه وزوجته عام الحزن ؟

٣) لماذا كان الرسول يدعو الناس إلى الإسلام سرا في أول الدعوة ؟

٤) كيف قاوم الرسول عناد الكفار وإيذائهم ؟

٥) صف رحلة الرسول إلى الطائف .

٦) بماذا ووجه الرسول عند وصوله الى الطائف ؟

٧) لماذا كان هذا الموقف المهين من ثقيف لرسول الله ؟

٨) هل كان الرسول عدو الثقيف ؟ أم أنه العناد والكفر والضلال ؟

٩) بماذا تصف رسول الله ؟

١٠) هل تحب أن تتحلى بمثل صفات رسولنا العظيم ؟ ولماذا ؟

أما منهج السيرة في الصفوف الأربعة فهو كالآتي :

السنة الأولى :

يتعلم التلاميذ : اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، واسم أبيه وجده وأمه ، نشأته عليه السلام ـ مسلكه وهو صغير ـ مرضعته حليمة السعيدية ـ البركات التي حلت ببيت حليمة ـ حبه للعمل صغيرا ـ ما عاناه من اليتم ـ الصادق الأمين ـ ارتضينا الامين حكما .

السنة الثانية :

بدء الوحي ـ موقف ورقة بن نوفل ـ السابقون الأولون في الإسلام ـ مقاومة الدعوة وتعذيب المسلمين ـ الصبر والثبات المقاطعة ـ عام الحزن وتجرؤ المشركين على رسول الله ـ رحلته إلى الطائف ـ دعاؤه المأثور ـ الإسراء والمعراج .

السنة الثالثة :

عرض نفسه على القبائل في موسم الحج ـ بيعة العقبة الأولى والثانية ـ

المؤامرة الكبرى ـ الهجرة ـ أول مسجد في الإسلام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

السنة الرابعة :

الرسول أبا ـ الرسول صديقا ـ معاملة الأقارب ـ معاملته لخادمه ـ تواضعه ـ تسامحه ـ رفقه بالحيوان .

اعداد درس في السيرة
على الطريقة العرضية

ويكون ذلك في الصف الرابع الابتدائي لأن منهج الصف الرابع هو الذي يتفق مع هذه الطريقة حيث أنه مقسم الى مواقف عرضية كما بينت لك في المنهج .

درس
حب الرسول صلى الله عليه وسلم لأولاده

١) الهدف العام :

تعريف التلاميذ أن الأبوة مقدسة وأن حب الأباء لأبنائهم شيء غرسه الله في القلوب ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان محبا لأولاده عطوف عليهم مع ما عنده من مسؤوليات الرسالة وبناء الدولة الإسلامية .

٢) الهدف الخاص :

تدريس موضوع « حب الرسول لأولاده » وبيان كيف كان يعامل أولاده ، وكم أنجب من البنين والبنات .

٣) **التمهيد** : ويكون بمثل الأسئلة الآتية :

١) ما الذي ينتج عن حب الوالد لأولاده ؟

٢) كيف تعرف حب الوالدين لك ؟

٣) بماذا ترد جميل الوالدين ؟

٤) لماذا يأمرنا الإسلام بأن نحب الوالدين ؟

٥) كان الرسول يحب أبناءه ويعطف عليهم فماذا تعرف عن ذلك ؟

٦) ماذا ينتظر الوالد من ولده ؟

٤) **الوسيلة** :

وهي متعددة ويرجع الإبداع فيها إلى قدرات المعلم وحسن اختياره . ومنها .

صور تمثل عائلة سعيدة والأب بين أبنائه يلعب معهم ويساعدهم في أعمالهم .

صورة حديقة بها أطفال يلعبون مع والدهم .

وغير ذلك من الصور التي تعطي هذا المعنى .

٥) **العرض** :

١) يبدأ المعلم بإعلان درسه وبيان أهميته وكتابة عنوانه على السبورة . ثم يبدأ في مناقشة التلاميذ بأسئلة التمهيد .

٢) يعرض وسائله ويبدأ الحوار حولها ليصل إلى الموقف التعليمي الـذي يريد غرسه في نفوس التلاميذ .

٣) يتدرج مع التلاميذ بالحوار مركزا على المواقف التي تبين حب الرسول لابنائه وعطفه عليهم .

٤) ذكر بعض الأمثلـة من عطف الرسـول وحبـه لأبنائـه في مختلف مراحـل أعمارهم[1] .

٥) قراءة الموضوع من الكتاب المدرس ومناقشة التلاميذ فيه .

٦) التقويم :

ويكون بمثل هذه الأسئلة .

١) كيف استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم ميلاد بناته ؟

٢) اذكر موقفا يدل على حب الرسول لأولاده وأحفاده ؟

٣) ماذا فعل الرسول حين علم بمرض ولده إبراهيم ؟

٤) لماذا غضب الرسول من الإمام علي في أحد المواقف ؟

٥) على أي شيء يدل حب الرسول لبناته وعطفه عليهن ؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم مرة لابنته فاطمة أوما علمـت أن بكاءه يؤذيني فيمن كان هذا القول ؟ ولماذا قال لها الرسول ذلك ؟

---

(١) يرجع المعلم الى كتب السيرة مثل سيرة ابن هشام ، حياة محمد لمحمد حسين هيكل ، عبقرية محمد لعباس محمود العقاد ، وإنسانيات محمد لخالد محمد خالد ، وغير ذلك من كتب السيرة ، ولا يكتفي بما ورد في كتاب التلاميذ .

ولا شك أن المعلم القادر يستطيع أن يتصرف في الموقف بما يراه مناسبا من أسئلة وغيرها حتى يحقق غايته من الدرس . وما عرضته عليك ليس إلا أمثلة للسير على خطاها ولا أريد منك أبدا ان تلتزم بها .

وقد بينت لك قبل ذلك كيف درسا على طريقة القصة أو الأسلوب الذاتي أو المسرحية فارجع اليه[1] .

« إعداد درس في التهذيب »

عرفت اهداف دروس التهذيب وطرق تدريسه ، وإليك إعداد درس فيه على طريقة المناقشة والقراءة . للحلقة الثانية الابتدائية » تحت عنوان .

«رعاية المرافق العامة»

١) الهدف العام :

تنمية روح المسؤولية والحرص على الممتلكات العامة والخاصة ، والشعور بأن المجتمع وما فيه ملك للجميع وصيانته واجبة على الكبير والصغير .

٢) الهدف الخاص :

تدريس موضوع « رعاية المرافق العامة » وإبراز جوانب المنفعة التي تعود على التلاميذ من رعاية هذه المرافق ، وحرص الدين على ذلك .

---

(١) ص ١٩٧ ـ ٢٠٠ من الكتاب .

٣) **التمهيد :**

ويثير فيه المعلم تلاميذه بأشياء متعددة (وسائل ، صور ، لوحات) وأسئلة من مثل :

١) ما هي المرافق العامة ؟

٢) لماذا تهتم الدول بإنشائها ؟

٣) كيف نحافظ عليها ونصونها ؟

٤) لمصلحة من تنشىء الدولة الحدائق العامة ودورات المياه والمدارس والمستشفيات ؟

٥) كيف ننتفع بهذه المرافق ؟

٦) ما الذي كان يحدث لو لم تنشىء الدولة المدارس والمستشفيات ؟

٧) ما اهمية الشوارع والطرق العامة ؟

٤) **الوسيلة :**

صور لبعض الحدائق العامة والمستشفيات والمدارس .

٥) **العرض :**

١) إعلان الدرس على التلاميذ وكتابة عنوانه على السبورة .

٢) إثارتهم بأسئلة التمهيد .

٣) عرض الوسيلة والحوار حولها بأسئلة مناسبة .

٤) قراءة الموضوع من الكتاب قراءة صامتة وترك التلاميذ يديرون المناقشة حول الموضوع .

٥) مناقشة فقرات الدرس فقرة فقرة من قبل المعلم .

٦) قراءة الموضوع من قبل المعلم والتلاميذ يتابعون في الكتاب .

٧) الإجابة عن تمارين الكتاب .

٨) تسجيل الأهداف وتسجيلها في دفاتر التلاميذ .

٥) **التقويم** :

ويمكن أن يكون بمثل هذه الأسئلة .

١) اذكر انواع المرافق العامة .

٢) بين دور المستشفيات والوحدات الصحية في رعاية صحة المواطنين .

٣) ما أهمية الحدائق بالنسبة للناس ؟

٤) لماذا نحافظ على المرافق والمنشآت العامة ؟

٥) كيف يحافظ التلاميذ على مدرستهم وحدائقها وملاعبها ؟

٦) لماذا تهتم الدولة بتنظيم الشوارع ورصفها ؟

٧) كيف نحافظ على الطرق وعلى نظافتها ؟

ملاحظة أن استخدام القصة في كل درس عمل مفيد وأن تكون قصة قصيرة ومشوقة تتصل بحياة التلاميذ وبيئتهم .



أهم المراجع

١) القرآن الكريم .

٢) من كتب التفسير (الكشاف ـ القرطبي ـ الطبري ـ الفخر الرازي) .

٣) من كتب الحديث (البخاري ـ مسلم ـ مسند أحمد ـ الجامع الصغير ـ الترغيب والترهيب) .

٤) من كتب السيرة (سيرة بن هشام ـ ابن كثير ـ سيرة الحلبي) .

٥) منهج المدرسة الابتدائية — أبو الفتوح رضوان

٦) جامع بيان العلم — ابن عبد البر

٧) نقد العلم والعلماء — ابن الجوزي

٨) فيض الخاطر — احمد أمين

٩) الوسائل التعليمية — أحمد خيري ، وجابر عبد الحميد

١٠) في ظلال القرآن — سيد قطب

١١) التربية وطرق التدريس — صالح عبد العزيز ، وعبد العزيز عبد المجيد

١٢) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه — عباس محمود العقاد

١٣) الفقه على المذاهب الأربعة — عبد الرحيم الجزيري

١٤) علم الصحة	د/ عبد الواحد الوكيل
١٥) الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية	علي الجميلاطي ، وأبو الفتوح التوانسي
١٦) معالم التربية	فاخر عاقل
١٧) سلوك الطفل	(فرانس ابلغ ولويزب أيمر) ترجمة فاخر عاقل
١٨) الإسلام عقيدة وشريعة	محمود شلتوت
١٩) نظام الحكم في الإسلام	محمد عبد الله العربي
٢٠) النظم الإسلامية	محمد عبد الله العربي
٢١) تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى	محمد عبد الرحيم غنيمة
٢٢) روح التربية والتعليم	محمد عطية الابراشي
٢٣) رياض الصالحين	للإمام النووي
٢٤) معجم الأدباء	ياقوت الحموي

محتويات الكتـاب

الفصل الثاني

طرق تدريس القرآن الكريم والعبادات

العبادات

الفصل الثالث

نظرة في العقائد ـ وطرق تدريس السيرة والتهذيب والحديث أهمية الوسائل والاتجاهات في تدريس الدين

الفصل الرابع
نماذج لإعداد دروس التربية الإسلامية بالمرحلة الابتدائية